الباب الخامس

حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول: الطريق من الهزيمة إلى النصر

الفصل الثاني: العبور العظيم

الفصل الثالث: الضربة المضادة الإسرائيلية

الفصل الرابع: القتال ضد العدو غرب القناة

الفصل الأول

الطريق من الهزيمة إلى النصر

القسم الأول: النهوض من الكبوة

القسم الثانى: مرحلة الصمود

القسم الثالث: مرحلة الدفاع النشط

القسم الرابع : مرحلة الإعداد للتحول للعمليات الهجومية

القسم الأول
النهوض من الكبوة

لقد اعتدت فى الأبواب السابقة أن أستهل الحديث عن كل مرحلة من مراحل الصراع بعرض تحليلى للظروف السياسية والعسكرية التى سبقت تلك المرحلة، كما اعتدت أيضًا أن أعرض تطور الموقف السياسى والعسكرى لمصر وتأثيره على طبيعة الحرب أو مرحلة الصراع، وعندما بدأت الحديث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ كمرحلة تاريخية من مراحل الصراع العربى الإسرائيلي وجدت صعوبة فى اتباع نفس الأسلوب للسببين الآتيين:

السبب الأول: إن حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى رأيى هى استكمال لعمليات حرب يونيو ١٩٦٧ التى - كما رأينا - لم يأخذ الجيش المصرى فرصته العادلة فيها لأسباب عديدة ذكرناها فى الباب السابق، ولذلك فقد تواصلت الأحداث دون توقف بعد الحرب كما سنرى فيما بعد.

السبب الثانى: هو حماسى الشخصى؛ لكى أسرد عليكم ما تم فى هذه الحرب التى سطرت فى التاريخ استعادة كرامة الجيش المصرى وثقته فى نفسه وثقة الشعب فيه، بنفس القدر الذى كشفت فيه النقاب عن زيف الدعاية الإسرائيلية عن جيشها الذى لا يقهر.

ومع ذلك فسأسرد فى عجالة تلك الأحداث المتلاحقة التى تلت الهزيمة فى ٥ - ٦ يونيو ١٩٦٧ لأهميتها فى رسم الصورة الصحيحة لتلك الفترة عالميًا وعربيًا وداخليًا على مختلف الأصعدة، ثم سأركز على أعمال القوات المسلحة فى الفترة نفسها وفى نهاية هذا القسم سأعرض كيف تم الإعداد لنصر أكتوبر العظيم.

تطور الأحداث عقب الهزيمة:

على الرغم من الظلام الدامس الذى ساد رؤية القادة والضباط والجنود أثناء عمليات يونيو ١٩٦٧، فقد شهدت سيناء بطولات خارقة من بعض الأفراد والوحدات إلا أن هذه البطولات رغم روعتها تاهت فى الظلام الذى أسدلته الهزيمة على أى صورة مشرقة، لقد أصبحت القوات المسلحة بعد الحرب فى موقف شديد الصعوبة، فقد تم تدمير القوات الجوية على الأرض، تبعها تدمير وحدات الرادار والوحدات المضادة للطائرات، ثم كان الأمر بالانسحاب بعد يوم واحد من القتال، وفقدت قواتنا حوالى ٨٠٪ من معداتها وأسلحتها، وتبعثرت القوات على الشاطئ الغربى لقناة السويس وفى معسكرات القناة دون مهام أو أوامر واضحة، وشهدت معسكرات الهايكستب ودهشور فى القاهرة وحبيب الله والشلوفة فى منطقة القناة تجمع الآلاف من الجنود والضباط بعد الانسحاب، وقد بليت ملابسهم وأحذيتهم وانتفخت أرجلهم، واحترقت وجوههم من رحلة الانسحاب الشاقة عبر دروب ووديان سيناء، كما امتلأت قلوبهم بالحزن ونفوسهم بالمرارة مما شاهدوه من آثار الهزيمة على طول طريق الانسحاب من معدات محترقة وجثث متفحمة، وما عانوه من القوات الإسرائيلية التى سيطرت على طرق الانسحاب والمعابر على القناة والتى راهنت خطأ على أن هذه القوات العائدة ستقوم بالإطاحة بنظام جمال عبد الناصر ولم تكن تتصور أن أولئك الجنود والضباط هم أنفسهم الذين سيذيقونها ذل الهزيمة ومرارة الخسارة بعد أقل من ست سنوات ونصف وبالتحديد فى أكتوبر ١٩٧٣.

وبعد توقف القتال، أخذت آلية الإعلان الغربى بالتحالف مع أبواق الدعاية الإسرائيلية تعلن أن هذه الحرب هى آخر الحروب، وأن العرب لن تقوم لهم قائمة عسكرية قبل خمسين عامًا على الأقل، وأن إسرائيل قد حصلت لأول مرة على حدود آمنة باستيلائها على أراض عربية تعادل من ٣ إلى ٤ مرات أضعاف مساحتها، فقد استولت إسرائيل فى ستة أيام على هضبة الجولان فى سوريا، والضفة الغربية لنهر الأردن كما استولت على القدس الشرقية وقطاع غزة، وسيناء حتى قناة السويس فيما عدا الجزء جنوب شرق بورفؤاد، وبالتالى أطلقت على جيشها الجيش الذى لا يقهر وعلى طيرانها «السلاح ذو اليد الطولى».

وكان الرئيس الأمريكى ليندون جونسون أبرز من جسد هذا المعنى حين صرح

بعد الهزيمة فى شماتة واضحة أنه على العرب أن يبتلعوا ألسنتهم فى حلوقهم، ويقبلوا بالحياة فى هذه المنطقة تحت قيادة إسرائيل ورعاية أمريكا.

ولم تنته مهام اللواء ١٤ مدرع مستقل الذى كنت قائدًا له فى عمليات يونيو ١٩٦٧ بانسحاب اللواء إلى الضفة الغربية لقناة السويس، فبعد الانسحاب، وأثناء وجودى بالمستشفى يوم ٧ يونيو للعلاج من الإصابة التى لحقت بى يوم ٦ يونيو أثناء القتال عند جبل لبنى، حضر إلى فى المستشفى اللواء سعد عثمان قائد الفرقة التاسعة (المجموعة الخاصة) وطلب منى تشكيل سرية دبابات للقيام بهجوم مضاد على منطقة جلبانة شرق القناة؛ لنجدة كتيبة الصاعقة التى كانت لاتزال تدافع عن القنطرة شرق ضد هجوم إسرائيلى بقوة كتيبة دبابات، على أن تلحق باقى كتيبة الدبابات بهذه السرية.

وقمت بتشكيل السرية من ١٢ دبابة، وعينت ابنى النقيب طارق واصل لقيادتها وقامت السرية بعبور القناة، واشتركت مع عناصر الصاعقة فى قتال ضارى ضد الدبابات الإسرائيلية التى انسحبت بعد أن منيت بعدة خسائر، وفورًا ظهر الطيران الإسرائيلي المسيطر تمامًا على سماء المعركة، ووجه هجومًا مركزًا إلى سرية الدبابات وكتيبة الصاعقة، فدمر جميع الدبابات وشتت عناصر الصاعقة، ولم ينقذ هذه القوات إلا العقيد إبراهيم الرفاعى من الصاعقة الذى قام بتجميع ضباط و جنود سرية الدبابات، ونقلها إلى غرب القناة، أما عناصر الصاعقة فقد وصلت إلى منطقة رأس العش تحت ضغط ضرب الطيران الإسرائيلى، حيث احتلت موقعًا دفاعيًا جنوب شرق مدينة بورفؤاد.

وقد عاتبنى اللواء أحمد إسماعيل قائد الجيش فى ذلك الوقت على تعريض ابنى للخطر فى تلك الظروف، وكان ردى عليه إن ابنى واحد من ١٤٩ ضابط فى اللواء وأى ضابط منهم كان سيتعرض لنفس الخطر، فلماذا لا يكون ابنى هو ذلك الضابط.

وبعد خروجى من المستشفى بعد أن رفضت إجراء استخراج الشظايا من جسمى، عدت لقيادة اللواء ١٤ المدرع، وأعيد تمركزنا فى معسكر الشلوفة شمال السويس، ثم صدرت لنا الأوامر بالتوجه إلى نفيشه على مشارف مدينة الإسماعيلية

حيث كلفنا بحماية الكوبرى العلوى المؤدى إلى القاهرة، وبعد إتمام تجهيزه واحتلاله صدرت لنا الأوامر بتسليمه للواء آخر، وأعيد تمركز اللواء فى القصاصين بمهمة القيام بضربة مضادة على منطقة نمرة ٦ شرق الإسماعيلية أو الدفرسوار جنوبها، وبعد أن قمنا بدراسة الخطوط والاتجاهات وأعددنا القرارات والخطط، صدرت لنا الأوامر يوم ٢٢ يونيو بتسليم المهمة إلى لواء آخر والتحرك باللواء إلى بورسعيد للدفاع عنها.

و تحركنا إلى بورسعيد حيث قابلنا شعبها مقابلة جيدة رفعت من معنويات الضباط والجنود، وقدموا لنا كل المساعدات، فدفعت سريتى دبابات إلى مدينة بور فؤاد على الضفة الشرقية للقناة بمساعدة معديات وأوناش هيئة قناة السويس، وتولى اللواء ١٤ المدرع تأمين المدينة، بالتعاون مع عناصر الصاعقة فى رأس العش.

وفى يوم ٩ يونيو فاجأ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر شعب مصر والعالم العربى والعالم كله بخطاب التنحى الذى كشف فيه التواطؤ بين إسرائيل وأمريكا لهزيمة مصر، واعترف فيه بحجم الهزيمة ومسئوليته عنها، ثم أعلن عن تنحيه عن قيادة مصر، ودعا إلى تولى رئيس جديد للبلاد خلفًا له.

وعلى عكس التوقعات بعد تلك الهزيمة، خرج الشعب المصرى بكل فئاته وأعماره وعلى اختلاف اتجاهاته السياسية وانتماءاته العقائدية؛ ليعلن للعالم أجمع أنه لن يستسلم للهزيمة، وأنه يرفض تخلى القائد الذى قاد مسيرة الثورة عن موقعه فى ذلك الوقت العصيب، ولم يهنأ القادة فى إسرائيل كثيرًا باستماعهم إلى جمال وهو يعلن التنحى - أخيرًا - عن قيادة مصر، ولعلهم لم يكملوا احتساء أنخاب النصر، فقد اهتزت المدن والقرى المصرية بالجموع الحاشدة التى خرجت فور نهاية خطاب التنحى فى مظاهرات هادرة تعلن رفض التنحى، وتطلب من جمال عبد الناصر البقاء والاستمرار فى المعركة؛ لتعويض الهزيمة واستعادة الأرض السليبة وإزالة آثار العدوان، ولم تهدأ الجموع الحاشدة أو تعود إلى منازلها إلا بعد أن انصاع جمال لإرادة الشعب، وما كان له أن يرفض هذا التكليف الشعبى التاريخى، وكان ما أعلنه كهدف للمرحلة التالية بعد أن قبل الرجوع عن قرار التنحى، وبدأ فورًا فى العمل من أجله: إعادة بناء الجيش المصرى، والاستعداد لخوض المعركة التالية فى الحرب مع إسرائيل.

والجدير بالذكر هنا أنه عندما أعلن الشعب رفضه للهزيمة، وتمسكه بجمال عبد الناصر للاستمرار فى قيادة المعركة؛ لإزالة آثار العدوان وتحرير سيناء، كان فى الحقيقة يعبر عن إحساسه الفطرى بالثقة فى أن جمال عبد الناصر ليس هو المسئول عن الهزيمة العسكرية، فقد أعلن جمال التنحى عن القيادة فى ٩ يونيو ١٩٦٧ وقامت المظاهرات الشعبية فى اليوم نفسه، وبعد دقائق من نهاية الخطاب، وربما قبل نهايته واستمرت لليوم التالى، ولم يكن قد أعلن بعد عن أى مسئوليات أو فساد أو إهمال، والحقيقة التى يجب أن نثبتها هنا هى أن جمال عبد الناصر لم يصدر أمر الانسحاب بل إنه طلب من المشير عبد الحكيم عامر إلغاء الأمر الذى أصدره وهو ما يفسر إعادة دفع بعض الوحدات للشرق بعد انسحابها، ولكن بعد فوات الأوان وإفلات الزمام وتملك القوات الإسرائيلية مقاليد السيطرة على الموقف.

وكانت فرنسا أقرب الدول الغربية للشعور بما حدث فى مصر وقد أرسل الرئيس الفرنسى الجنرال شارل ديجول إلى جمال عبد الناصر رسالة شخصية، تعبر عن شخصيته المناضلة كقائد للمقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازى لفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية، يقول فيها:

«إن النصر والهزيمة فى المعارك عوارض عابرة فى تاريخ الأمم، وما يهم هو الإرادة، ففرنسا فى وقت من الأوقات كان نصفها تحت الاحتلال النازى، ونصفها الآخر خاضعًا لحكومة عميلة، ولكن فرنسا لم تفقد إرادتها؛ إن الشجاعة الحقيقية هى مواجهة المحن، أما الأوقات السعيدة فإنها لا تستدعى هذه الشجاعة».

وفى مساء يوم ١٠ يونيو أصدر مجلس الأمن قراراً بوقف إطلاق النار، دونما ذكر شىء عن ترتيبات عودة الوضع إلى ما كان عليه؛ ليتضح لنا أن العمل السياسى بمفرده لن يؤدى إلى استعادة الأرض، وأن ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة، ووضح اتفاق أمريكا وروسيا على أن تعمل الولايات المتحدة على انسحاب إسرائيل من الأرض العربية، وأن يعمل الروس على إقناع العرب بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل والاعتراف بها، أى أنهما كانا يهدفان إلى تسكين الأوضاع فى المنطقة، ومنذ ذلك الحين بدأ الدعم السوفييتى لمصر بالسلاح والخبراء.

ومع هذه الأحداث المتلاحقة أحس القادة العرب بخطورة الموقف فى مصر التى

هى السند الرئيسى للمنطقة العربية، فسارع وزراء الخارجية العرب بالحضور إلى مصر، وقدموا الكثير من الدعم حتى أن الجزائر أرسلت ٤٠ طائرة حربية لمصر، وأقر القادة العرب عدم ضخ البترول للدول التى تساعد إسرائيل، إلا أنه تم التنسيق بناء على طلب السيد محمود رياض وزير خارجية مصر حينذاك على أن يستمر الضخ مع تخصيص ١٠ ٪ من عائدات البترول لدعم المجهود الحربى لدول المواجهة، كما تم التنسيق بين الدول العربية فى مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ٦٧ على مساهمة الدول العربية فى المعركة بوحدات فرعية من الجزائر وليبيا والسودان وفلسطين والكويت.

وكان من الطبيعى أن يبدأ جمال عبد الناصر عملية إعادة بناء القوات المسلحة بتغيير القيادات التى فشلت فى إدارة المعركة وأدت إلى الهزيمة، فتم تنحية عدد كبير من المسئولين فى وزارة الحربية وقيادات القوات المسلحة من مناصبهم، وكان على رأسهم المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة، وشمس بدران وزير الحربية. وفى ١١ يونيو قامت قوات حراسة المشير عامر فور تنحيته من القيادة بمظاهرة عسكرية إلى قيادة القوات المسلحة للمطالبة بعودة المشير إلى القيادة، وتم تفريق هذه المظاهرة، والقبض على عناصرها القيادية، وإعادة القوات إلى معسكرها.

وفى الوقت الذى كانت القيادة السياسية والقوات المسلحة مشغولة بمواجهة الاستفزازات الإسرائيلية ومحاولة إعادة تنظيم الدفاع عن القناة والقاهرة بما تبقى من القوات، بدأ تجمع عدد من المسئولين السابقين والضباط الذين تم إحالتهم للتقاعد، ومنهم من كان أداؤه فى الميدان سببًا مباشرا من أسباب الهزيمة، وفى منزل المشير عبد الحكيم عامر، وفى شهر أغسطس ١٩٦٧ بدأت تتجمع خيوط المؤامرة للاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة وإعادة تنصيب المشير عبد الحكيم عامر قائداً لها.

وتلخصت خطة المؤامرة كما لخصها السيد حسين الشافعى عضو مجلس قيادة ثورة يوليو ورئيس محكمة الثورة فى قيام المشير عبد الحكيم عامر بزيارة ودية للرئيس جمال عبد الناصر يتم خلالها بشكل ودى طلب العودة إلى قيادة القوات المسلحة، وفى حالة رفض جمال لهذا المطلب كما هو متوقع، يتم تحرك المشير بواسطة طائرة هليكوبتر إلى مركز القيادة فى منطقة القناة تحت حماية قوة من مدرسة

الصاعقة علاوة على قوة الحراسة الخاصة به، ومن هناك يعلنون تولى المشير قيادة القوات المسلحة، وبدأت الاتصالات بالقيادة ـ خاصة التى تم تنحيتها ـ لزيارة المشير فى منزله، وكان يلزم المتآمرين قوة كبيرة قادرة على مواجهة قوات الحرس الجمهورى للسيطرة على مقاليد الأمور سواء فى القاهرة أو القيادة فى منطقة القناة.

وكنت قد عينت قائداً للفرقة الرابعة المدرعة اعتباراً من ٥ أغسطس ١٩٦٧، وهى أقدم وأقوى التشكيلات المدرعة وتعتبر بحق مدرسة قادة المدرعات فى الجيش المصرى، وحاول بعض أعوان المشير عبد الحكيم عامر الاتصال بى، وكذلك فعل قائد سلاح حرس الحدود أيضًا، وزارنى فى المنزل بعض أعوان المشير عامر أثناء وجودى بالقاهرة؛ لإقناعى بزيارة المشير فى منزله بمنطقة الحرّانية بالجيزة بدعوى إظهار الولاء والتعاطف معه فى تلك الظروف الصعبة، وأحسست بسوء النية فى هذا المطلب الذى ليس له ما يبرره بعد مرور فترة طويلة على تنحيته عن قيادة القوات المسلحة، فرفضت هذا الطلب المشبوه متعللاً بعدم تعودى على زيارة الضباط الأقدم منى فى منزلهم، بالإضافة إلى أننى كنت مشغولاً بإعادة تنظيم وتسليح الفرقة الرابعة المدرعة التى تم تدمير معظمها فى الحرب.

وبعد أيام قلائل تم القبض على عناصر المؤامرة كاملة فى منزل المشير عبد الحكيم عامر، وانتهت المؤامرة الفاشلة بانتحار المشير فى منزله فى نهاية مأساوية لواحد من أبرز أعضاء مجلس قيادة الثورة وأقربهم إلى قلب الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، وفى يناير ١٩٦٨ بدأت محاكمة عناصر المؤامرة أمام محكمة الثورة واستدعيت للشهادة وعلى مدى يومين كاملين أدليت بشهادتى ومعلوماتى التفصيلية عن الموضوع أمام محكمة الثورة التى كان يرأسها السيد حسين الشافعى الذى كان من أهم ما أعلنه عن نتائج التحقيقات أن فكرة المؤامرة قد نبعت من نفس القادة الذين أخفقوا فى قيادة قواتهم فى الميدان، ومنهم من ترك قواته فى أحرج لحظات المعركة، وعاد إلى القاهرة مما أدى إلى فقد السيطرة على القوات وتعرضها للهزيمة الفادحة، وكان هؤلاء القادة هم الذين أقنعوا المشير عبد الحكيم عامر بخطة المؤامرة التى حاولوا تنفيذها للمحافظة على مناصبهم ونفوذهم تحت ستار إعادة تنصيب المشير عامر قائداً للقوات المسلحة.

وفى الشهر نفسه، يناير ١٩٦٨، كانت محاكمة قادة القوات الجوية قد انتهت

وصدرت ضدهم أحكام لم يرض عنها الشعب، واعتبرها متساهلة مقارنة بحجم النتيجة التى أدى إليها إهمالهم، وثارت المظاهرات مرة أخرى من طلبة الجامعات والعمال، واضطر وزير الحربية الفريق أول محمد فوزى إلى عدم التصديق على الأحكام وإعادة محاكمتهم مرة أخرى، حيث غلظت الأحكام ضدهم إلى السجن والأشغال الشاقة، وهدأت الجماهير الغاضبة الحزينة.

لقد كانت الضربة الجوية الإسرائيلية بمثابة الضربة القاضية التى أفقدت القوات المسلحة اتزانها لعدة أيام، عادت بعدها القوات إلى إصرارها وتمسكها بمواقعها واستبسالها فى القتال بما تبقى لها من سلاح ورجال، وهو ما استلهمه الرئيس جمال عند وضع تصوره لمهام ومسئوليات المرحلة التالية التى أعلنها يوم ١١ يونيو عندما اجتمع بالقيادة العسكرية الجديدة لوضع استراتيجية المرحلة المقبلة، والتى تلخصت فى: إعادة التنظيم، إعادة تقييم الموقف، إعادة البناء والتخطيط للمستقبل.

وقد أصدر الرئيس جمال توجيهاته إلى الفريق أول محمد فوزى بإعداد القوات المسلحة وتجهيزها لإزالة آثار العدوان بعد مرحلة تحضيرية قدرها الرئيس جمال عبد الناصر بفترة زمنية من ٣ إلى ٤ سنوات.

وبالتالى استهدف التخطيط الاستراتيجى للقيادة العامة للقوات المسلحة تحقيق الهدف الذى حددته القيادة السياسية، وهو « إزالة آثار العدوان » على ثلاث مراحل رئيسية كالآتى:

المرحلة الأولى: مرحلة الصمود لإعادة بناء القوات المسلحة وتحقيق القدرة الدفاعية.

المرحلة الثانية: مرحلة الدفاع النشط لإرهاق العدو وتوفير القدرة الهجومية.

المرحلة الثالثة: مرحلة التحول للعمليات الهجومية لتحرير الأرض المحتلة.

وفى تلك الفترة، حدثت عدة أحداث مهمة على مستوى القوات المسلحة المصرية كان لها من المعانى الكثير وكانت الأساس لعودة الروح إلى الجيش المصرى وعودة الأمل إلى الشعب المصرى والثقة إلى الشعب العربى، وهو ما سنعرضه فى الصفحات التالية.

* * *

القسم الثانى
مرحلة الصمود

عملت القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادات الأفرع الرئيسية فى خلال هذه المرحلة على سرعة بناء القدرة الدفاعية لتأمين الجبهة، التى أصبحت قناة السويس وخليج السويس، وتجهيز المواقع الدفاعية على الضفة الغربية للقناة والساحل الغربى لقناة السويس - وهو ما كانت القوات المنسحبة قد بدأت فيه بالفعل بعد الانسحاب فى مرحلة جمع الشتات، وإعادة تجميع الوحدات من الجنود والضباط المنسحبين - كما تم إنشاء التجهيزات الهندسية اللازمة لهذه المواقع، وكذلك المطارات والقواعد الجوية، وصدرت الأوامر بأن يتم الالتزام بسياسة ضبط النفس على الجبهة والاقتصار على الرد على العدوان، ومنع العدو من اكتساب أى أراض جديدة أو العبور غرب القناة، ولاشك أن المعاونة الجادة من الاتحاد السوفييتى الذىً كشف من شحنات الأسلحة والذخائر؛ لتعويض الخسائر التى حدثت فى عمليات يونيو ١٩٦٧ كان لها أكبر الأثر فى سرعة استعادة القدرة الدفاعية للقوات المسلحة على الضفة الغربية لقناة السويس.

وفى أول يوليو ١٩٦٧ أى بعد عشرين يومًا فقط على وقف إطلاق النار قامت إسرائيل بماعرف عنها من الغدر وعدم الالتزام بقرارات المجتمع الدولى والسعى لفرض الأمر الواقع بالقوة، بالهجوم على منطقة رأس العش شرق مدينة بورفؤاد بكتيبة من المشاة الميكانيكية تدعمها الدبابات والصواريخ ضد عناصر من الصاعقة التى استبسلت فى الدفاع عن مواقعها، ومنى الهجوم بالفشل، وبناء على أوامر قائد قطاع بورسعيد العسكرى قمت بدفع سرية مشاة ميكانيكية من اللواء ١٤ مدرع مستقل؛ لمعاونة الصاعقة فى الدفاع عن المدينة، وقد تكرر الهجوم الإسرائيلى ثلاث مرات باءت جميعها بالفشل، ولم يُجْدِ الضرب الجوى المكثف على قواتنا فى كسر

روح الصمود والتحدى لديها، واضطرت القوة الإسرائيلية للانسحاب بعد أن منيت بخسائر مؤثرة، وبذلك أصبحت رأس العش هى الجزء الوحيد من سيناء الذى لم يقع فى يد القوات الإسرائيلية، و سجل التاريخ العسكرى معركة رأس العش كأول مظاهر عودة الروح للجيش المصرى وإعلانه عن رفع راية التحدى، رغم الجراح التى لم تلتئم والدماء التى لم تجف.

وفى يوم ١٤، ١٥ يوليو ١٩٦٧ أى فى الشهر نفسه قامت قواتنا الجوية بالتصدى للطيران المعادى فوق منطقة القناة، فانسحبت طائرات استطلاعه، ودخل مع قواتنا فى معركة خسر خلالها العدو طائرتين، ولاذ الباقى بالفرار، وأكملت الطائرات المصرية مهمتها بالهجوم فى عنف على القوات الإسرائيلية فى سيناء، كأنما أراد الطيارون المصريون أن يعبروا عن قدرتهم الحقيقية التى كان يمكنهم إظهارها فى الحرب، لو توفر لهم القادة المخلصون الأكفاء، وشاهد الجنود المصريون من على الضفة الغربية للقناة الجنود الإسرائيليين على الضفة الشرقية، وهم يفرون مذعورين، وظهرت صورهم فى اليوم التالى على صفحات الجرائد تؤكد بدء الصحوة واستعادة الروح للقوات الجوية، رغم ما أصابها من خسائر فادحة.

وكان لابد من استغلال ارتفاع الروح المعنوية بين القوات نتيجة لهذه الأعمال المجيدة، فصدرت الأوامر فى أغسطس ٦٧ بإنشاء إدارة التوجيه المعنوى الذى لعبت دوراً فعالاً فى هذا المضمار، وأصبح قائد الوحدة أو التشكيل هو المسئول الأول عن رفع الروح المعنوية لقواته يعاونه ضابط متخصص، وازداد الاهتمام بالفرد من ناحية التغذية وحل مشاكله مما قلل الفجوة بين الضابط والجندى، فالجندى بلا روح جثة هامدة، كما كان للزيارات الميدانية التى قام بها كبار الزوار لمصر من العرب والأجانب وكبار رجال الدولة فى مصر أثر كبير فى رفع الروح المعنوية للقوات.

ولم يكن للقوات البحرية المصرية العريقة أن تتخلف كثيراً عن ركب استعادة الروح وفى يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ انتهزت القوات البحرية فرصة دخول المدمرة الإسرائيلية إيلات مياهنا الإقليمية أمام شاطئ بور سعيد، وبعد أن أبلغ عنها قبطان مصرى يقود سفينة تجارية كما رصدتها أجهزة استطلاع البحرية، تصدى لها زورقان من زوارق الصواريخ من قاعدة بور سعيد ودمراها بالصواريخ سطح ـ سطح، وغرقت المدمرة إيلات أكبر الوحدات البحرية الإسرائيلية بعد الغروب، وهرع إليها

الكثير من هليكوبترات العدو؛ لإنقاذ الغرقى الذين بلغ عددهم ٦٥ فردًا من طاقمها بالإضافة إلى من كان على متنها من طلبة الكلية البحرية الإسرائيلية، وقد كان لهذه العملية صدى عالمى كبير؛ إذ أنها قلبت موازين ونظريات الحروب البحرية، كما أدى ذلك إلى رفع روح القوات المصرية، وخاصة البحرية التى اتخذت من هذا اليوم عيدًا لها.

وقد أظهرت تلك العمليات البطولية فى هذا الوقت القصير بعد الهزيمة الكاسحة للجيش المصرى فى يونيو ١٩٦٧، أن إسرائيل قد حققت نصرًا سريعًا لا تستحقه وأننا خسرنا حربًا لم ندخلها، بل تركت لدى الجيش إيمانًا وتصميمًا على الأخذ بالثأر وتحرير الأرض السليبة، والأهم من ذلك أنها تركت لدى الشعب قناعةً بأن قراره برفض تنحى جمال عبد الناصر كان قرارًا صائبًا، ومن ثم بدأ الشعب فى تحمل أعباء الاستعداد للجولة التالية بصبر وتقدير ووعى.

أما على الجانب الإسرائيلى الذى كان لايزال يعيش أوهام النصر السريع الذى أحرزه، فقد ترددت أصوات الثأر ضد المصريين، وبدأت إسرائيل فى تصعيد العمليات العسكرية على جبهة قناة السويس، ففى يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧، وردًا على إغراق المدمرة إيلات، قامت المدفعية الإسرائيلية بقصف مدينة السويس والمنشآت البترولية فى الزيتية من مواقعها فى لسان بور توفيق وجبل المر وعيون موسى واشتعلت النيران فى المستودعات و المنشآت، وبذل المهندسون والعمال وأفراد شعب السويس الأبطال جهودًا خارقة لإطفاء النيران المشتعلة، ومن ثم تقرر تفكيك هذه المنشآت ونقلها إلى داخل البلاد. كما تم تهجير أهالى مدن القناة إلى محافظات الجمهورية، وبذلك فوتت القيادة المصرية على إسرائيل فرصه استخدام المنشآت البترولية ومستودعات البترول فى الزيتية كوسيلة ضغط على مصر؛ لإرغامها على قبول شروطها.

وفى نوفمبر ٦٧ تم دفع المدفعية المصرية للأمام قرب القناة، وبدأت الاشتباك مع العدو شرق القناة وأنزلت به خسائر فادحة فى تحصيناته ومعداته ومراكز قياداته وسيطرت على النطاق التكتيكى للعدو لمسافة حوالى ٢٠ كم شرق القناة مما أدى إلى رفع الروح المعنوية للقوات، وأكسبتهم الثقة فى قدراتهم وأسلحتهم، وأكدت روح الصمود والتحدى لديهم، وتحققت المقولة إن الجندى المدرب المطعم بروح معنوية عالية يمكنه التصدى لأقوى أنواع الدروع.

وفى يناير ١٩٦٨ أعلنت إسرائيل عن غرق الغواصة الإسرائيلية داكار فى البحر المتوسط فى مواجهة الإسكندرية، واستمر البحث فترة طويلة، ولم ينج أحد من طاقمها، والحقيقة أن هذه الغواصة قد أغرقتها كاسحة الألغام أسيوط إحدى الوحدات البحرية المصرية عند اكتشافها فى مهمة مراقبة أمام سواحل الإسكندرية.

ولسهولة السيطرة على القوات تم فى ١ يناير ١٩٦٨ تقسيم جبهة قناة السويس إلى جيشين ميدانيين، الجيش الثانى الميدانى، وقطاع مسئوليته يمتد من فايد حتى بور سعيد شمالاً، والجيش الثالث الميدانى الذى يمتد قطاع مسئوليته من غبة البوص على خليج السويس حتى كبريت شمالاً، كما تم تحويل قطاع البحر الأحمر إلى منطقة عسكرية؛ لتصبح مواجهة الجبهة أكثر من ٦٠٠ كم من ميناء سفاجا على البحر الأحمر جنوبًا إلى بور سعيد على البحر المتوسط شمالاً، واستحدثت محطات عسكرية تتبع للجيوش الميدانية لزيادة السيطرة على مناطق تمركز القوات والقرى والمدن التى تقع فى نطاقها، وتم انضمام الفرقة ٤ المدرعة التى كنت قد توليت قيادتها منذ أوائل شهر أغسطس ١٩٦٧ على الجيش الثالث الميدانى.

وكان من أهم الدروس المستفادة من أحداث حرب ١٩٦٧، ظهور أهمية قوة وحدات الدفاع الجوى وعناصر الرادار والإنذار، فتم تكوين قيادة الدفاع الجوى فى منتصف عام ٦٨، وتم فصلها عن القوات الجوية، وأصبحت القوة الرابعة للقوات المسلحة وبدء فى تطويرها تطويرًا شاملاً؛ لتصبح قادرة على التصدى للقوات الجوية الإسرائيلية، كما تم زيادة عناصر الدفاع الجوى فى وحدات وتشكيلات المشاة والمدرعات، لتوفير الحماية المباشرة عن القوات المقاتلة ضد الطيران الإسرائيلى.

وتوالت الجهود؛ لإعادة تنظيم القوات المسلحة، فشكلت وحدات جديده من المدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية والصواريخ المضادة للدبابات، كذا وحدات جوية جديده لزيادة القوة الدفاعية، كما تم تجنيد المؤهلات المتوسطة والعالية؛ لسهوله استيعاب المعدات الحديثة، وخلال هذه الفترات كانت هناك أعمال كثيرة لتجهيز مسرح العمليات، وكان كل ذلك يسير فى خطوط متوازية كما ساعد الدفاع الشعبى الذى أعيد تنظيمه فى سرايا و كتائب وألوية فى القيام بحراسة الأهداف الحيوية فى البلاد، وفى مرحلة تالية تم زيادة عدد الدبابات فى اللواء والفرقة المدرعة لمقابلة عدد الدبابات فى اللواء المدرع الإسرائيلى.

القسم الثالث
مرحلة الدفاع النشط

عندما اطمأنت القيادة العامة للقوات المسلحة إلى تماسك الوضع الدفاعى على القناة بدأت فى التحول إلى المرحلة التالية، وهى مرحلة الدفاع النشط، وقد بدأت تلك المرحلة فى سبتمبر ١٩٦٨ كمرحلة انتقالية تتدرج فيها الأعمال القتالية؛ لتحقيق الأهداف الآتية:

* رفع الروح المعنوية لدى القوات المسلحة واستعادتها للثقة فى نفسها، وفى الوقت نفسه التأثير على الروح المعنوية للقوات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة.

* رفع الروح المعنوية للشعب المصرى والعربى.

* المحافظة على بقاء مشكلة احتلال إسرائيل للأراضى العربية فى يونيو ١٩٦٧ ساخنة، لدفع الاتحاد السوفييتى إلى تزويد مصر بالسلاح المتطور، وإبقاء المشكلة فى دائرة الاهتمام الدولى.

* وضع القوات الإسرائيلية تحت الضغط المستمر، وإزعاجها وإرهاقها وتكبيدها أكبر خسائر ممكنة؛ لخفض روحها المعنوية، وإفقادها الثقة بالنفس وإقناع القيادة الإسرائيلية بالثمن الباهظ التى تدفعه يوميًا للاستمرار فى الاحتلال.

* تهيئة الظروف الملائمة للتحول إلى مرحلة العمليات الهجومية.

و قد بدأت مرحلة الدفاع النشط بدفع عناصر الاستطلاع بالتدريج من ناحية الحجم والعمق ومدة الاستمرار إلى شرق القناة لجمع المعلومات عن العدو، ثم تطورت تلك العمليات إلى عمل الكمائن، ثم دوريات خلف خطوط العدو، لمعرفة

نظامه الدفاعى وتجمعات قواته ومراكز قيادته، ونجحت إحدى الوحدات من الصاعقة فى تدمير مستودع ذخيرة تركته قواتنا أثناء حرب ١٩٦٧ فى شرق القناة؛ لحرمان العدو من الاستفادة به. وخلال هذه المرحلة تطورت الخطط الدفاعية حسب تطور عملية إعادة التنظيم والتسليح والتدريب للقوات المسلحة حتى انتهت بالخطة الدفاعية ٢٠٠ التى تم بها بناء قاعدة دفاعية قوية للتحول إلى العمليات الهجومية.

مرحلة حرب الاستنزاف الحاسمة:

قال الجنرال عزرا وايزمان الذى كان وزير الدفاع الإسرائيلى ثم رئيسًا لدولة إسرائيل فيما بعد فى كتابه النسور الزرقاء:

«إن حرب الاستنزاف التى سالت فيها دماء أفضل جنودنا، مكنت المصريين من اكتساب حريتهم على مدى ثلاث سنوات للتحضير لحرب أكتوبر العظمى فى عام ١٩٧٣، وعلى ذلك، فإنه سيكون من الغباء أن نزعم أننا قد كسبنا حرب الاستنزاف، وعلى العكس من ذلك فإن المصريين - بالرغم من خسائرهم - هم الذين حصلوا على أفضل ما فى هذه الحرب، وفى الحساب الختامى، سوف تذكر حرب الاستنزاف على أنها أول حرب لم تكسبها إسرائيل، وهى الحقيقة التى مهدت الطريق أمام المصريين لشن حرب يوم الغفران».

وتعتبر حرب الاستنزاف التى بدأت فعليًا فى مارس ١٩٦٩ هى أول حرب تضطر فيها إسرائيل إلى الاحتفاظ بنسبة عالية من القوات الاحتياطية بالتعبئة لمدة طويلة مما كان له أثر سلبى على معنويات الشعب الإسرائيلى والحياة الاقتصادية فى إسرائيل، حيث تعتبر القوات الاحتياطية هى عماد الجيش الإسرائيلى، وهذه القوات فى الحقيقة تكون فى السلم عماد القوة العاملة فى إسرائيل، وخلال تلك الفترة اضطرت إسرائيل إلى الاحتفاظ بحوالى ٢٠ لواءً فى ذروة حرب الاستنزاف، وهو ما يعادل نصف وعاء التعبئة للقوات البرية وكل السلاح الجوى، وقد اضطرت إسرائيل إلى الدفع بقواتها الجوية إلى المعركة فى محاولة للتأثير على إصرار القيادة المصرية على الاستمرار فى هذه الحرب من خلال الغارات الجوية فى العمق، ثم على أهداف مدنية، بينما يمكن القول بان غاراتها المكثفة على الجبهة لم تأت بثمارها المرجوة، وإن كانت السبب فى تأخير استكمال بناء حائط الصواريخ على الضفة

الغربية لقناة السويس إلى ما بعد مبادرة روجرز فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، التى ما إن تمت الموافقة عليها حتى أسرعت القيادة الإسرائيلية بتخفيض نسبة التعبئة إلى أقل من ١٥ ٪ بالنسبة للقوات البرية ، وإلى أقل من ٣٠ ٪ للقوات الجوية .

وبدأت حرب الاستنزاف بصدور الأوامر بتدمير دفاعات وأسلحة العدو على الضفة الشرقية للقناة على طول المواجهة مع العدو ، وفى ٨ مارس ١٩٦٩ تم تنفيذ قصفه المدفعية الشاملة على مواقع العدو ، وكانت نتائجها مؤثرة على المواقع الإسرائيلية ، وقد استشهد أثناءها الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة الذى كان يراقب القصف من أحد المواقع على الضفة الغربية للقناة نتيجة للقصف المضاد من مدفعية العدو .

وليس أبلغ فى وصف هذه المعركة مما قاله العميد أشعيا ـ هو أحد القادة الإسرائيليين ـ : « لقد ارتعدت من شدة القصف وفاعليته ، لقد استخدم المصريون حوالى ١٥٠ بطارية مدفعية وأعدادًا كبيرة من الدبابات والمدافع المضادة للدبابات والرشاشات ، وكانت معظم الطابات ذات صمام تأخير ، لقد شن المصريون مفاجأة على طول جبهة القتال ، فقتل من قتل وجرح الكثير من الهجوم ، وتهدمت المخابئ كما لو كانت بيوتًا من ورق ، ثم تبعه قصف آخر ووضح أن هناك ثمة تغيير فى أسلوب الدفاع » .

وبعد هذا القصف بدأت إسرائيل فى بناء خط بارليف ، واستخدام الدفاع المتحرك بدلاً من الدفاع الثابت الذى لا تعتنقه إسرائيل .

وتعتبر هذه الفترة من أصعب وأدق المراحل ، فالقتال فيها قد أخذ طابع الاستمرارية والعنف والجرأة مما أزال حاجز الخوف عن القوات المصرية ، وكان لبناء حائط الصواريخ فى العمق وبالقرب من الجبهة أثر فعال فى تحطيم ذراع العدو الطويلة ، فلجأت القوات الجوية الإسرائيلية للهجوم على الأهداف المدنية والمواقع المنعزلة ، حرصًا على عدم زيادة خسائرها من الطائرات وفى الفترة نفسها قامت قواتنا البرية بالكثير من العمليات على الجبهة ، كما قامت الضفادع البشرية من القوات البحرية بالإغارة على ميناء إيلات ، كذا قامت المدفعية بأعمال مجيدة فى تدمير تحصينات خط بارليف وإحباط جهود إنشائه ، كما تم تنفيذ عملية هجوم ليلى صامت على لسان بورتوفيق .

وقام الدفاع الجوى على الجبهة بالعديد من الكمائن أسقط منها العديد من طائرات العدو، وفى يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ أسقط أحد كمائن الدفاع الجوى طائرة هليكوبتر تحمل ١٣ خبيراً إسرائيليّا كانوا فى زيارة للجبهة، وأطلقت إسرائيل على هذا اليوم السبت الحزين كما أسقطت كمائن الدفاع الجوى ١٢ طائرة فانتوم للعدو فى أسبوع واحد، وأطلق على ذلك الأسبوع أسبوع تساقط الفانتوم، **هذا بخلاف الإغارات والكمائن بواسطة القوات الخاصة فى سيناء والتى تصاعدت حتى وصلت إلى الإغارة بحوالى كتيبة صاعقة فى منطقة البلاح، تم خلالها قتل العشرات من جنود وضباط العدو، وتدمير العشرات من دباباته ومركباته وعرباته، علاوة على أسر العديد من أفراده والحصول على وثائق وخرائط تحوى معلومات مهمة عن أوضاعه وخططه الدفاعية.**

أما القوات البحرية فقد كان لها نشاط كبير فى أثناء حرب الاستنزاف، حيث قامت الضفادع البشرية بالإغارة على ميناء إيلات الإسرائيلى، كما قامت بتدمير السفينة الإسرائيلية بيت شيفع، وفى عمل انتحارى تم تدمير سفينة أبحاث إسرائيلية فى بحيرة البردويل بشمال سيناء، وتم تنفيذ عدة إغارات على خزانات الوقود فى ميناء إيلات، وانطلاقًا من المهام الاستراتيجية التى تميز القوات البحرية عن باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة، قامت القوات الخاصة البحرية بتدمير الحفار الإسرائيلى كينج الذى كانت إسرائيل تخطط لاستخدامه فى استخراج البترول من تحت مياه خليج السويس بالحفر المائل، وقد تم تدمير الحفار أثناء رسوه فى ميناء أبيدجان بساحل العاج.

والحقيقة أن إيقاع الخسائر بالعدو قد وصل إلى أقصى مدى فى ذروة حرب الاستنزاف، وأصبح هناك شبه منافسة بين الجيش الثالث والجيش الثانى فى تنفيذ العمليات التى تتم لتدمير مواقع العدو أو إيقاع قواته فى الكمائن أو الإغارة على مواقعه ومنشآته، والحصول على أسرى أو أسلحة أو وثائق وخرائط، ووصلت هذه العمليات إلى أكثر من ٤٥٠ عملية متنوعة.

حتى أن الجيش الثانى الذى كان تحت قيادة اللواء عبد المنعم خليل خلال حرب الاستنزاف، قام بالاستيلاء على موقع إسرائيلى شمال جزيرة البلاح، وقام برفع العلم المصرى عليه، واستمر احتلال الموقع طوال الليل، ولم تنسحب القوة المصرية

إلى الضفة الغربية للقناة إلا بعد صدور الأوامر بالانسحاب من الموقع من الفريق أول محمد فوزى وزير الدفاع آنذاك.

أهمية حرب الاستنزاف:

إن حرب الاستنزاف فى اعتبارى هى الأب الشرعى لنصر أكتوبر ١٩٧٣، وكان لآثارها الإيجابية التى سأذكرها فى السطور التالية دور مهم للغاية فى تجهيز القوات المسلحة لحرب أكتوبر:

*** المحافظة على إرادة القتال والروح المعنوية للقوات والتطعيم للمعركة:**

لقد كانت معارك حرب الاستنزاف بمراحلها المتصاعدة حافلة بالكثير من التجارب والدروس التى استفاد منها المخطط المصرى فى التحضير والإعداد والتخطيط لحرب أكتوبر، كما استفاد منها الضابط والجندى المصرى فيما نسميه بالتطعيم للمعركة، فالقتال بكل أشكاله البدائية أو الحديثة هو فى البداية تهديد لحياة الفرد، وهو ما يدفع إلى الخوف على النفس كشعور أولى، والمقاتل الناجح هو من يعبر هذه المرحلة بأسرع ما يمكن ويحول الشعور بالخوف إلى الرغبة فى الدفاع عن النفس التى لا تتأتى إلا بالإصرار على قتل العدو، فإذا اقترنت هذه العملية المتسلسلة بالتصميم والإرادة والتخطيط الجيد، كان النصر على العدو، وكان هذا تمامًا هو ما حدث فى حرب الاستنزاف، فالقوات تعودت على التعرض لنيران العدو بكل أسلحته من طيران ومدفعية ودبابات ورشاشات، وحتى مستوى القناصة الإسرائيليين من النقط القوية على الضفة الشرقية للقناة، وتعلم الجنود والضباط كيف ينجون من هذه النيران، ثم تعلموا كيف يردون عليها دفاعًا أو انتقامًا أو هجومًا مفاجئًا، وكانت النتيجة أن حرب الاستنزاف قد حرمت إسرائيل مما سبق أن صورته لنا فى حرب ١٩٦٧ عن أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر، وبالتالى أزالت حرب الاستنزاف أخطر العوائق التى تمنع بناء إرادة النصر فى المقاتل ألا هو الحاجز النفسى الذى تكون من هزيمة يونيو ١٩٦٧.

*** منع إسرائيل من استكمال بناء خط بارليف:**

كان لقصفات المدفعية المركزة على المواقع الإسرائيلية على طول الجبهة أثر كبير

فى عدم اكتمال بناء خط بارليف واستمرار القوات الإسرائيلية طوال الفترة من مارس ١٩٦٩ حتى أغسطس ١٩٧٠ معرضة للتدمير والقتل، وهو الأمر الذى عجل بقبول إسرائيل لمبادرة روجرز فى أغسطس ١٩٧٠، وقامت بعدها باستكمال بناء وتحصين خط بارليف.

*** رفع الروح المعنوية للشعب و تماسك الجبهة الداخلية والتفافها حول القيادة السياسية والجيش:**

كانت الأخبار المستمرة يوميًا عن الاشتباكات فى الجبهة، وأعمال قواتنا فى قصف مواقع العدو، وعمليات الإغارة والكمائن شرق القناة وإسقاط طائرات العدو ذات أثر كبير فى ارتفاع الروح المعنوية للشعب، وتحمله لأعباء مرحلة بناء القدرة الدفاعية والهجومية للقوات المسلحة، كما كان للغارات الإسرائيلية على الأهداف المدنية فى «أبو زعبل» ومدرسة بحر البقر الابتدائية أثر كبير فى إحساس الجبهة الشعبية بوجودها فى خندق واحد مع القوات المسلحة تحت نفس الخطر ونشأت روح التحدى للعدوان، فزادت من تماسك الجبهة الداخلية، وليس أدل على أثر الاشتباكات اليومية فى تماسك الجبهة الداخلية والتفافها حول القيادة السياسية والجيش من قيام المظاهرات والاضطرابات فى عام ١٩٧٢ بعد مبادرة روجرز وتوقف الاشتباكات واستعجال الشعب لمعركة الحسم.

ورغم ارتفاع مستوى أداء القوات المسلحة وتدريبها على العبور من خلال المشروعات والمناورات التى نفذتها على الرياح البحيرى بمنطقة برقاش، فقد كان من الضرورى بناء حائط الدفاع الجوى القوى على الجبهة؛ لتحقيق الحماية للقوات أثناء العبور، وكما كانت مبادرة روجرز فرصة لإسرائيل لاستكمال بناء خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة فإنها، أى المبادرة، كانت فرصتنا لبناء واستكمال بناء حائط الصواريخ المصرية على الضفة الغربية للقناة بعد أن بذل جهد كبير فى محاولات بنائه أثناء حرب الاستنزاف التى استشهد خلالها الآلاف من الضباط والجنود وأفراد الشعب العاملين فى شركات الإنشاء التى اشتركت فى بناء قواعد الصواريخ ومواقع الرادار التى تعرضت لأشد الغارات الجوية الإسرائيلية ضراوة أثناء إنشاء هذه المواقع.

* * *

القسم الرابع

مرحلة الإعداد للتحول للعمليات الهجومية

سنعرض فى هذا القسم مرحلة الإعداد لنصر أكتوبر ١٩٧٣ :

ويلاحظ القارئ أننى قلت الإعداد لنصر أكتوبر، وليس الإعداد لحرب أكتوبر، ولذلك أسباب منطقية وبسيطة فى ما سيأتى من الحديث عن الإعداد للحرب :

فى البداية فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾ .

وقد كنا ومازلنا مؤمنين بديننا وعقيدتنا القتالية كما كنا مؤمنين بحقنا وعدالة قضيتنا فى استعادة أرضنا المغتصبة وبالتالى كنا ننتظر النصر إذا ما عملنا بقوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ .

ولقد كنا نعد العدة بأقصى ما لدينا من قوة وعزم وتصميم، فكان علينا أن نثق فى النصر .

كما كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ درسًا قاسيًا تعلمنا منه الكثير وكانت الدروس المستفادة من تلك الحرب موضوعًا للبحوث والدراسات المكثفة والجادة والإجراءات التنفيذية التى تمت لإعادة بناء القوات المسلحة وتحديث قدرتها الدفاعية والهجومية .

وقد كانت مبادرة روجرز التى قبلتها كل من مصر وإسرائيل ؛ لإيقاف القتال لمدة ٣ شهور بداية لما سمى وقتها بحالة اللاسلم واللاحرب، تلك الحالة التى نشأت من اتفاق أمريكا وروسيا على تسكين الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط، ورغم أن إسرائيل قد رفضت الموافقة على طلب مصر مد فترة وقف القتال لمدة عام، إلا أن الاشتباكات ظلت متوقفة على جبهة قناة السويس مما أعطى لقواتنا الفرصة للاستعداد للحرب، كما سيتضح فى السطور التالية .

و لقد تم التخطيط لحرب أكتوبر ١٩٧٣ فى تكامل وتنسيق بين كافة أجهزة الدولة

وليس على مستوى القوات المسلحة فقط، فكان العمل السياسى المكثف لإعداد الرأى العام العالمى لتقبل الهجوم المصرى ـ السورى لتحرير الأرض من خلال الجهود التى بذلت لعزل إسرائيل وكشف تعنتها وغطرستها واستخفافها بالقرارات الدولية، ومن هذا المنطلق كان الدعم السوفييتى لمصر وسوريا بالسلاح ـ رغم أنه كان من النوعيات الدفاعية وليست الهجومية ـ والخبراء فى مختلف أسلحة ووحدات القوات المسلحة رغم ضعفهم العلمى والعملى، ثم كان العمل الاقتصادى لإعداد الدولة للحرب من خلال توفير احتياجات الشعب من المواد الغذائية، وتكديس الاحتياطيات والمخزون الاستراتيچى من المواد الأساسية، علاوة على توفير احتياجات القوات المسلحة من مختلف الاحتياجات اللازمة لإعاشة الجيش وتدريبه وإعداده، و كان لنشاط المخابرات والشرطة أهمية كبيرة فى القبض على العملاء والجواسيس؛ لحرمان العدو من اكتشاف نوايانا واستعدادنا للحرب، الأمر الذى أدى إلى عدم ثقة القيادة الإسرائيلية فى المعلومات التى تلقتها عن استعدادنا لشن الحرب، وبالتالى تأخرت القوات الإسرائيلية فى التعبئة ورفع درجات الاستعداد لمقابلة هجوم قواتنا.

أما على الجانب العسكرى فقد تم التخطيط لعمليات أكتوبر ١٩٧٣ بأسلوب علمى دقيق لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وقد تم بحثها وإعداد الحلول لها، وقد تم التخطيط للحرب من خلال دراسة المشاكل التى تقابل القوات المسلحة لتنفيذ عملية العبور والهجوم إلى سيناء.

وفى السطور التالية سأعرض عليكم بعض هذه المشاكل، وكيف تم التغلب عليها:

المشكلة الأولى: التى كانت تؤرقنا هى قوة سلاح الطيران الإسرائيلى المنتظر أن يتدخل فى القتال خلال دقائق من بدء المعركة، ولم تكن القوات الجوية المصرية على نفس الدرجة من القوة لسببين أساسيين:

* **السبب الأول:** هو الفارق التكنولوچى فى معدات الطيران بين التسليح الغربى الأمريكى والتسليح الشرقى الروسى، والذى هو بلا جدال فى صالح الجانب الغربى.

* **السبب الثانى:** فهو إحجام الاتحاد السوفييتى عن إمدادنا بالطائرات الحديثة

القادرة على تنفيذ المهام الهجومية فى عمق إسرائيل، وهو ما يعنى طول المدى والحمولة الكبيرة من الذخائر، ورغم الجهود المضنية التى بذلها الرئيس جمال عبد الناصر قبل وفاته فى سبتمبر ١٩٧٠ ثم الرئيس أنور السادات بعد ذلك، ورغم العديد من الزيارات لقادة القوات المسلحة المصرية والروسية، والتى اشتركت شخصيًا فيها مع وزير الحربية الفريق أول محمد صادق، إلا أن هذه الجهود كلها قد باءت بالفشل، وربما كان الاتحاد السوفييتى يخشى من هزيمة مصر مرة أخرى وهو ما كان سيسئ إلى سمعة السلاح الروسى الذى تشكل مبيعاته عنصراً مهمّا فى الاقتصاد والسياسة الروسية فى تلك الفترة، وكان من نتيجة الخلافات بين القيادة المصرية والقيادة السوفييتية حول هذا الموضوع أن اتخذ الرئيس السادات قراره فى عام ١٩٧٢ بالاستغناء عن الخبراء الروس، الذين كنت على خلاف معهم فى معظم المشروعات والتدريبات التى تمت فى فترة وجودهم بمصر.

وقد تغلبنا على هذه المشكلة بتقوية عناصر الدفاع الجوى المصرية وإمدادها بأحدث أنواع الصواريخ المضادة للطائرات، ومنها الأنواع ذاتية الحركة والمحمولة على الكتف، وكان لكثافة دعم الوحدات والتشكيلات بالصواريخ المضادة للطائرات الفردية أثر كبير فى ارتفاع خسائر القوات الجوية الإسرائيلية فى معارك أكتوبر ١٩٧٣.

المشكلة الثانية: كانت تفوق إسرائيل فى عنصر المدرعات والوحدات الميكانيكية واعتمادها على الدبابات الأمريكية ذات السرعة الكبيرة ودرجة دقة النيران العالية، ورغم نجاحنا من خلال الزيارات المتكررة للاتحاد السوفييتى فى الحصول على أحدث ما أنتجه من الدبابات، وهو الدبابة ت ٦٢ إلا أن عدد ما وافقت روسيا على إمداد مصر به كان ضئيلاً، مقارنة بالمطلوب لمواجهة القوات الإسرائيلية فى عملية هجومية من المفروض أن يحقق المهاجم فيها نسبة تفوق على المدافع تصل إلى ٥ , ١ ـ ٢ : ١ على المستوى الاستراتيچى، وذلك حتى يمكن تحقيق نسبة تفوق على المستوى التكتيكى تصل إلى ٣ : ١ أو ٢ : ١، وهو الأمر الضرورى؛ لكى يمكن تحقيق الاختراق والتفوق المناسب ضد القوات المدافعة التى تتمتع بمزية التحصين فى الأرض وتنفيذ خطط النيران المجهزة مسبقًا، وكان كل ما تم إمداد مصر به من هذه الدبابة الحديثة هو لواءين مدرعين أى حوالى ١٩٠ دبابة.

وتم التغلب على هذه المشكلة بدعم الوحدات والتشكيلات المشاة والميكانيكية

والمدرعة بعناصر الصواريخ المضادة للدبابات، سواء المحمولة بواسطة الفرد أو المجهزة على العربات أو المركبات المدرعة، وكان لهذه الصواريخ أثرها الكبير فى فداحة خسائر إسرائيل من الدبابات، وكانت كثافة استخدامها هى إحدى مفاجآت حرب أكتوبر، كما عاونت أطقم اقتناص الدبابات التى تم تشكيلها وتسليحها بالقواذف الصاروخية المضادة للدبابات فى ارتفاع نسبة خسائر إسرائيل من الدبابات خاصة أثناء القتال القريب بين القوات.

المشكلة الثالثة: كانت تتمثل فى النقط الإسرائيلية الحصينة على الضفة الشرقية لقناة السويس، حيث تمكنت إسرائيل بعد توقف القتال فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ على أثر قبول الجانبين لمبادرة روجرز، من تعلية وتقوية وتحصين النقط القوية لخط بارليف فأصبحت النقط مسيطرة بالنيران والمراقبة على طرق الاقتراب الرئيسية إلى القناة وأصبح لديها القدرة على مراقبة التحركات على الضفة الغربية لقناة السويس، كما أصبح لديها القدرة على التدخل بالنيران فى أعمال قواتنا من ناحية، ومن ناحية أخرى أصبح لديها القدرة على الصمود لضربات المدفعية والطيران المصرى، وتحمل الحصار لمدة تصل إلى أسبوعين من خلال التكديسات المتنوعة المخزنة داخل النقطة القوية الحصينة.

وبالطبع كان علينا أيضًا أن نستغل فترة توقف القتال بعد مبادرة روجرز، فتم تعلية الساتر الترابى على الضفة الغربية لقناة السويس كما تم إنشاء مصاطب للدبابات توفر القدرة على السيطرة بالنيران على الضفة الشرقية، ومعاونة القوات القائمة بالقتال عليها، وكان لهذه الإنشاءات أثر كبير فى إخفاء تحركات القوات ومعدات العبور فى الفترة الحاسمة للإعداد.

وقد كان القرار بتعلية الساتر الترابى على الضفة الغربية للقناة وإنشاء مصاطب الدبابات نتيجة لموقف متفجر حدث فى عام ١٩٧٢ أثناء أحد اجتماعات الرئيس الراحل أنور السادات مع قيادة القوات المسلحة لمناقشة استعدادات القوات المسلحة للعبور، وفى هذا الوقت كان الفريق أول محمد صادق وزيرًا للحربية، وكان دائم الشكوى من نوعية السلاح الروسى ذى الطبيعة الدفاعية خاصة فى المدفعية المجرورة والطيران قصير المدى قليل الحمولة من الذخائر، وكان من رأيه أنه يجب أولاً تحسين نوعية التسليح قبل القيام بالهجوم حتى يمكن لنا ضمان نجاح عملية العبور الصعبة فى مواجهة التفوق الإسرائيلى فى المدرعات والطيران، علاوة على تمسكها بالمواقع المسيطرة على القناة.

وأثناء المناقشة قال اللواء عبد القادر حسن، وكان مساعداً لوزير الحربية: سنحارب بما لدينا، ويجب أن يكون التخطيط بحيث لا نحتاج إلى دعم روسى فى وسط المعركة.

ولم يعجب هذا الرأى الرئيس السادات، حيث كان معناه أن التخطيط أولاً غير جاهز، وثانيًا أنه سيهدف إلى العبور بقوات صغيرة ولعمق قليل فى سيناء.

وتدخل اللواء محمود فهمى على، وكان قائداً للقوات البحرية، قائلاً: إن القادة لا يقصدون استحالة الهجوم حاليًا، ولكن سيتم وضع الخطة التى تحقق النجاح.

وقال الرئيس السادات: « دعونا نستمع إلى القادة الميدانيين ».

وقال اللواء سعد مأمون الذى كان قائداً للجيش الثانى: نحن جاهزون يافندم.

وجاء الدور علىَّ للحديث، وكنت قائداً للجيش الثالث، وسألنى الرئيس السادات رحمه الله: « إيه رأيك يا عبد المنعم ؟ ».

فقلت: « يافندم نحن سنحارب بما فى أيدينا من سلاح، ولكن هناك بعض العوامل التى يجب وضعها فى الاعتبار، فقد رفعت إسرائيل الساتر الترابى على الضفة الشرقية للقناة حتى أصبح ارتفاعه بين ٢٠ ـ ٢٥ مترًا حسب طبيعة الأرض، فى الوقت الذى لا يتعدى ارتفاع الساتر الترابى لقواتنا على الضفة الغربية للقناة ٦ أمتار، وبالإضافة إلى ذلك فإن القوات الإسرائيلية لديها نظارات مراقبة ليلية، وبذلك يمكن للقوات الإسرائيلية مراقبة تحركات قواتنا ليلاً ونهارًا، وعند احتلالنا لنقط للهجوم سنكون مكشوفين تمامًا للعدو، وبالتالى فعندما نقول: « بسم الله الرحمن الرحيم »، سيقوم العدو بتوجيه ضربة إحباط وسنقول: « صدق الله العظيم ».

ولم يعجب الكلام الرئيس السادات، فقال للفريق أول صادق: « ما الذى يمنعكم من تعلية الساتر الترابى ».

ورد الفريق صادق بأنه قد طلب من مجلس الوزراء مبلغ ١٦ مليون جنيه لهذا الغرض، ولم يخصص المبلغ فى الموازنة.

وفى هذه اللحظة قال مدير هيئة الإمداد والتموين للقوات المسلحة بدهشة: « هو احنا حنحارب يافندم ».

وغضب الرئيس السادات وقال: « ما هذا، مدير الإمداد والتموين لا يعرف أننا سنحارب». ثم انصرف غاضبًا، وفى غضون أيام صدرت قرارات بإجراء عدة تغييرات فى قيادات القوات المسلحة، وبات جليًا أن الرئيس السادات غير راض عن من أطلق عليهم فى هذا الوقت « رجالة الفريق صادق » الذى كنت - فى رأيه - واحدًا منهم، رغم ما كان يكنه لى من حب واحترام، وفى يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ عين الفريق أول أحمد إسماعيل على وزيرًا للحربية بدلاً من الفريق أول محمد أحمد صادق.

وبعد هذا الموقف تم تخصيص الموازنة المالية، وبدأنا فى بناء الساتر الترابى ومصاطب الدبابات على الضفة الغربية لقناة السويس لستر أعمال وتحركات قواتنا، كما بدأنا اعتبارًا من شهر ديسمبر ١٩٧٢ فى تجهيز مرابض نيران المدفعية والمناطق الابتدائية للهجوم ومراكز القيادة وساحات إسقاط الكبارى والمعديات، وعلاوة على ذلك فقد تم تجهيز شبكات الطرق والمدقات الطولية والعرضية؛ لتسهيل تحركات القوات والمناورة بها من اتجاه إلى آخر، ولم نغفل تقوية الكبارى على ترعة الإسماعيلية؛ لتتحمل مرور الدبابات إلى القناة، كما تم تحسين التجهيزات الهندسية للمواقع الدفاعية غرب القناة.

المشكلة الرابعة: كانت تكمن فى كيفية التغلب على التجهيزات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة: حيث قامت إسرائيل بتعلية الساتر الترابى على الضفة الشرقية للقناة حتى وصل إلى ارتفاع ٢٠ مترًا فى بعض الأماكن، وقامت بزحزحته إلى خط الماء تقريبًا، وأنشأت فتحات ومصاطب لاحتلال الدبابات عليه، مما يجعل العبور ينتهى بتكدس القوات على شريط ضيق للغاية يسهل من تدميرها بالمدفعية والدبابات، كما يجهزها لمذبحة حاسمة بالطيران.

وبعد العديد من التجارب لاختيار الأسلوب الأمثل لفتح الثغرات فى هذا الساتر الترابى، نجح أحد ضباط المهندسين العسكريين المصريين فى تطوير مضخة مياه لتكون ذات قدرة دفع هائلة للمياه حتى أطلق عليها مدافع المياه، وتم تجربتها فى أحد مناطق الاختبارات على ساتر ترابى تم بناؤه بنفس مواصفات الساتر الترابى، الإسرائيلى، ونجحت المضخة المصرية فى تجريف الساتر الترابى وفتح ممر فيه فى خلال عدة ساعات.

ومن ناحية أخرى تم تصميم سلالم من الحبال وعصى وأدوات الحفر؛ لكى يستخدمها أفراد المشاة فى الموجات الأولى للعبور؛ لتسلق الساتر الترابى واحتلاله كما تم تصميم عربات يدوية لحمل الذخيرة وجرها لصعود الساتر الترابى، كما تم ابتكار جاكتة العبور التى تمكن الجندى من حمل كل احتياجاته بسهولة أثناء العبور والقتال.

المشكلة الخامسة: تمثلت فى قيام إسرائيل بتجهيز خزانات للنابالم على طول الجبهة، وخاصة فى القطاعات المحتملة للعبور، وهذه الخزانات كانت مملوءة بالنابالم وهو مادة سريعة الاشتعال ينتج عن اشتعالها حرارة شديدة للغاية يمكنها فى بعض الأنواع أن تسبب انصهار الحديد (وهو ما جربناه عمليًا فى عمليات يونيو ١٩٦٧ أثناء انسحاب اللواء ١٤ مدرع)، كما أن هذه المواد لايمكن إطفاؤها بالماء، حيث تطفو على سطحه، وكانت إسرائيل قد قامت فى سبتمبر عام ١٩٧١ بتجربة هذه الخزانات عمليًا على سطح مياه القناة، وارتفعت ألسنة النيران الشديدة على صفحة الماء معلنة عن مشكلة خطيرة تواجه القوات المصرية، وارتفعت فى اليوم التالى أصوات القادة الإسرائيليين تعلن فى غرور وثقة أنه على القوات المصرية أن تفكر ألف مرة قبل أن تحاول عبور القناة، حيث ستقوم النقط الحصينة بإشعال مياه القناة وحرق القوات المصرية فوق صفحة الماء قبل أن تصل إلى الضفة الشرقية للقناة.

وفى صمت تم دفع عناصر استطلاع المهندسين؛ لاستطلاع الخزانات، وتم معرفة كل تفاصيل خزانات النابالم وأسلوب السيطرة عليها، وكانت المشكلة أنه يتم إطلاقها بوسائل تحكم حديثة من داخل النقط القوية، وجربنا فى أحد الأوقات أن تقوم القوات أثناء العبور بضرب المياه المشتعلة بسباطات البلح لتفريق وإضعاف كتل النابالم إلا أن هذه الطريقة لم تنجح، وأخيرًا تم حل المشكلة بواسطة عمل سدادة من الخشب توضع فى الماسورة الموصلة إلى سطح الماء على أن يتم سدها تمامًا بواسطة سلة من السلك المملوء بالأسمنت، علاوة على قطع الخراطيم المتصلة بالخزانات، وتم اختيار مجموعة من الأفراد والضباط الذين يجيدون السباحة؛ لتنفيذ هذه العملية، وتم تدريبهم وإعدادهم جيدا لساعة التنفيذ.

المشكلة السادسة: كانت أعقد المشاكل جميعًا، وهى الخواص الطبيعية لقناة السويس كمانع مائى وتأثيرها على انتظام عملية عبور القوات ووصولها فى الوقت المحدد إلى أهدافها المحددة من ناحية، ومن ناحية أخرى تأثير هذه الخواص على

عمليات إنشاء الكبارى والمعديات؛ لنقل المعدات الثقيلة كالدبابات والمركبات والمدفعية والعربات التى تحمل احتياطيات الذخيرة والاحتياجات المختلفة.

ولم يكن من وسيلة للتحكم فى الظواهر الطبيعية التى تتحكم فى مياه القناة، وكان الحل يكمن فى الدراسات المكثفة والتخطيط الجيد والتجارب المستمرة والتدريب الجاد على تنظيم جداول العبور، بحيث يتم تقليل تأثير الخواص الطبيعية للقناة إلى أقل حد ممكن على انتظام عملية العبور، مع وضع الخطط البديلة لكل الاحتمالات وتدريب القوات عليها، ورغم ذلك فقد واجهتنا بعض المشاكل أثناء العبور، وهو ما سنأتى إليه فى حينه.

ولم يكن حل المشاكل فقط هو الشغل الشاغل للقوات المسلحة فى تلك الفترة، بل إن التدريب الجاد والشاق كان يسير جنبًا إلى جنب مع تلك الأبحاث والتجارب، والحقيقة التى يجب أن نذكرها هنا أن التدريب على العبور كان قد بدأ مع نهاية عام ١٩٦٧ وبداية عام ١٩٦٨ ، حيث بدأت الوحدات فى التدريب على عبور الموانع المائية فى منطقة القصاصين بالشرقية على ترعة صغيرة تسمى البعالوه، ثم تطور إلى التدريب على الرياح البحيرى بمنطقة برقاش على الحدود الغربية لمحافظة المنوفية، كما تم إجراء مناورات للتدريب بمستوى الفرقة الكاملة فى الصحراء الغربية، ومع اقتراب موعد الهجوم بدأ التدريب يتركز على المهام القتالية الفعلية فى صورة مشروعات لتدريب مراكز قيادة الوحدات والتشكيلات دون الإعلان عن الغرض من هذه المشروعات، والذى كان لتجهيز الخطط والقرارات للعمليات الفعلية، ووصل مستوى التدريب إلى إقامة مشروع مراكز قيادة على مستوى قيادة الجيش الثالث الميدانى، وكانت الجدية القصوى فى التدريب هى السمة الواضحة لتلك الفترة، وكثيرًا ما حضر المناورات رئيس الجمهورية معبرًا عن حرصه على متابعة إعداد أبنائه للمهمة المقدسة، **وأذكر أنه أثناء أحد المشروعات التكتيكية التى تتخللها رماية بالذخيرة الحية، سقطت إحدى قذائف المدفعية على مركز ملاحظة المدفعية وقتل أحد الضباط وجنديان، وكان وزير الحربية حاضرًا لهذا المشروع، فأمر باستمرار المشروع دون توقف، ودخلت سيارة الإسعاف، وتم إخلاء المصابين والقتلى، وفى اليوم التالى صدر قرار وزير الحربية باعتبار شهداء التدريب شهداء حرب.**

المشكلة السابعة: كانت تتمثل فى أهم الموضوعات التى علينا أن نتقنها، وهى عملية اقتحام النقط الإسرائيلية الحصينة على الضفة الشرقية للقناة، وكان لابد من الحصول على المعلومات عن تنظيم وتحصين النقط القوية وخطط نيرانها ونظام الألغام التى تحيط بها، وتم تكليف القوات الجوية بمهمة تصوير ناجحة، وتم تحليل الصورة الجوية للنقط القوية، وأضيفت إليها معلومات عناصر الاستطلاع المختلفة، وقمنا بإنشاء نقطة قوية مماثلة للنقط القوية الإسرائيلية، فى ميدان التدريب التكتيكى للجيش الثالث على طريق القاهرة- السويس، وراعينا أن تشمل جميع مواصفات النقطة الإسرائيلية من التحصين وفتحات الأسلحة والساتر الترابى وحقول الألغام، وتم التدريب الواقعى على هذه النقطة بواسطة القوات المكلفة بالاستيلاء على النقط القوية الإسرائيلية.

أما المشكلة الثامنة: التى كانت تواجه القيادة العامة للقوات المسلحة، فكانت تتمثل فى توقيت الهجوم، وكيفية إخفاء نية الهجوم عن مخابرات إسرائيل المشهورة بالقدرة على معرفة ما يدور فى غرف النوم (كما كانوا يقولون)، ومن خلال اللقاءات المستمرة المعلنة والسرية بين القيادات والمخططين المصريين والسوريين تم الاتفاق على توقيت الهجوم المتزامن على الجبهة السورية والمصرية فى الوقت نفسه لما لذلك من أثر فى تشتيت جهود القوات الإسرائيلية ومنعها من التركيز على إحدى الجبهتين لإحباط الهجوم، ومن ثم تم اختيار توقيت الهجوم؛ ليكون الساعة الثانية بعد ظهر يوم السادس من شهر أكتوبر ١٩٧٣.

وبقيت المشكلة التاسعة: وهى إخفاء نوايا وخطط الهجوم عن أعين القوات والمخابرات ووسائل تحليل المعلومات واتخاذ القرار الإسرائيلية، وتم وضع خطة الخداع على مستوى الجيش الثالث فى إطار خطة خداع واسعة، على المستوى الإستراتيجى والتكتيكى، ووضعت مفصلة لكل مرحلة من مراحل الإعداد للمعركة، وبذلت القيادة السياسية جهودًا كبيرة لعزل إسرائيل سياسيًا، وقد نجحت مصر فى التأثير على كثير من الدول؛ لقطع علاقتها مع إسرائيل، وقبل الحرب بعدة شهور جرى التركيز على سلاح البترول؛ لإيهام إسرائيل بأن مصر إذا لجأت إلى سلاح البترول فإنها ستترك جانبًا التفكير فى قيام الحرب، وقد ساعد أيضًا فى ذلك زيارة السكرتير العام للأمم المتحدة لسوريا؛ للتفاهم معها على كيفية تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يشمل الاعتراف بحق إسرائيل فى الوجود كجزء من

عملية السلام وعودة القوات إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ وهو الأمر الذى كانت تعارضه سوريا. كما كان لزيارة السكرتير العام للأمم المتحدة للقاهرة وتصريح مصر بأنها تؤمن بتحقيق تسوية عادلة فى الشرق الأوسط كأساس لإقرار السلام فى المنطقة دورٌ مهمٌ فى إعطاء الانطباع أن مصر لاتسعى إلى الحرب.

ثم تم ترويج إشاعات بأن الأسلحة الموجودة غير صالحة للحرب، وأن الاستغناء عن الخبراء الروس قد أثر على كفاءة شبكات الدفاع الجوى، وأن بطاريات الصواريخ قد أصبحت غير صالحة من الناحية الفنية، وأن الطيارين غير راضين عن الطائرات الروسية المتخلفة عن الطائرات الأمريكية التى زودت بها إسرائيل.

وعندما اقترب موعد الهجوم أكثرنا من الحديث عن مناورة الخريف التى كانت فى الحقيقة خطة العبور، وأطلق عليها الاسم الكودى تحرير ٤١ ، وبدأنا فعلاً فى تنفيذها كمشروع تدريبى مثل كل المشروعات التدريبية التى كنا ننفذها كل عام، وفى الوقت المخطط تحولت مناورة الخريف أو المشروع تحرير ٤١ إلى العملية الحقيقة لتحرير سيناء (جرانيت ٢ المعدلة).

وكانت كيفية إخفاء احتلال قواتنا للمنطقة الابتدائية للهجوم من المشاكل التى تغلبنا عليها باتخاذ جميع الإجراءات التى تخدع العدو عن استعداداتنا للعبور، فتم استمرار البلدوزرات فى العمل فى تعلية وإصلاح الساتر الترابى حتى يوم الهجوم، كما تكونت مجموعات من الجنود كانت تسير على الساتر الترابى فى تكاسل وبدون سلاح، وبعضهم يصيد السمك، والبعض الأخر يسبح فى القناة، كما كانت التحركات تجرى ليلاً بالإضاءة الكاملة حتى تعودت القوات الإسرائيلية على مشهد التحركات الليلية، وتم عمل ستائر معدنية لإخفاء التحركات على الطرق عن رادارات العدو، وإمعانًا فى خداع العدو، تركت الإجازات مفتوحة حتى يوم ٢٨ سبتمبر، حيث قيل إن هيئة التفتيش ستقوم بالتفتيش على الجيش، كما تم تسريح دفعة رديف (احتياط) طبقا لخطة القوات المسلحة قبل الحرب مباشرة.

ولاشك أن خطة الخداع قد أتت ثمارها كاملة، فلم تتأكد القيادة الإسرائيلية من نية القوات المصرية والسورية فى الهجوم إلا صباح يوم ٦ أكتوبر على الأرجح، وكان الوقت المتبقى قصيراً للغاية، ولا يسمح بتنفيذ أسلوب إسرائيل فى توجيه

ضربات الإحباط وشن الحرب الوقائية؛ لسبق العرب بالهجوم خاصة أن يوم الهجوم قد تم اختياره؛ ليكون يوم السبت الموافق عيد الغفران، وهو عيد دينى يهودى كبير تعطل فيه المصالح، وتوقف فيه المواصلات، وتتعطل فيه الحياة فى إسرائيل بشكل كبير، الأمر الذى ضاعف من تأثير المفاجأة على كفاءة نظام التعبئة الإسرائيلى.

وبنهاية تلك المراحل المتعددة والمتشابكة للاستعداد لمعركة تحرير الأرض، أصبحت القوات المسلحة على أهبة الاستعداد؛ لتنفيذ المهمة المقدسة، واستعادة سيناء بعد ست سنوات وأربعة شهور من الاحتلال الإسرائيلى.

وكجزء من القوات المسلحة، أصبح الجيش الثالث الميدانى، الذى كنت قد توليت منصب رئيس أركان حربه فى ١٢ سبتمبر ١٩٦٩ ثم أصبحت قائداً له اعتبارا من يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٠، فى أعلى درجات الاستعداد لتنفيذ ما تم تخطيطه والتدريب عليه، والإعداد له على مدى حوالى ٤ سنوات.

وكنا جميعا على ثقة فى أن نصر الله قريب، فقد فعلنا كل ما يمكننا؛ لنستعد ليوم الثأر وتحرير الأرض:

لقد خططنا للهجوم على أعلى مستوى من الدقة، واستخدمنا الدراسات العلمية الدقيقة لحل كافة المشاكل التى ستقابلنا، كما أعددنا الحلول المناسبة لأى مشاكل من الممكن أن تقابلنا.

وقد تدرب كل منا على المهمة المكلف بها حتى وصلنا إلى مستوى الاحتراف المطلوب فى مثل هذه العملية المعقدة، كما أعددنا القوات معنويّا وعقائديّا وبدنيّا لتنفيذ المهمة المقدسة، وأصبحت لديهم قناعة أنهم قادرون على تحقيقها ومستعدون للتضحية فى سبيل إحراز النصر.

وكان للعوامل السابقة أثرها فى أن يكون عبور الجيش المصرى لقناة السويس من أنجح عمليات اقتحام الموانع المائية فى التاريخ العسكرى العالمى، كما كانت خسائرنا أثناء العبور مفاجأة لجميع المحللين العسكريين الذين توقعوا أن تصل الخسائر فى هذه العملية إلى ٢٥ ٪ من القوات على الأقل، ولكنها لم تتجاوز ٢ ٪.

* * *

القسم الرابع
التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية

بناء على توجيهات من الرئيس أنور السادات، قررت القيادة العامة للقوات المسلحة مساء يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ تطوير الهجوم فى اتجاه الشرق، للضغط على القوات الإسرائيلية؛ لإجبارها على تخفيف ضغطها على القوات السورية فى الجولان بعد أن أصبحت العاصمة السورية هدفًا للغارات الجوية، وأصبحت القوات الإسرائيلية على مسيرة بضع عشرات من الكيلومترات منها، ورأت القيادة السياسية فى مصر أنه لابد من عمل تقوم به القوات المسلحة المصرية لدفع العدو لتحويل مجهوده الرئيسى عن سوريا.

وحتى هذا اليوم كانت قوات الجيش الثالث والثانى أيضًا قد حققت المهام المطلوبة منها بنجاح كبير، رغم عدم النجاح فى السيطرة على خليج السويس طبقًا للتخطيط، حيث كانت القوات فى رأس كوبرى الجيش متمسكة بالخطوط التى نجحت فى الوصول إليها، وكانت القوات فى هذا الوقت تقوم بتأمين رأس الكوبرى وتواصل صد الهجمات المضادة للعدو، وتكبده المزيد من الخسائر كل ساعة، وكنا ببساطة ننفذ التخطيط الموضوع للعمليات الذى درسناه طويلاً، وتدربنا عليه مرات ومرات، وحتى هذا التوقيت كان تدخل القيادة العامة فى قرارات الجيوش محدود، فالخطة تحتوى على كل صغيرة وكبيرة، والقادة الميدانيون يمارسون القيادة والسيطرة على القوات، ويتخذون القرارات المناسبة بناء على الأوضاع والمواقف الفعلية التى يطلعون عليها بأنفسهم.

وفى مساء يوم ١٢ أكتوبر صدرت تعليمات تطوير الهجوم فى اتجاه الممرات الجبلية، وتحدد صباح يوم ١٤ أكتوبر لبدء التطوير.

ولكى نستطيع تقييم هذه المرحلة المهمة من أحداث حرب أكتوبر، والتى كان لها أثر كبير فى تغير مسار الحرب، يجب أن نتعرف أولاً على الموقف فى نطاق الجيش

الثالث عند وصول توجيهات العمليات بالتطوير إلى مركز القيادة المتقدم للجيش مع مندوب القيادة العامة للقوات المسلحة الساعة ١٨٠٠ يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

موقف الجيش الثالث الساعة ١٨٠٠ يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ (الخريطة رقم ١٤) :

● **النسق الأول للجيش شرق القناة :**

* فى اليمين ، على محور الشط ـ متلا :

الفرقة ١٩ مشاة ومعها اللواء ١ مشاة ميكانيكى واللواء ٢٢ مدرع من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى وكتيبة من المجموعة ١٢٧ صاعقة ، علاوة على عناصر الدعم الأخرى .

وكان إجمالى الخسائر من الدبابات على هذا المحور ١٠٠ دبابة بين عاطلة أومدمرة .

أما المتبقى فكان ١٤٩ دبابة صالحة للقتال .

* فى اليسار على محور جنوب البحيرات ـ الجدى :

الفرقة ٧ مشاة ومعها اللواء ٢٥ المدرع المستقل وبقايا الكتيبة ٦٠٣ مشاة الميكانيكية من اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى مستقل (فى النقطة القوية الإسرائيلية بكبريت) وكتيبة صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة ، علاوة على وسائل الدعم الأخرى .

وكان إجمالى الخسائر على هذا المحور ٤٠ دبابة بين مدمرة وعاطلة .

و كان المتبقى ١٧٨ دبابة صالحة للقتال .

● **النسق الثانى للجيش والاحتياطيات غرب القناة :**

* الفرقة ٤ المدرعة :

اللواء ٢ المدرع فى منطقة تمركز بالجفره ، ومنه كتيبة دبابات تتمركز جنوب طريق السويس بمنطقة كم ٧٥ / ٥٩ ، و٢ سرية دبابات تحتل المصاطب على الضفة الغربية للقناة بمنطقتى جنوب البحيرات ، وحوض الدرس .

اللواء ٣ المدرع يتمركز فى منطقة كم ٨٥ طريق السويس .

اللواء ٦ مشاة ميكانيكى يتمركز فى منطقة الموقع المتوسط بمنطقة كم ١٠٩ طريق السويس ومنه سرية مشاة ميكانيكية فى بورتوفيق .

قيادة الفرقة ٤ المدرعة ووحدات القيادة والسيطرة بمنطقة الجفرة .

* الفرقة ٦ المشاة الميكانيكية ، عدا اللواء ١ مشاة ميكانيكى واللواء ٢٢ المدرع :

اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى ومعه الفوج ١ حرس حدود فى قطاع بير عديب .

قيادة الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى ووحدات القيادة والسيطرة بمنطقة كم ٨٢ طريق السويس.

* الكتيبة ٤٣ صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة فى منطقة بور توفيق ولسان بورتوفيق.

* المجموعة ١٢٧ صاعقة، عدا ٣ كتائب فى مطار القطامية.

* اللواء ٣٢ دفاع إقليمى يدافع غرب القناة وعلى خليج السويس كالآتى:

كتيبة تؤمن منطقة الزيتيات، ومنها سرية فوق جبل عتاقة.

كتيبة تدافع عن معابر الفرقة ١٩ مشاة.

كتيبة تدافع عن معابر الفرقة ٧ مشاة.

قيادة اللواء ٣٢ دفاع إقليمى فى مدينة السويس.

* لواء الصاعقة الفلسطينى: يدافع عن المنطقة غرب البحيرات المرة حتى الحد اليسار للجيش.

بقايا الكتيبة ٦٠٢ مشاة ميكانيكى من اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى مستقل مدعمة بكتيبة هاون تدافع عن منطقة مطار كبريت.

● **مراكز قيادة وسيطرة الجيش:**

* مركز القيادة المتقدم فى المنطقة ٤ كم غرب معسكر الشلوفه.

* مركز القيادة الرئيسى فى منطقة بسطة الحميره.

* مركز السيطرة الخلفى فى منطقة الروبيكى.

الموقف العام للعدو فى مواجهه الجيش الثالث حتى يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣:

كان العدو خلال الفترة السابقة يدير معارك دفاع تعطيلى مع القيام بهجمات مضادة بهدف تثبيت أوضاع قواتنا على الخطوط التى وصلت إليها على طول مواجهه الجيش مركزاً على المحاور الرئيسية ومحافظًا على الاتصال بقواتنا، وذلك تمهيدًا للقيام بالضربات المضادة القوية، مع الوضع فى الاعتبار أعمال القتال الدائرة على الجبهة السورية، وانشغاله فى تصفيتها والحد من نجاحها.

تلاحظ انخفاض المجهود الجوى للعدو خلال الأيام ١٠ و ١١ و ١٢ أكتوبر، ضد مواجهه الجيش نتيجة تركيز هذه الجهود على الجبهة السورية عدا الهجمات

الجوية على اللواء ١ مشاة ميكانيكى فى منطقة عيون موسى، كما تعرضت المعابر لتدمير جزئى نتيجة قصفها بنيران المدفعية بعيدة المدى والطيران.

وقد قدرنا حجم قوات العدو التى عملت خلال الفترة من ٦ إلى ١٢ أكتوبر فى مواجهه الجيش الثالث بقوة ٢ لواء مدرع ولواء مشاة ميكانيكى وكتيبة مشاة وحوالى ٦ كتائب مدفعية منهم كتيبة عيار ١٧٥ م ووحدات من الصواريخ المضادة للدبابات والمدافع المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات، وكان يعمل فى النسق الثانى لواء مدرع يتمركز فى وادى الفراشات على محور متلا.

وقد قام العدو باستغلال المناطق السابق تجهيزها هندسيًا كخطوط صد مضادة للدبابات، وقام بالمناورة فى استخدامها بواسطة الاحتياطيات القريبة بغرض التراشق بنيران الدبابات، وجذب دبابات قواتنا؛ لتدميرها بالصواريخ المضادة للدبابات.

وبناءً على أوضاع الجيش والعدو وأعمال العدو المنتظرة، وبعد فشل محاولاتى أنا واللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى؛ لإقناع الوزير بتأجيل التطوير لحين استقرار موقف القوات فى رأس كوبرى الجيش ونقل عناصر الدفاع الجوى إلى الشرق وإرهاق العدو بسلسلة من عمليات الصد القوية قبل البدء فى التطوير الذى كنا نفضل أن يتم بعد استطلاع دقيق للمحاور وتصوير الدفاعات الإسرائيلية عن الممرات مع توجيه ضربات جوية قوية للقوات التى تدافع عن الممرات، وهى إجراءات لم يتم تنفيذ معظمها، اتخذت قرارى لتطوير الهجوم فى اتجاه الممرات الجبلية فى قطاع الجيش الثالث كالآتى:

*اللواء٣ المدرع يدفع للهجوم من رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة فى اتجاه ممر متلا.

* الكتيبة ٣٣٩ مشاة الميكانيكية من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦مشاة الميكانيكية تدفع للهجوم من رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة على الجانب الأيمن للواء ٣ المدرع عبر وادى مبعوق إلى وادى الراحة؛ للوصول إلى ممر متلا بمعاونة دليلين من عرب سيناء.

* اللواء١١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٧ مشاة يدفع للهجوم من رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة فى اتجاه ممر الجدى.

* يسبق تحرك هذه القوات دفع ٢ سرية صاعقة؛ للعمل ضد العدو الذى يؤمن المداخل الغربية لممر متلا.

سير عملية التطوير يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ (الخريطة رقم ١٥) :

الساعة ٠٠٥٠ يوم ١٤ أكتوبر وردت معلومات من إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع عن موقف العدو حتى الساعة ١٣٠٠ يوم ١٣ أكتوبر تتلخص فى الآتى :

* يواصل العدو الاتصال بقواتنا وشغلها لكسب الوقت وإجهاد قواتنا وتكبيدها أكبر خسائر ممكنة بالهجمات المضادة والتراشق بالنيران، كما يدفع العدو بقوات جديدة من العمق فى نطاق بناء الاحتياطيات، استعداداً لتوجيه ضربة مضادة ضد قواتنا، حيث رصد لواء مدرع ولواء مشاة ميكانيكى فى منطقة أرض هبوط وادى الفراشات على محور متلا، ويحتمل أن تكون السابق رصدها فى بير تمادا بالإضافة إلى لواء مدرع فى محور المليز ـ شعير.

* تَلاَحُظُ انخفاض واضح فى حجم المجهود الجوى على الجبهة المصرية، حيث يركز العدو نشاطه الجوى على الجبهة السورية.

ولاشك أن عناصر استطلاع الجيش قد قامت بجهد كبير لمعرفة المعلومات المطلوبة، ولكن شدة المعارك الدائرة طوال الفترة الماضية والتى تركزت فى شكل هجمات مضادة قادمة من اتجاه الممرات أدت إلى وقوع العديد من الخسائر فى عناصر استطلاع الجيش نتيجة تخصيص القوات الإسرائيلية لجزء من القوات لتفتيش المناطق التى يشك فى وجود عناصر استطلاع بها وأسرها أو القضاء عليها، وكان لدقة نيران مدفعية الجيش ضد احتياطيات العدو المتقدمة التى أبلغت عنها عناصر استطلاع الجيش وتابعت تحركها أثر كبير فى عرقلة تقدم الاحتياطيات المعادية من ناحية، ومن الناحية الأخرى كانت هذه الدقة مؤشراً للقوات الإسرائيلية على وجود عناصر استطلاع مصرية فى المنطقة وبالتالى التفتيش عنها وأسر بعضها واستشهاد الكثير من رجالها الأبطال.

وفى الوقت نفسه بدأ وصول إمدادات الجسر الجوى الأمريكى محملاً بأكثر من ٢٧,٨٠٠ طن احتياجات حرجة، شملت صواريخ الطائرات والصواريخ المضادة للدبابات من طراز (تو) الحديثة جداً فى ذلك الوقت، والدبابات، وذخيرة المدفعية خاصة ذخيرة المدفع ١٧٥ مم، وكذا بدأ وصول الجسر البحرى الأمريكى محملاً بأكثر من ٣٢,٢٠٠ ألف طن معظمها من الدبابات، وبدأ دفعها فوراً إلى الوحدات الإسرائيلية المشتبكة مع القوات المصرية.

وفى إطار تلك الظروف بدأ التطوير فى اتجاه الشرق، وهو ما سنسرد أحداثه فى السطور التالية :

• هجوم اللواء ٣ مدرع من الفرقة ٤ مدرعة يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

تم تأمين دفع اللواء للهجوم تحت إشراف قائد الفرقة ١٩ مشاة وقائد الفرقة ٤ المدرعة بقيام المدفعية بقصفة نيران لمدة ١٥ دقيقة على الأهداف المعادية المرئية فى مواجهة وعلى جانبى خط الدفع، واشترك فى القصف ٥ كتائب مدفعية ميدان، كما تم دفع الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى على الجانب الأيمن للواء ٣ مدرع من خلال وادى مبعوق، بالإضافة إلى دفع «٢» سريتى صاعقة للعمل على المدخل الغربى لمحور متلا، حيث بدأت تحركها فى منتصف ليلة١٣/ ١٤ أكتوبر، وبدأت أعمالها فى مهاجمة مواقع العدو، الساعة ٠٦٠٠ يوم ١٤ أكتوبر.

ورغم كل هذا التأمين لعملية الهجوم، لم ينجح اللواء ٣ مدرع فى تنفيذ المهمة رغم وصوله لمسافة ٧ كم غرب مضيق متلا؛ لوقوعه فى كمين مضاد للدبابات للعدو، علاوة على خروجه من نطاق الحماية بالصواريخ المضادة للطائرات، وتعرضه للقصف الجوى المعادى المكثف، **ودارت الأحداث تفصيلاً كالآتى :**

بدأت عملية هجوم اللواء ٣ مدرع بداية غير مشجعة، حيث كان المخطط لتأمين هجوم اللواء ٣ المدرع تنفيذ ضربة جوية بحيث تسبق العملية إلا أنها لم تنفذ؛ لعدم إمكان تحقيق اتصال مع كتائب الصواريخ المضادة للطائرات التى تم انتقالها إلى شرق القناة قبل أول ضوء يوم ١٤ أكتوبر، وذلك حتى يتم تأمين الطلعات الجوية وعدم الضرب على الطائرات المصرية، وحتى بعد تحقيق هذا الاتصال، فإن كتائب الصواريخ المضادة للطائرات لم تتمكن من العمل، نظراً لتدخل العدو ضدها بنيران المدفعية بعيدة المدى مما قيد عملها نتيجة النيران وتدمير بعض الهوائيات اللازمة لتوجيه الصواريخ، وبذلك أصبح اللواء بدون غطاء جوى أو حماية ضد طائرات العدو.

وفى الساعة ٠٦١٥ يوم ١٤ أكتوبر بدأت مدفعية الجيش الثالث فى تنفيذ قصفة النيران لصالح التطوير، كما وجهت قواتنا الساعة ٠٦٣٦ قصفة نيران أخرى مركزة بالصواريخ التكتيكية أرض ـ أرض متوسطة المدى ضد احتياطيات العدو فى العمق،

وأثناء تقدم اللواء ٣ مدرع الذى تم دفعه فى الساعة ٠٦٠٠ قامت مدفعيات الجيش الساعة ٠٧٢٠ بقصف منطقة مراكز قيادة العدو وصواريخ الهوك المضادة للطائرات والرادارات المعادية فى مدخل ممر متلا.

ورغم قيام العدو بتوجيه هجماته الجوية ضد أرتال اللواء ٣ مدرع إلا أن اللواء نجح فى التقدم شرقًا، ووصل فى الساعة ٠٧٣٥ لمسافة ٥ كم شرق الحد الأمامى لرأس كوبرى قواتنا، وفى الوقت نفسه تمكنت عناصر الدفاع الجوى من تدمير ٣ طائرات معادية.

وفى الساعة ٠٨٠٠ اصطدم اللواء ٣ مدرع بدبابات للعدو فاشتبك معها، و فى الوقت نفسه تعرض للقصف الجوى المركز، حيث أصبح خارج مدى الحماية بالصواريخ المضادة للطائرات.

وفى نفس توقيت دفع اللواء ٣ مدرع، تقدمت الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى فى اتجاه وادى مبعوق، وفى الساعة ٠٨١٥ فقدنا الاتصال بها، فأمرت بدفع ضابط اتصال ومعه جهاز لاسلكى لتحقيق الاتصال معها ومتابعة تنفيذ المهمة، وفى الساعة ٠٩٠٠ اتضح أن الكتيبة قد تعرضت لقصف جوى معاد وهجوم بواسطة دبابات العدو، فقررت أن تستمر الكتيبة فى تنفيذ مهمتها، ويتولى رئيس عمليات الكتيبة قيادتها، نظراً لأن قائد الكتيبة مفقود، للوصول إلى تقاطع طريق سدر ـ الطاسه، وفى الساعة ١٣٠٠ كان اللواء قد توقف اعتباراً من الساعة ١٢٠٠ على مسافة ٧ كم من ممر متلا، وتعرض لقصف جوى معاد مركز، علاوة على نيران المدفعية وستائر الصواريخ المضادة للدبابات من الطائرات الهليكوبتر المعادية وفى مواجهة اللواء، كانت قوة للعدو تقدر بلواء مدرع تهاجم اللواء ٣ مدرع بالنيران، فى الوقت الذى تعذر فيه تقدم جرارات المدفعية نظراً لغرزها فى الرمال، واستشهد قائد اللواء العقيد نور عبد العزيز، وتولى القيادة المقدم حسين منصور رئيس أركان اللواء.

نظراً لكبر حجم خسائر الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى، أصدرت لها الأوامر بالتعزيز على الخط الذى وصلت إليه، وفى الساعة ١٤٠٠ قررت سحب اللواء ٣ مدرع، وأصبح على مسافة ٢ كم شرق الحد الأمامى لرأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة وقام بالتعزيز على هذا الخط، وأخذت عناصر النجدة والشئون الفنية فى سحب باقى معدات وجرارات اللواء، وقامت مدفعية الفرقة ١٩ مشاة ومدفعية الجيش وعناصر الصاعقة بتغطية هذه الإجراءات.

• هجوم اللواء ١١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٧ مشاة يوم ١٤ أكتوبر١٩٧٣ :

تم تأمين دفع اللواء بقصفة نيران على الأهداف المعادية فى المواجهة، وعلى أجناب خط دفع اللواء لمدة ١٥ دقيقة بنيران ٥ كتائب مدفعية ميدان، وتم فتح الاحتياطى المضاد للدبابات للفرقة ٧ مشاة على الجانب الأيمن للواء، وبدأ اللواء فى التقدم للهجوم الساعة ٠٧٠٠ يوم ١٤ أكتوبر، بعد قصفة النيران، ولكنه لم يتمكن من إحراز نجاح فى التقدم سوى لمسافة ٢ كم فقط شمال شرق تقاطع طريق الجدى نظراً لتمسك العدو بسلسلة من الهيئات المتتالية والمجهزة بخطوط صد للدبابات والأسلحة المضادة للدبابات.

وقمنا بإعادة تخطيط قصفة النيران؛ لتأمين الدفع مرة أخرى مع المعاونة بدفع كتيبة دبابات من اللواء ٢٥ مدرع مستقل على الجانب الأيمن للواء، بحيث يتم دفعها فى وقت يسبق توقيت دفع اللواء بزمن قدره ١٥ دقيقة؛ لجذب العدو الذى يهدد دفع اللواء بعيداً عن خط الدفع.

وبدأت كتيبة دبابات اللواء ٢٥ مدرع مستقل فى التحرك الساعة ١٢٣٠ ووصلت إلى خط المهمة المحددة لها تحت ستر نيران المدفعية، وتحددت الساعة ١٢٥٠ لدفع اللواء مرة أخرى.

ولكن فى هذا الوقت ظهر تورط اللواء ٣ مدرع وعدم تمكنه من تحقيق مهمته فى اتجاه محور متلا، فأصدرت الأوامر الساعة ١٢٤٩ بإيقاف تقدم اللواء ١١ مشاة ميكانيكى وعودة كتيبة دبابات اللواء ٢٥ مدرع إلى محلاتها بعد أن تكبدت خسائر ١٥ دبابة، واستشهد قائدها.

واستكمالاً لأحداث هذا اليوم، فقد تمكنت كتيبة من اللواء ١ مشاة ميكانيكى فى الساعة ٠٩١٥ يوم ١٥ أكتوبر من الاستيلاء على رأس مسلة وتدمير «٢» دبابتين و«٢» عربتين مدرعتين ومدفع مضاد للدبابات للعدو الذى قام فى الساعة ١١٠٠ بتوجيه عدة هجمات مضادة فى اتجاه رأس مسلة، ونجح اللواء ١ مشاة ميكانيكى فى صده بالتعاون مع نيران مدفعية الجيش.

واستغل العدو الفاصل الناتج عن تقدم اللواء ١١ مشاة ميكانيكى، ووجه الساعة ١٤٣٠ هجمة مضادة بقوة ٢ سرية دبابات فى الثغرة بين اللواء ١١ مشاة ميكانيكى و اللواء ١٢ مشاة فى قطاع الفرقة ٧ مشاة، ولكنه ارتد شرقًا تحت تأثير نيران قواتنا وفشل فى الاختراق فى الثغرة بين اللواءين.

أحداث يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

قوات التطوير :

* اللواء ٣ مدرع والكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى :

اللواء ٣ مدرع لايزال يحتل مواقع دفاعية أمام الحد الأمامى لرأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة بمسافة ٢ كم، وتبقى من دباباته بعد محاولة الهجوم ٥٨ دبابة.

● الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى :

بعد قتال الكتيبة ضد العدو من جهة الشرق فى وادى مبعوق وأثناء محاولتها التخلص من المعركة، اصطدمت بعناصر اللواء ٣ مدرع الذى اشتبكت ضدها وبالتالى زادت خسائر الكتيبة بصورة كبيرة، وكان كل ما أمكن تجميعه من الكتيبة هو: ٤ حاملة جنود مدرعة ، ٣ طاقم هاون ٨٢ م ، ١ طاقم مدفع مضاد للدبابات، ٤ مدافع مضادة للطائرات ٣٧ م ـ ٤ مدافع ميدان ٢٥ رطل، ولم يعد قائد الكتيبة وأحد ضباط قيادة الكتيبة وحوالى فصيلتين من المشاة، فأمرت بأن تعمل الكتيبة كستارة أمام اللواء١ مشاة ميكانيكى فى الجنوب على أن ينظم احتلالها تحت إشراف قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى العميد «أبو الفتح محرم».

● اللواء ١١ مشاة ميكانيكى :

حوالى الساعة ١٩٠٠ تمكن اللواء ١١ مشاة ميكانيكى من صد هجوم مضاد معاد فى مواجهته بقوة كتيبة دبابات إسرائيلية بعد تمهيد بنيران المدفعية المعادية لمدة ٢٥ دقيقة، وتمكن اللواء ١١ مشاة من تدمير ٧ دبابات للعدو وارتد الباقى شرقًا، ثم عاود العدو هجومه ثانية بغرض سحب خسائره، فتمكن اللواء ١١ مشاة ميكانيكى بالتعاون مع اللواء ١٢ مشاة من صد هجوم العدو الذى تحول إلى الفاصل بين اللواءين بعد فشلة فى الهجوم على مواجهه اللواء ١١ مشاة ميكانيكى.

وبنهاية يوم ١٥ أكتوبر كانت خسائر اللواء ١١ مشاة ميكانيكى هى ١٠ دبابات و٢٥ مركبة مدرعة.

باقى قوات الجيش الثالث :

اعتباراً من أول ضوء قام العدو بتوجيه هجمات جوية اتسمت بالكثافة العالية

بالمقارنة بالأيام القريبة السابقة مركزًا على مركز القيادة المتقدم للجيش والمعابر ومطار القطامية وعلى القوات، وأمكن إسقاط عدد ١٥ طائرة معادية، منهم ١٣ طائرة فوق مطار القطامية.

وبنهاية يوم ١٥ أكتوبر بفشل عملية التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية، وما ترتب عليه من خسائر فى القادة والأفراد والأسلحة والمعدات، والانخفاض الحاد فى القوة الدافعة للهجوم عن الأيام الأولى للحرب، كان لابد لنا من إعادة تقدير الموقف، ووضع التصور الواقعى للمرحلة التالية، و كان تقديرنا فى قيادة الجيش الثالث للموقف كالآتى :

● العدو :

يوجد له لواء مدرع فى متلا وحتى كتيبة دبابات فى قلعة الجندى بمحور سدر، علاوة على قوات منتشرة من الدبابات مدعمة بصواريخ مضادة للدبابات على طول المواجهة موزعة كالآتى :

٢٦ دبابة فى قطاع الجدى أمام الفرقة ٧ مشاة، وحتى ٣٥ دبابة فى قطاع متلا أمام مواجهة الفرقة ١٩ مشاة بالإضافة إلى ١٤ دبابة فى قطاع رأس سدر، وتحتل هذه الدبابات مصاطب دبابات مجهزة، وتعمل بأسلوب الكمائن وبفواصل كبيرة، حيث تقوم بجذب نيران قواتنا ودباباتنا، ثم تتعامل معها نيران المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات، كما جهز العدو تقاطعات الطرق والهيئات الحاكمة بمصاطب ومواقع وتجهيزات هندسية للمحافظة على حرية الحركة لقواته على محاور التقدم فى اتجاه رأس كوبرى الجيش، وتلاحظ أن هجمات العدو المضادة تقتصر حتى ذلك الوقت على قوة لا تتجاوز ٢ سرية دبابات مدعمة بسرية مشاة.

ومن هذا التحليل توقعت أن يقوم العدو بهجوم مضاد محدود كالآتى :

* استمرار العدو فى بذل كل جهوده، لتثبيت قواتنا فى رءوس الكبارى بواسطة الضرب المستمر بالمدفعية، وضرب الدبابات المستمر من المصاطب، والقصف الجوى المركز.

* القيام بهجوم رئيسى بلواء مدرع على محور متلا فى اتجاه الفاصل بين اللواء ٥ مشاة، واللواء ١٢ مشاة من جبل الراحة فى اتجاه الشط.

* القيام بهجوم تثبيتى على الأجناب بقوة حتى «٢» سريتى دبابات مدعمة من اتجاه ممر الجدى، وحتى «٢» سريتى دبابات مدعمة من اتجاه سدر.

وبناء على هذا التقدير أصدرت أوامرى بتعزيز رأس كوبرى الجيش وتأمينه استعداداً لصد هجمات العدو المضادة، والسيطرة على المنطقة بين رأس الكوبرى والمضايق بالأسلوب التالى:

* دفع دوريات وكمائن على طرق الاقتراب، ورص ألغام على طرق الاقتراب المتوقعة.

* دفع إغارات قوية بقوة فصائل وسرايا مدعمة على مرابض دبابات العدو ليلاً مع دفع ضباط إدارة نيران مدفعية مع هذه الدوريات.

* عمل كمائن من ستائر مضادة للدبابات، مكونة من دبابات وصواريخ مضادة للدبابات وألغام أمام مواجهة الفرق، مع تجهيز عناصر دبابات للعمل ككمائن خلف هذه الستائر، مدعمة بعناصر مهندسين عسكريين؛ لجذب قوات العدو إلى الستائر.

* بعد نجاح السيطرة على المنطقة تدفع قوات من النسق الثانى للواءات للأمام لكسب أرض جديدة فى حدود ٢ ـ ٣ كم كنقط قتال خارجية قوية، ثم يدفع فيما بعد وحدات من النسق الأول، وهكذا يتم توسيع رأس الكوبرى بالتتالى وبأعمال مجموعات قتال قوية من كل لواء.

* الاحتفاظ بقوة اللواء ٢٥ مدرع و اللواء ٢٢ مدرع متكاملة كاحتياطيات فى عمق رءوس الكبارى؛ لصد هجمات العدو المضادة، وتدمير أى اختراق للعدو ينجح فى تنفيذه.

* الاحتفاظ باللواء ٣ مدرع كاحتياطى للجيش فى الشرق.

* يدفع إلى الممرات الجبلية قوات صاعقة من القيادة العامة لعمل إغارات وكمائن وتدمير طريقى متلا والجدى، وذلك قبل بدء التطوير الشامل للهجوم.

* تركيز ضربات الطيران ونيران الصواريخ أرض ـ أرض على مضيق متلا، حيث يتمركز لواء مدرع للعدو فى منطقة وادى الفراشات بمنتصف الممر.

أما على صعيد الجيش الثانى لم يكن الموقف أحسن منه فى الجيش الثالث بل ربما كان أسوأ، فقد تم دفع الفرقة ٢١ مدرعة صباح يوم ١٤ أكتوبر للتطوير شرق القناة، إلا أن العدو قابلها بنيران معادية كثيفة، وتكبدت الفرقة خسائر مؤثرة، ولم تحقق نجاحًا يذكر.

الدروس المستفادة من أحداث تطوير الهجوم فى اتجاه الشرق :

* كان الهدف الاستراتيچى من عمليات التطوير شرقًا يومى ١٤ ، ١٥ أكتوبر على طول المواجهة فى نطاق مسرح العمليات للجيشين هو تخفيف أعمال قتال العدو وضغطه على الجبهة السورية ، وجذب جهده نحو الجبهة المصرية ، وعندما تأكد للقيادة العامة أن العدو قد حول مجهوده الجوى والبرى فعلاً نحو مصر وسيناء - وهو ما أدى إلى فشل التطوير - أوقفت القوات القائمة بالتطوير ، وقامت بتعزيز رءوس الكبارى شرق القناة على أن يتم التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية فيما بعد وطبقًا للتخطيط المسبق ، **وكان يفضل أن يعاد النظر فى قرار التطوير بعد تغير الموقف على الجبهة السورية بنهاية يوم ١٣ أكتوبر ، وكان من الأفضل على القيادة العامة ألا تفرض أسلوبًا محددًا على الجيوش الميدانية للعمل المطلوب ؛ لتخفيف الضغط على سوريا ، وكان يجب أن تعطى المهمة لقادة الجيوش ، ثم يتم معرفة قراراتهم فى تنفيذها ، وبالتالى يتم دعمهم أو تعديل قراراتهم ؛ لتحقيق الهدف المطلوب .**

* إن ما حققته قواتنا من انتصارات كان نتيجة للدراسة والتخطيط المحسوب والتخطيط الجيد والمسبق للعمليات ، إلا أن الموقف الخطير للقوات السورية - التى كانت تشكل الخطر الداهم على العمق القريب لإسرائيل مما أجبر العدو على نقل جهوده الرئيسية تجاهها مع تثبيت الجبهة المصرية - هذا الموقف أجبر القيادة السياسية والقيادة العامة على اتخاذ قرارها بالتطوير واستمرار العمل الهجومى للقوات المصرية دون الإعداد الكافى لهذه العملية ، وقد نتج عن ذلك أن أصبحت القوات القائمة بالتطوير خارج نطاق الحماية بالصواريخ المضادة للطائرات التى كانت لاتزال فى مواقعها غرب القناة ، فتعرضت بالتالى لهجمات العدو الجوية المركزة دون حماية من قواتنا الجوية أو عناصر الدفاع الجوى ، مما أدى إلى فشل هجماتها ، وتكبدها خسائر كبيرة .

* وضح افتقار قواتنا لعناصر الاستطلاع خفيفة الحركة وضعف المعلومات المسبقة المؤيدة بالصور الجوية لحجم وأوضاع العدو بعد ارتداده واتخاذه لخطوط دفاعية جديده فى العمق ، فلقد استعان اللواء ٣ مدرع أثناء قيامه بالهجوم والتطوير شرقًا بأدلاء من العرب يفتقرون للخبرة فى تحديد القوات المتحاربة وأنواع وأعيرة الأسلحة المعادية واتجاهات عملها المحتملة ، إذ كان الغرض من استخدامهم فقط هو

استغلال ما لديهم من معلومات عن طبيعة الأرض فى اتجاه الممرات الجبلية، وحتى هذه المعلومات لم تكن بالقدر وبالكفاءة المطلوبة، ونتج عن ذلك دخول اللواء ٣ مدرع فى مصيدة معادية من الستائر المضادة للدبابات.

* إن تكليف اللواء ١١ مشاة ميكانيكى بالاشتراك فى عمليات التطوير شرقًا فى اتجاه محور الجدى بعد قتاله المرير والمستمر لمدة ثمانية أيام متصلة، وتعرضه للخسائر فى أفراده ومعداته وأسلحته، علاوة على إجهاد قواته التى لاتزال تشترك فى تأمين رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة، نتج عنه خلق ثغرة تمكن العدو خلالها من توجيه هجمات مضادة متتالية بين كلّ من اللواء١١ مشاة ميكانيكى و اللواء ١٢ مشاة فى اليمين و اللواء ٨ مشاة فى اليسار، ورغم نجاح قواتنا فى صد هذه الهجمات وإجبار العدو على الارتداد إلا أنها تكبدت خسائر فى سبيل ذلك كان من الممكن تجنبها فيما لو تم دفع قوات جديدة من الغرب، خاصة وأن هذا اللواء لم يحقق نجاحًا فى تقدمه أكثر من ٢ كم شرقًا.

* لم تكن القوات المكلفة بالتطوير بالتشكيل والحجم الكافيين لتنفيذ مهام القتال المطلوبة مما أخل بمبدأ الحشد المطلوب للتفوق على العدو، فقد افتقرت هذه القوات لعناصر الصواريخ المضادة للطائرات والمدفعية ذاتية الحركة ولعناصر الاستطلاع المستمرة خلف خطوط العدو، علاوة على الحماية الجوية لتأمين تقدمها علما بأن وحدات المدفعية المرافقة كانت مجرورة، ولايتفق استخدامها مع طبيعة الأرض خاصة على محور متلا، ونتج عن ذلك تورطها فى مناطق الكثبان الرملية وغرزها فتعذر قيامها بتقديم المعاونة النيرانيه السريعة أو المناورة بها.

* وتجدرالإشارة هنا إلى سياسة الدفاع التى اتخذها العدو بعد سقوط خط بارليف، فقد حصن المداخل الغربية للممرات الجبلية بستائر الأسلحة المضادة للدبابات والقوات المدرعة، باعتبارها مناطق حيوية ترتكز أجنابها على مناطق جبلية وعرة يصعب المناورة حولها، ومما لاشك فيه أن فشل القوات الإسرائيلية فى الاحتفاظ بدفاعات شرق القناة يبين لنا أهمية استمرار العمل الهجومى والسرعة فى دفع وحدات خفيفة الحركة وعناصر إبرار جوى أو مظلات؛ للاستيلاء على المداخل الغربية للممرات الجبلية؛ لحرمان العدو من السيطرة عليها، وبالتالى لتسهيل تقدم قواتنا شرقًا فيما بعد.

الفصل الثالث

الضربة المضادة الإسرائيلية

القسم الأول : ثغرة الدفرسوار
القسم الثانى : التحول فى مسار الحرب
القسم الثالث : معركة اللواء ٢٥ مدرع

القسم الأول
ثغرة الدفرسوار

قبل أن ننتقل للحديث عن المرحلة الثانية لحرب ١٩٧٣ ، وهى أعمال القتال غرب القناة ضد القوات الإسرائيلية المتدفقة من اتجاه الجيش الثانى فى الشمال إلى اتجاه الجيش الثالث فى الجنوب، أحب أن أضع بعض النقاط فوق الحروف حتى يتضح للقارئ الصورة الصحيحة والواقعية لهذه المرحلة.

* **النقطة الأولى :** هى أننا يجب أن نفرق بين تسميتين لهما مدلولان مختلفان وهما الثغرة وحصار قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة، فالثغرة هى اختراق القوات الإسرائيلية لرأس كوبرى الجيش الثانى فى منطقة الدفرسوار التى تقع على الجانب الأيمن للجيش الثانى وفى الفاصل بين الجيش الثانى والجيش الثالث، أما حصار رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس، فهو استثمار القوات الإسرائيلية لنجاح قوات الثغرة فى الوصول إلى الضفة الغربية لقناة السويس واستمرار تدفقها، ثم عدم التزامها بقرار وقف القتال واندفاعها جنوبًا حتى وصلت إلى خليج السويس فى منطقة الأدبية، وبالتالى حصارها للجيش الثالث ومدينة السويس.

* **النقطة الثانية :** هى أن التخطيط الإسرائيلى للضربة المضادة والعبور إلى غرب القناة لم يكن وليد الموقف أو أحد أعمال إدارة المعركة، وإنما هو عمل مخطط منذ سنوات يراد به الرد على اقتحام القوات المصرية لقناة السويس، وتعود من خلاله إسرائيل إلى أسلوبها المفضل فى القتال، وهو المعارك المتحركة والاختراقات العميقة إلى مؤخرة القوات بعد أن أجبرتها الظروف السياسية والعسكرية على اتخاذ أسلوب الدفاع المحصن على الشاطئ الشرقى لقناة السويس.

* **النقطة الثالثة :** هى أن الضربة المضادة الإسرائيلية لم تكن مفاجئة لنا، فهى فى

الواقع أحد أعمال العدو المنتظرة من واقع تحليل القيادة العامة وقيادات الجيوش وتوقعاتهما، بناءً على ما جربناه من أساليب قتال الجيش الإسرائيلى على مدى ٢٥ عامًا سابق على حرب ١٩٧٣، ومن ثم كان التخطيط فى الجيش الثانى والثالث يشتمل على إجراءات محددة وعناصر مخصصة؛ لتوجيه هجمات وضربات مضادة إلى القوات التى تنجح فى العبور سواءً فى قطاع الجيش الثانى أو فى قطاع الجيش الثالث أو فى الفاصل بينهما، وقد تم التدريب أكثر من مرة على عملية تأمين الفاصل بين الجيش الثانى والجيش الثالث.

*** إذًا ما الذى حدث وأدى إلى حدوث الثغرة وحصار قوات رأس كوبرى الجيش الجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس، طالما أن كل شىء كان معروفًا مسبقًا وموضوعًا له الخطط المضادة؟ هذا هو ما سنجيب عليه فى الصفحات القادمة.**

ولنتعرف فى البداية على ماذا يمثل العبور غرب القناة فى فكر القيادة الإسرائيلية:

فى أعقاب وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل بعد التوقيع على مبادرة روجرز فى يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠، وعقب تحريك القوات المسلحة المصرية لكتائب الصواريخ إلى خط الجبهة قبل توقيت سريان وقف إطلاق النار بساعات، وعلى مدى الشهور الثلاثة التالية وضع الجنرال إيريل شارون الذى كان قائدًا للجبهة الجنوبية فى ذلك الوقت خطة مضادة، لمواجهة احتمال عبور القوات المصرية لقناة السويس، تتلخص فى أن تقوم القوات الإسرائيلية شرق القناة بصد وتدمير القوات المصرية التى ستقوم بالعبور، ثم توجيه ضربة مضادة إلى أضعف النقاط المنتظرة فى رأس الكوبرى المصرى، وهى إما عند جنوب البحيرات على الجانب الأيمن للجيش الثالث، أو فى منطقة الدفرسوار على الطرف الشمالى للبحيرة المرة الكبرى وعلى الجانب الأيمن للجيش الثانى، وهما منطقتان ضعيفتان من واقع وجودهما على الأطراف البعيدة لرءوس الكبارى المنتظرة واستنادهما على البحيرات المرة التى تشكل فاصلاً متسعًا بين الجيشين الميدانيين، وبنجاح القوات المدرعة الإسرائيلية فى العبور إلى غرب القناة يتم تطويق الجيش الثانى باتجاه جزء من القوات إلى الشمال كما يتم تطويق الجيش الثالث باتجاه جزء آخر من القوات إلى الجنوب، وبعد عزل الجيشين يتم التقدم إلى مشارف القاهرة وتهديد ضواحيها، وبالتالى وضع القيادة السياسية المصرية تحت ضغط كاف لقبول الشروط السياسية لإسرائيل، وأقرت

الحكومة الإسرائيلية هذه الخطة فعلاً، وتم تزود القوات الإسرائيلية بعدد من معدات العبور، وتم التدريب عليها فى سيناء.

وبدءًا من اليوم الخامس للقتال بدأت القوات الإسرائيلية التى استعادت توازنها بعد زوال أثر المفاجأة المصرية ـ السورية فى التفكير فى تنفيذ الخطة الأصلية للعبور غرب القناة، ولكن اعترض هذا القرار عائقان أساسيان :

* **العائق الأول :** كان استمرار وجود الفرقتين المدرعتين المصريتين غرب قناة السويس، فالفرقة ٢١ مدرعة كانت خلف الجيش الثانى، بينما الفرقة ٤ مدرعة كانت خلف الجيش الثالث.

* **العائق الثانى :** كان انشغال القوات الإسرائيلية خاصة القوات الجوية باستعادة الموقف على الجبهة السورية التى تمثل الخطر الأكبر على إسرائيل؛ لقربها من الأراضى الإسرائيلية.

وهكذا كان قرار التطوير الذى اتخذته القيادة العامة للقوات المسلحة فى القاهرة بدفع الفرق المدرعة من غرب القناة إلى شرق القناة، ثم دفعها للتطوير يوم ١٤ أكتوبر، بغرض تخفيف الضغط على سوريا التى تراجعت قواتها عن جميع مكاسبها فى الأيام الأولى لحرب أكتوبر يمثل الوضع المطلوب لتنفيذ خطة العبور غرب القناة كمخاطرة محسوبة، والحقيقة أنه كانت هناك محاولات مبكرة من قيادة الجبهة الجنوبية الإسرائيلية لتنفيذ التخطيط مبكرًا، ولكنها قوبلت بالرفض من القيادة العليا الإسرائيلية والقيادة السياسية على حد سواء، لاستمرار وجود الفرقتين المدرعتين ٤ و ٢١ غرب القناة.

لقد أثمر قرار التطوير عن توقف القوات الإسرائيلية عن الضغط على القوات السورية، حيث اضطرت إلى تحويل جهودها الرئيسية فى اتجاه الجبهة المصرية، وكما قلت كانت الفرصة التى انتظرتها القوات الإسرائيلية لتنفيذ خططها المسبقة لصد وتدمير القوات المصرية التى عبرت قناة السويس، والتى نجحت على مدى الفترة السابقة فى صد الهجمات المضادة الإسرائيلية وتكبيدها الخسائر تلو الأخرى، ولاشك أن الاستطلاع والمراقبة المستمرة لمنطقة الجبهة المصرية بكافة الوسائل، وعلى جميع المستويات والأعماق، والاستفادة من صور الأقمار الصناعية الأمريكية والاختراقات الجوية لطائرات الاستطلاع الأمريكية فوق الجبهة على ارتفاع عال جدًا، قد أعطى للقيادة الإسرائيلية الفرصة لتحديد متى وأين توجه ضربتها المضادة التى تركز فيها جهودها، لتنفيذ مخططها فى إحباط العبور.

وبالتالى سارت الأحداث فى نطاق الجيش الثانى كما يلى :

تطوير الهجوم من اتجاه الجيش الثانى :

سبق دفع الفرقة ٢١ مدرعة عدة أعمال تحرك واتخاذ أوضاع لتأمين المعابر والضفة الغربية للقناة ومؤخرة الجيش الثانى فيما يسمى بإعادة الاتزان داخل النطاق التعبوى للجيش، وكان المطلب الأساسى للواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى - الذى رفضه وزير الدفاع الفريق أول أحمد إسماعيل أثناء مناقشة خطة التطوير فى مركز القيادة الرئيسى للقوات المسلحة - هو أن يقوم اللواء ١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢١ مدرعة باحتلال الساتر الترابى على الضفة الشرقية لقناة السويس تأمينًا لعملية التطوير، وكإجراء احتياطى فى حالة نجاح العدو فى تنفيذ الضربات المضادة التى كانت المعلومات بشأنها قد أصبحت واضحة بعد الجسر الجوى و البحرى الأمريكى ونجاح القتال على الجبهة مع سوريا فى إيقاف الخطر على عمق إسرائيل من ناحية، ومن ناحية أخرى ردع الأردن عن التفكير فى دخول المعركة، أو على الأقل السماح بتدفق الفدائيين بكثافة عبر حدودها مع إسرائيل.

وفى صباح يوم ١٤ أكتوبر تم دفع الفرقة ٢١ مدرعة من رأس كوبرى الجيش الثانى فى اتجاه الشرق، ولكن القوات الإسرائيلية واجهتها بستائر الدبابات المدعمة بالصواريخ المضادة للدبابات وطائرات الهليكوبتر المسلحة بالصواريخ المضادة للدبابات من طراز (تو) التى وصلت مع الجسر الجوى الأمريكى، ومنيت الفرقة ٢١ مدرعة بخسائر كبيرة أدت إلى فشلها فى الهجوم، وصدرت لها الأوامر بالعودة والتجمع داخل رأس كوبرى الجيش الثانى شرق القناة، واستمرت المعارك يوم ١٤ أكتوبر، وانتهت بمئات الدبابات المحترقة من الجانبين، بينما توقفت تماما القوة الدافعة للهجوم لقوات التطوير، **وتزامن هذا التحول فى المسيرة الناجحة للجيش الثانى مع إصابة اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى بأزمة قلبية ألزمته الفراش، فتولى اللواء تيسير العقاد رئيس أركان حرب الجيش الثانى القيادة بدلاً منه.**

أحداث يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ (الخريطة رقم ١٦) :

بدأت القوات الإسرائيلية هذا اليوم بتوجيه عدة هجمات مضادة على طول مواجهة الجيش الثانى مع التركيز على الجانب الأيمن ومنتصف رأس كوبرى الفرقة

١٦ مشاة، وفى الوقت نفسه قامت بتركيز الهجمات الجوية وضربات المدفعية على الجانب الأيمن للفرقة على اللواء ١٦ مشاة، وبنجاح تخطيط العدو فى جذب انتباه قيادة الجيش الثانى وقيادة الفرقة ١٦ مشاة إلى الجانب الأيسر لرأس كوبرى الفرقة وتحت ستر القصف الجوى والمدفعى على اللواء ١٦ مشاة على الجانب الأيمن للفرقة، قام العدو بتحريك لواء مدرع من الطاسة فى اتجاه منطقة تل سلام شمال شرق البحيرة المرة الكبرى، وتمكنت بعض عناصره من التسلل إلى مواقعه الحصينة شرق الدفرسوار واحتلالها، وتهديد مؤخرة اللواء ١٦ مشاة، وتمكنت سرية دبابات من اللواء ١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢١ مدرعة من إيقاف تقدم دبابات العدو، كما قام العدو بالضغط على الجانب الأيسر للواء بهدف تدميره، والاستيلاء على قاعدة يستند عليها، وينطلق منها للعبور غرب القناة، وقبيل نهاية يوم ١٥ أكتوبر قامت المدفعية الإسرائيلية بقصف مدفعى عنيف على قطاع الدفرسوار، واستمر القصف لمدة طويلة، كانت خلالها تتحرك قوات من المظلات الإسرائيلية بعربات مدرعة فى اتجاه المنطقة نفسها، وفى الوقت الذى توقفت فيه نيران المدفعية الإسرائيلية بدأت قوات المظلات تحت ستار الليل فى عبور قناة السويس إلى الضفة الغربية تحت ستر جزء من قوات المظلات كان قد احتل الساتر الترابى على الضفة الشرقية للقناة، ولم يمض وقت طويل حتى كانت قوات المظلات الإسرائيلية قد وصلت إلى الضفة الغربية للقناة، واحتلت قطاعًا على الساتر الترابى على الضفة الغربية يبلغ طوله حوالى ١,٥ كيلومتر، مستغلة خلو المنطقة من القوات بعد القصف المدفعى المركز، وضعف القوات المدافعة عن هذه المنطقة غرب القناة، علاوة على انشغال القوات بصد الهجمات المضادة الإسرائيلية على طول المواجهة، وأيضًا انشغال عناصر الفرقة ٢١ مدرعة فى إعادة التجميع والتنظيم شرق القناة بعد فشل عملية التطوير.

وحاول قائد اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى الساعة ٢١٠٠ يوم ١٥ أكتوبر دفع سرية دبابات؛ لاحتلال مصاطب الدبابات فى منطقة الدفرسوار لضرب قوات العدو إلا أنها لم تصل إلى أماكنها، وبالتالى لم تتمكن من تنفيذ المهمة.

أحداث يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣:

اعتبارًا من صباح يوم ١٦ أكتوبر واصلت القوات الإسرائيلية هجماتها مركزة

جهودها الرئيسية على الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى، وخاصة على الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة، وبعد تمهيد جوى مركز تعرض اللواء ١٦ مشاة لهجوم عنيف ومستمر، ورغم المقاومة الباسلة والبطولات العديدة التى قام بها رجال هذا اللواء إلا أن القوات الإسرائيلية نجحت فى النهاية فى اختراق الجانب الأيمن للواء، مستغلة وجود فاصل بين اللواء وشاطئ البحيرات المرة، وضعف الدفاع عن هذه المنطقة، ورغم القصف المدفعى المصرى المركز على قطاع العبور تمكنت من الاستيلاء على تل سلام والدفرسوار، وقامت بإنشاء معابر على القناة تمكنت بواسطتها من عبور الدبابات إلى الضفة الغربية للقناة.

واستمر العدو فى دفع قواته فى منطقة الثغرة، حيث دفع حولى ٦٠ دبابة قامت بالهجوم على مركز السيطرة الخلفى للفرقة ١٦ مشاة ومنطقة الشئون الإدارية للفرقة غرب القناة، وتمكن العدو من التغلب على المقاومات الضعيفة من عناصر الدفاع وعناصر التأمين الغير كافية لمواجهة الدبابات المدعمة بالهجمات الجوية ونيران المدفعية من شرق القناة، وبدأت عناصر مدرعة مدعمة بعناصر من المشاة فى الهجوم على كتائب صواريخ الدفاع الجوى فى المنطقة غرب طريق المعاهدة.

وفى منتصف هذا اليوم تعين اللواء عبد المنعم خليل قائد المنطقة المركزية العسكرية قائدًا للجيش الثانى بعد أن تبين أن حالة اللواء سعد مأمون لن تسمح له بالعودة إلى قيادة الجيش الثانى.

أحداث يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ :

فى محاولة لتدمير عناصر العدو التى نجحت فى العبور غربًا، وفى ظل عدم توفر معلومات كافية عن قوة وتسليح هذه القوات بدأ الجيش الثانى فى دفع وحدات فرعية (كتائب) لمحاولة تدمير العدو فى منطقة الدفرسوار - قرية الجلاء - مطار الدفرسوار، ونتيجة لقوة العدو التى تم دفعها ليلة ١٥ / ١٦ لم تنجح قوات الجيش الثانى فى تدمير القوات الإسرائيلية، بل على العكس تمكنت القوات الإسرائيلية من إحداث خسائر بها، واستمرت فى توسيع الثغرة والهجوم الأرضى على عناصر الدفاع الجوى فى المنطقة، كما استمرت القوات فى التدفق فى الثغرة وتحسين أوضاعها الدفاعية ونصب الكمائن لقوات الجيش الثانى المتحركة التى ينقصها المعلومات عن أماكن وقوة العدو وتسليحه.

استمر القصف الجوى الإسرائيلى على رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة، وتمكن لواء مشاة ميكانيكى إسرائيلى من الاختراق، ونجح فى الضغط على عناصر الفرقة ٢١ مدرعة التى قامت بهجوم مضاد شرق القناة فى اتجاه الدفرسوار، وتمكن العدو من إيقافها على مسافة ١ كم من قواته التى نجحت فى اختراق الجانب الأيمن لرأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة، وفى الوقت نفسه واصل العدو دفع قواته إلى غرب القناة وواصلت هذه القوات هجماتها ضد عناصر الدفاع الجوى والمناطق الخلفية، وتمكنت من صد الهجمات المضادة التى وجهت إليها فى المنطقة، وتمكنت بنهاية اليوم من الوصول إلى مناطق سرابيوم ـ غرب مرسى « أبو سلطان»، ووصلت بعض الدبابات إلى مصنع ثلج فايد وواحة المنايف، وقدرت هذه القوات بنحو لواء مدرع مدعم بعناصر مشاة والصواريخ المضادة للدبابات.

وفى اليوم نفسه تركزت أعمال قتال قوات الجيش الثانى فى محاولات مستميتة ينقصها المعلومات الصحيحة والتخطيط المسبق لحصار القوات الإسرائيلية غرب القناة، والتمسك برأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة، ومنع التقدم فى اتجاه الإسماعيلية شمالاً، واشتركت فى أعمال القتال عناصر الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى والصاعقة وكتيبة كويتية، ولم تنجح أعمال قتال القوات فى منع تقدم القوات الإسرائيلية فى اتجاه الغرب أو الجنوب أو زعزعة تمسكه برأس الكوبرى على الضفة الغربية للقناة، بينما أحرزت بعض النجاح فى مقاومة تقدم العدو فى اتجاه الإسماعيلية.

وبنهاية يوم ١٧ أكتوبر كان العدو قد تمكن من توسيع ثغرة الاختراق والتسرب إلى مناطق متفرقة شمال وشمال غرب وغرب الدفرسوار، وأصبحت قواته تقدر بنحو ٥٠ ـ ٧٠ دبابة وعدد من العربات النصف جنزير وعناصر من الصواريخ المضادة للدبابات ومشاة الميكانيكية، وتمكن من احتلال المصاطب شرق وغرب القناة فى الخط العام الدفرسوار ـ المغذى الرئيسى.

أحداث يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ :

قام العدو باحتلال مواقع وخطوط صد بالدبابات والصواريخ المضادة للدبابات فى مناطق «أبوسلطان» ـ معسكر قادش ـ غرب الدفرسوار ـ سرابيوم، كما وصلت

قواته شمالاً إلى منطقة المنايف جنوب الإسماعيلية وجنوبًا إلى فايد، وواصلت مجموعات صغيرة الهجوم على عناصر الدفاع الجوى فى المنطقة، وتمكنت من تعطيل العديد من كتائب الرادار والصواريخ فى المنطقة مما أحدث ثغرة فى الدفاع الجوى تمكنت معه القوات الجوية الإسرائيلية من السيطرة الجوية على سماء منطقة القتال غرب القناة، وبالتالى نجحت فى معاونة العدو فى صد هجمات اللواء ٢٣ المدرع وباقى اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى وتكبيدهما خسائر كبيرة.

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر وصل إلى مركز القيادة المتقدم للجيش الثانى فى الإسماعيلية الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة، وتولى القيادة للعمليات فى قطاع الجيش الثانى بناءً على أوامر القيادة العامة، واستمع إلى تقارير الرؤساء، وراجع الموقف القتالى لتشكيلات الجيش تفصيلاً.

أحداث يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ :

واصل العدو دعم قواته فى الثغرة، واستغل نجاحه فى صد وتدمير الهجمات المضادة المتفرقة التى وجهت إليه، وواصل اندفاعه غربًا حتى وصل إلى وادى العشرة واتصل بالنيران بقوات من الفرقة ٤ مدرعة التابعة أصلاً للجيش الثالث، والتى أعيد تمركزها فى منطقة استراحة عثمان بقيادة قائد الفرقة العميد عبد العزيز قابيل لمعاونة الجيش الثانى بأوامر القيادة العامة، كما اكتسب أرضًا جديدة فى منطقة الثغرة بدون قتال نتيجة ارتداد عناصر من قوات الفرقة ٢١ مدرعة بأوامر من العميد إبراهيم العرابى الذى كان قد عين قائداً لرأس كوبرى الفرقتين ٢١ مدرعة و١٦ مشاة، ووصلت بذلك قوات العدو إلى خط طوسون، وفى الوقت نفسه واصلت القوات الجوية الإسرائيلية سيطرتها على سماء المعركة، واستمرت فى هجماتها الجوية على مناطق الإسماعيلية والفردان والقنطرة ورأس الشاطئ حتى بورسعيد.

وبفشل جميع القوات التى تم دفعها فى منطقة الثغرة شرق وغرب القناة، سواء كانت من المدرعات أو المشاة أو الصاعقة أو المظلات فى حصر الاختراق أو تدمير العدو، وبعد استنفاذ جزء مؤثر من القوة القتالية للفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية واحتياطيات القيادة العامة، أصبح الهدف الرئيسى لقيادة الجيش الثانى - وهو نفسه الذى أصبح فيما بعد هو الهدف الوحيد تقريبًا

والمهمة الرئيسية للقوات المسلحة فى تصور القيادة العامة للقوات المسلحة ـ يتركز فى المهام الآتية :

* التمسك برأس الكوبرى شرق القناة ومنع استمرار تآكل الجانب الأيمن للجيش الثانى .

* منع العدو من الوصول إلى مدينة الإسماعيلية والاستيلاء عليها .

* منع العدو من الوصول والسيطرة على طريق الإسماعيلية ـ القاهرة .

أحداث يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

استمر العدو فى دعم قواته غرب القناة ، وبدأت الفرقة المدرعة التى كان يقودها الجنرال إريل شارون فى محاولة الوصول إلى الإسماعيلية وطريق الإسماعيلية القاهرة ، لتطويق الجيش الثانى ، وتمكن من الاستيلاء على جميع التقاطعات والهيئات المهمة غرب طريق المعاهدة ، ودمر عناصر الدفاع الجوى فى المنطقة ، وواصلت القوات المصرية غرب القناة أعمال القتال ، لحصر العدو جنوب الإسماعيلية ، وتمكنت من إحداث بعض الخسائر به ، وبنهاية هذا اليوم تأكد للعدو صعوبة التقدم فى اتجاه الإسماعيلية أو طريق القاهرة ، خاصة بعد أن اشتبكت ضده عناصر من الفرقة ٤ مدرعة ـ التى كانت قد أتمت انتقالها من الجيش الثالث إلى منطقة استراحة عثمان ـ فى وادى العشرة وغرب الإسماعيلية ، وتقدمت الفرقتان المدرعتان الإسرائيليتان الأخريين بقيادة الجنرال أدان والجنرال ماجن فى اتجاه الجنوب ؛ لتطويق قوات رأس كوبرى الجيش الثالث والاستيلاء على مدينة السويس ، حيث مؤخرة الجيش الثالث التى أفادت مصدر معلوماته بخلوها تقريبًا من القوات المؤثرة خاصة بعد سحب جزء كبير من الفرقة ٤ مدرعة من نطاق الجيش الثالث وإعادة تمركزها خلف نطاق الجيش الثانى فى منطقة استراحة عثمان على طريق القاهرة ـ الإسماعيلية على أساس أن تعمل لصالح تأمين مؤخرة الجيشين ، والواقع أن العدو باتصاله بقوات الفرقة الرابعة فى وادى العشرة قد عزلها عن التدخل ـ كفرقة مدرعة متكاملة ـ فى العمليات جنوبًا فى اتجاه الجيش الثالث ، وأصبح الطريق أمامه مفتوحًا ؛ ليواصل تقدمه إلى السويس ، وبدأ فعلاً فى الهجوم على منطقة فنارة معلنًا عن نيته فى التقدم جنوبًا .

وفى منتصف هذا اليوم غادر الفريق سعد الشاذلى قيادة الجيش إلى القاهرة لعرض الموقف المتردى فى قطاع الجيش الثانى غرب القناة، وعاد اللواء عبد المنعم خليل لقيادة الجيش الثانى.

كيف كانت الصورة فى النهاية:

المنطقة شرق القناة من كبريت على يسار الجيش الثالث جنوبًا إلى تل سلام على يمين الجيش الثانى شمالاً، تحت السيطرة الكاملة للقوات الإسرائيلية اعتبارًا من يوم ١٧ أكتوبر.

المنطقة غرب القناة من جنوب الإسماعيلية إلى وادى العشرة وجنوبًا حتى منطقة فنارة وجبل شبراويت تحت السيطرة شبه الكاملة للقوات الإسرائيلية اعتبارًا من يوم ١٨ أكتوبر، وانتهى الأمر بفصل الجيش الثانى عن الجيش الثالث يوم ٢٠ أكتوبر.

وعلى الناحية الأخرى منيت الفرق ١٦ مشاة و٢١ مدرعة و ٢٣ مشاة ميكانيكى وعناصر الصاعقة والمظلات فى قطاع الجيش الثانى بخسائر كبيرة أفقدتها القدرة على التدخل المؤثر فى أعمال القتال، والأخطر على الإطلاق كان تدمير عناصر الدفاع الجوى غرب القناة فى شريحة واسعة أتاحت للقوات الجوية الإسرائيلية استعادة تأثيرها على ميدان المعركة، بعد أن كانت قد فقدته تمامًا فى الأيام الأولى للعبور.

وعلى صعيد آخر قيدت القيادة العامة استخدام القوات الجوية لمعاونة أعمال قتال الجيشين شرق أو غرب القناة، وتركزت جهود القوات الجوية فى حماية القواعد الجوية والمطارات للمحافظة على القوات الجوية من المواجهة غير المتكافئة مع القوات الجوية الإسرائيلية التى تدفقت عليها الطائرات الأمريكية من قواعدها فى أوروبا يقودها الطيارون المتطوعون من أمريكا.

وفى نطاق الجيش الثالث، كانت قوات رأس الكوبرى تقاتل بنجاح شرق القناة كما تم اتخاذ العديد من الإجراءات؛ لتأمين قطاع الجيش غرب القناة ومعاونة الجيش الثانى شرق وغرب القناة، كما سنرى فى الصفحات التالية.

وهكذا تحول مسار الحرب بعد النجاح الباهر الذى أحرزته القوات المصرية التى

اقتحمت القناة يوم ٦ أكتوبر مكتسحة خط بارليف فى ٦ ساعات فقط، ثم استمرت على نجاحها فى اكتساب المزيد من الأرض وتوسيع رأس الكوبرى شرق القناة وإلحاق الخسائر الفادحة بالقوات الإسرائيلية القائمة بالهجمات المضادة حتى يوم ١٤ أكتوبر، فأثلجت قلوب الملايين من المصريين والعرب بمشاهدتهم لصور العشرات من الأسرى الإسرائيليين فى وسائل الإعلام المختلفة.

ورغم عدم كفاية القوات المصرية غرب القناة فى مواجهة القوات الإسرائيلية، إلا أن هذه القوات قد أبدت شجاعة وصلابة، وحققت بطولات خارقة دافعت بها عن إنجازها الباهر، وأنزلت بالعدو خسائر فادحة كان يمكن أن توقفه وتثنيه عن مواصلة الهجوم غرب القناة، لولا استنفاذ الكثير من القوات دون تأثير يذكر على العدو، الذى رأى فى نجاح قواته فى العبور إلى غرب القناة المخرج الوحيد من هزيمة ساحقة ربما هددت كيانه كله، ومن ثم تمسك باستمرار القتال غرب القناة حتى تحقيق نجاح محدد يمكن استخدامه للخروج من المأزق الذى وجد نفسه فيه.

وكان لتلك البطولات الخارقة والشجاعة الفذة التى أبداها المقاتلون من الجيشين شرق وغرب القناة أثره فى عدم انهيار الوضع غرب القناة بصورة نهائية، مما أدى إلى تهيئة الوضع العام للقيادة السياسية؛ لاستكمال العمل العسكرى بالعمل السياسى، كما سنرى فى الصفحات التالية.

* * *

القسم الثانى
التحول فى مسار الحرب

صباح يوم ١٦ أكتوبر بدأ الموقف فى قطاع الجيش الثانى يتضح، ووصلت إلينا المعلومات الأولى عن حدوث اختراق للجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة ونجاح العدو فى العبور إلى الضفة الغربية لقناة السويس، فبدأت مع هيئة قيادة الجيش الثالث فى متابعة الموقف، وتقدير أعمال العدو المنتظرة، كما بدأت فى اتخاذ الإجراءات وإصدار الأوامر والتكليفات؛ لتأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث والاستعداد لمعاونة الجيش الثانى؛ لتدمير العدو فى الثغرة، طبقًا لما كان مخططًا من قبل ضمن إجراءات التعاون بين الجيشين؛ لتأمين الفاصل بينهما فى الخطة الدفاعية الهجومية.

وكما سبق أن ذكرت، فإن الضربة المضادة الإسرائيلية لم تكن مفاجأة لنا فهى أحد أعمال العدو المنتظرة، كذلك الإجراءات اللازمة لمواجهتها لم تكن هى الأخرى من وحى الموقف، وإنما كانت كلها أمورًا مخططة وإجراءات محددة سواء كانت ضمن الخطة الدفاعية على قناة السويس أو ضمن الخطة الهجومية فى أكتوبر ١٩٧٣، وكانت خطة وإجراءات تأمين الفاصل بين الجيشين تعتمدان على عدة أعمال وإجراءات متدرجة فى القوة بحسب قوة وحجم التهديد ونوعه واتجاهه.

وطبقا للقواعد العسكرية العامة، فلكى يتم تأمين جانب القوات سواء فى نطاق مسئولية الجيش الثانى أو الجيش الثالث فإنه يجب أن يتوفر للقائد عنصران أساسيان هما المراقبة والسيطرة بالقوات والنيران على الأجناب من ناحية، ومن ناحية أخرى يلزم وجود احتياطى قوى قادر على توجيه الهجوم المضاد أو الضربة المضادة لتدمير العدو المخترق على أحد الأجناب.

ولكى يتم تأمين الفاصل بين الجيشين سواء من اتجاه الجيش الثانى أو الجيش الثالث، فيجب أيضا أن يتوفر عنصران أساسيان، هما احتياطى كل جيش الذى سيقوم بصد العدو المخترق وتكبيده أكبر خسائر ممكنة، والاحتياطى الاستراتيجى

للقيادة العامة، الذى عليه أن يقوم بالضربة المضادة؛ لتدمير العدو فى جيب الاختراق، ويجب أن يكون هذا الاحتياطى من القوة بحيث تكون ضربته حاسمة لتدمير العدو، وقد يستدعى الموقف توجيه ضربة مضادة قوية بالتعاون بين احتياطيات الجيشين، يتبعها استغلال النجاح باحتياطى القيادة العامة، وعمومًا هناك أكثر من أسلوب لتأمين الفاصل بين التشكيلات والتشكيلات التعبوية (الجيوش) وتعتمد جميع هذه الأساليب على وجود قوات للتأمين بأعمال الدفاع وقوات للتدمير بأعمال الضربات المضادة على المستويات المختلفة.

ولنبدأ بالتعرف على الموقف شرق وغرب القناة بنهاية يوم ١٤ أكتوبر، وفشل عملية تطوير الهجوم شرق القناة فى اتجاه الممرات الجبلية.

تلخص الموقف فى نطاق الجيش الثانى بنهاية يوم ١٤ أكتوبر فى الآتى:

كان موقف رأس كوبرى الجيش الثانى شرق القناة جيدًا، حيث تواصل الفرق ١٦ و١٨ و٢١ مشاة المدعمة بالألوية المدرعة التمسك بنجاح برءوس الكبارى والدفاع عنها والتصدى للهجمات المضادة وتكبد القوات الإسرائيلية المزيد من الخسائر، وفى إحدى هذه المعارك تم أسر العقيد عساف ياجورى قائد إحدى الوحدات المدرعة الإسرائيلية.

ولكن مع اتساع عمق ومواجهة رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة على الجانب الأيمن للجيش الثانى وجد فاصل كبير نسبيًا بين الحد الأيمن لرأس كوبرى الفرقة وبين ساحل البحيرة المرة الكبرى فى منطقة الدفرسوار وصل إلى حوالى ٣ كم، تركت بدون احتلالها بالقوات باعتبارها سبخة رملية تمثل مانعًا طبيعيًّا لتقدم القوات المدرعة، وخطط الجيش الثانى حمايتها بنيران المدفعية، وهو أمر صحيح نسبيًا حيث ثبت أن القوات الإسرائيلية قد اضطرت لاستخدام تجهيزات خاصة كالحصائر المعدنية، لتتمكن من تحريك المدرعات فى هذه المنطقة، كما ثبت أنها قد منيت بخسائر ضخمة من نيران مدفعية الجيش الثانى أثناء محاولاتها المتكررة للتدفق إلى غرب القناة.

مع أول ضوء يوم ١٤ أكتوبر، وبناء على إصرار القيادة العامة، تم دفع الفرقة ٢١ مدرعة احتياطى الجيش الثانى كاملة؛ لتطوير الهجوم شرقًا، ولم تحقق نجاحًا يذكر ومنيت بخسائر كبيرة مما أدى إلى سحبها إلى داخل رأس كوبرى الجيش الثانى شرق القناة فى قطاع الفرقة ١٦ مشاة.

أما غرب القناة فى نطاق الجيش الثانى، فكانت تؤمنه القوات الآتية :

* اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى الذى تم إعادة تمركزه بمنطقة عثمان جنوب ترعة الإسماعيلية ؛ لإعادة التوازن غرب القناة بعد دفع الفرقة ٢١ مدرعة شرق القناة .

* اللواء ١١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى ، ويتمركز جنوب الإسماعيلية ، ويعتبر مكلفًا بتأمين المدينة وطريق الإسماعيلية ـ القاهرة .

بالإضافة إلى ذلك تواجدت بعض القوات العربية والمؤخرات والعناصر الإدارية والفنية كالآتى :

* كتيبة المغاوير الكويتية تحتل المنطقة من جنوب مرسى «أبو سلطان» إلى فايد .

* قوة مطار فايد ومحطة فايد العسكرية .

وكما نرى فقد أصبحت مؤخرة الجيش الثانى ـ بعد دفع الفرقة ٢١ مدرعة كاملة لتطوير الهجوم فى اتجاه الشرق ـ بلا احتياطى مدرع قوى قادر على التدخل بالهجمات والضربات المضادة فى اتجاه الاختراقات المحتملة .

وفى نطاق الجيش الثالث كان الموقف مع نهاية يوم ١٤ أكتوبر كالآتى :

كان موقف رأس الكوبرى شرق القناة مؤمنًا تمامًا ، فعلى الجانب الأيمن تم احتلال نقطة رأس مسلة على ساحل خليج السويس ، وعلى مسافة ١٧ كم يمين رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاة ، وعلى الجانب الأيسر تم احتلال نقطة كبريت على ساحل البحيرة المرة الكبرى على مسافة ١٠ كم من الجانب الأيسر للفرقة ٧ مشاة ، وكان على العدو أن يقاتل هذه المسافات الطويلة نسبيًا إذا حاول الوصول إلى أجناب رأس الكوبرى فى منطقة الشط فى اليمين أو منطقة جنوب البحيرات فى اليسار ، وهما المنطقتان اللتان تصلحان للعبور إلى غرب القناة فى نطاق الجيش الثالث الميدانى ، وكانت الفرقتان ١٩ و٧ مشاة تقاتلان بنجاح للتمسك برأس الكوبرى ، وتكبد العدو خسائر متتالية .

فى أول ضوء يوم ١٤ أكتوبر ، تم دفع اللواء ٣ المدرع من الفرقة ٤ المدرعة ؛ لتطوير الهجوم ، ولم ينجح فى تحقيق المهمة ومنى بخسائر كبيرة ، وتم ارتداده إلى رأس الكوبرى ، واستفدنا من هجومه فى توسيع وتعميق رأس الكوبرى عدة كيلو

مترات، وفى الوقت نفسه تم دفع اللواء١١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٧ مشاة، ولم يتقدم سوى ٢ كم، ومنى بخسائر كبيرة وتوقف على الخط الذى وصل إليه.

أما غرب القناة فى نطاق الجيش الثالث، فكان الموقف مطمئنًا إلى حد كبير للأسباب التالية:

* كانت الفرقة ٤ المدرعة عدا اللواء ٣ مدرع لاتزال فى أوضاعها غرب القناة خلف النطاق الدفاعى الثانى للجيش، حيث كانت قيادة الفرقة بقيادة العميد عبد العزيز قابيل ومعها اللواء ٢ المدرع بمنطقة تمركز الفرقة شمال وشرق جبل عويبد، أما اللواء ٦ مشاة ميكانيكى، فكان يحتل الموقع المتوسط الممتد من جبل الجوزة الحمراء إلى جبل جنيفه، والمسيطر على طريق المعاهدة الواصل بين الإسماعيلية والسويس.

* وكانت الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى عدا اللواء ٢٢ المدرع الذى يدعم الفرقة ١٩ مشاة، واللواء ١ مشاة ميكانيكى بعد وضعه تحت قيادة الفرقة ١٩ مشاة لاتزال فى أوضاعها، فقيادة الفرقة بقيادة العميد «أبو الفتح» محرم متمركزة فى منطقة كم ١٠٩ طريق السويس ـ القاهرة، واللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى عدا الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى التى دفعت على الجانب الأيمن للواء ٣ المدرع أثناء التطوير، وكان يتمركز فى قطاع بير عديب جنوب جبل عتاقة؛ لتأمين الجانب الأيمن للجيش غرب القناة.

* لواء الصاعقة الفلسطينى، ويحتل على ساحل البحيرات المرة من فايد وجنوبًا.

* وكما كان الحال مع الجيش الثانى كانت تتواجد غرب القناة العديد من العناصر الإدارية والفنية والطبية، علاوة على محطة جنيفه العسكرية، وقوة مطار كبريت.

ومع بداية يوم ١٥ أكتوبر كانت أوضاع القوات المصرية التى ذكرتها، موضوعة على خريطة العمليات على جبهة قناة السويس فى قيادة جيش الدفاع الإسرائيلى بتل أبيب، بعد أن قامت الأقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع الأمريكية والإسرائيلية بتصوير أوضاع القوات المصرية شرق وغرب القناة، وبالطبع وضح فى هذه الأوضاع وجود الفاصل غيرالمحمى بين الجيشين، كما وضح أيضًا الفاصل بين رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة وساحل البحيرة المرة الكبرى فى نطاق الجيش الثانى،

ويحتمل أنه قد تم اكتشاف هذا الفاصل بواسطة إحدى دوريات الاستطلاع الإسرائيلية، وفى الوقت نفسه وضح اتساع مواجهة رأس كوبرى الجيش الثالث وسيطرته على حوالى ١٠ كم من ساحل البحيرات المرة التى يصعب عبورها، كما وضح بقاء الجزء الأكبر من الفرقة ٤ المدرعة فى أوضاعها؛ لتأمين مؤخرة الجيش غرب القناة، ومن ثم صدق مجلس الحرب الإسرائيلى برئاسة جولدا مائير على قرار القيادة العسكرية الإسرائيلية بتوجيه الضربة المضادة إلى منطقة الدفرسوار على الجانب الأيمن للجيش الثانى، وليس إلى جنوب البحيرات على الجانب الأيسر للجيش الثالث.

وفى اليوم نفسه بدأ العدو فى تنفيذ خطة الضربة المضادة والعبور إلى غرب القناة كما ذكرنا تفصيلاً فى الحديث عن الثغرة.

وقبل أن أبدأ فى سرد أحداث تلك الفترة من حرب أكتوبر ١٩٧٣ أجده لزامًا علىّ أن أشيد بهيئة قيادة الجيش الثالث ورئيس أركان حرب الجيش اللواء مصطفى شاهين ومعاونيه الأكفاء الذين جعلوا بدراساتهم وتقاريرهم الدقيقة أعمال القوات الإسرائيلية طوال فترة الحرب مثل الكتاب المفتوح، فصحت توقعاتنا عن نوايا الهجوم الإسرائيلى؛ لذلك كان لكل عمل من أعمال العدو طوال فترة الحرب الرد المناسب، سواء كان هذا الرد مخططًا مسبقًا أو أحد التوقعات التى تنبأنا بها ووضعنا لها الحلول المناسبة مبكرًا، أو كان ردًا فوريًا مبنيًا على تقدير صحيح لعناصر الموقف المتكاملة.

ولاشك أن جميع القوات التى قاتلت فى تلك الفترة غرب القناة قد قامت بأعمال مجيدة فى ظل ظروف غاية فى الصعوبة والقسوة، وكان لرجولة الضباط والجنود على كافة المستويات الفضل فى المحافظة على إنجازات الأيام الأولى من حرب أكتوبر إلى الحد الذى أتاح للقيادة السياسية الدخول فى مفاوضات الفصل بين القوات من موقف قوى.

لقد اتصفت أحداث القتال ضد العدو غرب القناة بالتداخل والسرعة وتعدد المهام والتحركات؛ لمواجهة القوات الإسرائيلية التى لم تتوقف عن التدفق من الشرق إلى الغرب، **ولسهولة متابعة أحداث تلك الفترة من الحرب فإننى سوف أقسمها إلى ٣ مراحل أساسية، كما سأحاول أن أرتبها بمحاور القتال كلما أمكن كالآتى:**

*** المرحلة الأولى :**

هى مرحلة متابعة أعمال العدو ضد الجيش الثانى ومعاونة الجيش الثانى بالنيران والقوات، واتخاذ الإجراءات الاحتياطية لتأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث، وقد بدأت هذه المرحلة من الساعة ١١٠٠ يوم ١٦ أكتوبر ـ أى منذ علمت للمرة الأولى من هيئة العمليات بوجود اختراق لرأس كوبرى الجيش الثانى ـ واستمرت حتى وصول العدو المتسرب إلى نطاق الجيش الثالث الميدانى والاصطدام بالعناصر المقاتلة للجيش الساعة ١١٤٠ يوم ١٩ أكتوبر.

*** المرحلة الثانية :**

هى مرحلة القتال ضد قوات العدو المتقدمة على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة والمحور الساحلى شرق طريق المعاهدة، وقد بدأت منذ اشتباك عناصر الجيش ضد العدو، وانتهت بصدور قرار إيقاف إطلاق النار، اعتباراً من الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر.

*** المرحلة الثالثة :**

هى مرحلة محاولة حصر العدو بعد عدم التزام إسرائيل بوقف إطلاق النار كالعادة وتقدمها لتحقيق أهداف العبور غرب القناة، وهو الوصول إلى ساحل خليج السويس وحصار رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة، ومحاولة الاستيلاء على مدينة السويس، واستمرت هذه المرحلة من يوم ٢٢ أكتوبر حتى توقف القتال فعليّا يوم ٢٥ أكتوبر بوصول قوات الطوارئ الدولية للفصل بين القوات.

* * *

القسم الثالث
معركة اللواء ٢٥ مدرع

رأينا فى القسم السابق كيف حدثت الثغرة فى منطقة الدفرسوار على أقصى الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى، ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر بقوات المظلات الإسرائيلية، ثم اعتباراً من صباح ١٦ أكتوبر بدفع الوحدات مدرعة وعبورها إلى غرب القناة، رغم كل المقاومة والقصف الذى قامت به قوات ومدفعية الجيش الثانى، ولاشك أن دفع الفرقة ٢١ مدرعة بقيادة العميد إبراهيم العرابى يوم ١٤ أكتوبر لتطوير الهجوم شرق القناة، وبالتالى بقائها فى رأس الكوبرى بعد أن منيت بخسائر كبيرة كان له أثره على تكدس القوات برأس الكوبرى وضعف الاحتياطيات غرب القناة، ولكن المثير فى الأمر هو تأخر مواجهة موقف الثغرة بالقوة والحسم المطلوبين، وتضارب المعلومات والقرارات بشأنها وهو الأمر الذى ساهم إلى حد كبير فى تطور العبور الإسرائيلى إلى الضفة الغربية للقناة من تسلل بوحدة مظلات مدعمة بمركبات برمائية إلى ٣ فرق مدرعة إسرائيلية، يقودها ٣ من أكفأ القادة الإسرائيليين وأكثرهم خبرة، وتدعمها حوالى ١٤ كتيبة مدفعية وعدد من كتائب الصواريخ الهوك المضادة للطائرات، وتغطيها القوات الجوية الإسرائيلية بالمعاونة والتأمين بعد أن نشأت ثغرة فى نظام الدفاع الجوى المصرى بواسطة المدرعات الإسرائيلية التى كان هدفها الأول هو تدمير كتائب الصواريخ المصرية غرب القناة.

حقيقة إن إسرائيل قد وضعت كل قوتها وإمكانياتها، واستخدمت كافة إمكانيات الجسر الجوى الأمريكى لعملية الغزالة، وهو الإسم الكودى لعملية العبور غرب القناة، ولكننا لم نواجهها بالقوة المناسبة رغم أن الشواهد كلها والأوامر كانت تشير إلى نوايا إسرائيل؛ لتوجيه ضربة مضادة قوية إلى الجبهة المصرية بعد أن استعادت الموقف على الجبهة السورية، واطمأنت على عمقها القريب، وسنرى فى

الصفحات التالية كيف واجهت القوات المسلحة المصرية عملية الثغرة حتى وصلت فى النهاية إلى حصار قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس.

الموقف بعد التطوير:

بعد توقف عملية التطوير فى اتجاه الممرات الجبلية كما شاهدنا فى الصفحات السابقة، بدأ العدو فى توجيه سلسلة من الهجمات المضادة على طول مواجهة الجيش الثالث، وبدأ فى تركيز هجماته الجوية وهجماته المضادة على الجانب الأيسر للجيش فى اتجاه الفرقة ٧ المشاة واللواء ٢٥ مدرع مستقل الذى وصلت خسائره حتى ظهر يوم ١٥ أكتوبر إلى ١٥ دبابة، ونجح النسق الأول للجيش فى صد الهجمات المضادة للعدو، وأنزل به المزيد من الخسائر، كما أسقطت عناصر الدفاع الجوى المزيد من طائرات العدو مما رفع الروح المعنوية للقوات وزادها إصراراً على التمسك برأس الكوبرى، ومنع العدو من اختراقه.

وفى مساء يوم ١٤ أكتوبر علمت أن اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى قد أصيب بأزمة قلبية نتيجة الإجهاد الذى واجهه فى مرحلة التطوير، وتولى اللواء تيسير العقاد رئيس أركان حرب الجيش الثانى القيادة لحين شفاء اللواء سعد مأمون، ثم عين اللواء عبد المنعم خليل فيما بعد قائداً للجيش الثانى بعد أن تبين أن حالة اللواء سعد مأمون الصحية لا تسمح له بمواصلة قيادة الجيش.

وبمجرد وصول اللواء عبد المنعم خليل إلى قيادة الجيش يوم ١٦ أكتوبر، اتصل بى وأخبرنى بوصوله، فتمنيت له التوفيق فى الظروف الصعبة التى يمر بها الجيش الثانى، حيث كانت القوات الإسرائيلية فى الثغرة تواصل تثبيت أقدامها والقوات المدرعة الإسرائيلية تواصل تدفقها غرب القناة، وكنت كلى ثقة فى قدرة اللواء عبد المنعم خليل على احتواء الموقف فى نطاق الجيش الثانى؛ لخبرته السابقة فى قيادة الجيش، حيث كان قائداً للجيش الثانى طوال حرب الاستنزاف وما بعدها، علاوة على ما يتميز به من الكفاءة وهدوء الأعصاب.

الدفاع عن اللواء ٢٥ مدرع فى مواجهة هجوم القيادة العامة:

فى يوم ١٦ أكتوبر قام العدو بهجوم مضاد على قطاع الفرقة ٧ مشاة، وكانت

الدبابات موزعة على كتائب المشاة، خاصة اللواء ٨ مشاة لزيادة قدرة الصد باحتلال مصاطب ودبابات فى كبريت، وكان الجيش الثالث قد أتم الاستيلاء على جميع النقط القوية للعدو على الضفة الشرقية لقناة السويس، عدا نقطة لسان بورتوفيق المحاصرة.

وفى الوقت نفسه كان القتال دائراً على أشده فى نطاق الجيش الثانى، خاصة على الجانب الأيمن للجيش، حيث الفرقة ١٦ المشاة، وكما ذكرنا فى القسم السابق، كان العدو قد نجح فى تركيز كل قوته ضد الفرقة ١٦، وتمكن بنهاية يوم ١٥ وخلال ليلة ١٥ / ١٦ من الوصول إلى شاطئ قناة السويس، بل إنه نجح فى عبور قوات من المشاة والدبابات خلال الليل، وبدأ فى تأمين رأس شاطئ غرب القناة على الجانب الأيمن للجيش الثانى.

سير معركة اللواء ٢٥ مدرع المستقل ضد العدو الإسرائيلى شرق البحيرة المرة الكبرى (الخريطة رقم ١٧) :

وبعد فشل كل المحاولات التى قمت بها لإثناء القيادة العامة عن قرارها بدفع اللواء ٢٥ مدرع لتنفيذ مهمة تدمير العدو الذى يهاجم رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة من الجيش الثانى، وفى الساعة ٠٥٥٠ يوم ١٧ أكتوبر أصدرت أوامرى بتحرك اللواء ٢٥ مدرع، وأكدت على قوات كبريت لتقديم التأمين والتعاون مع اللواء، وفى الساعة ٠٦١٥ أبلغتنى هيئة العمليات أن العدو الذى كان فى شمال كبريت والذى قدرت قوته بعدد ٥٠ دبابة قد انضم إلى القوات التى تهاجم رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة فى الجيش الثانى، وتم إخطار اللواء ٢٥ مدرع مع التأكيد عليه بدفع عناصر استطلاع فى المواجهة والأجناب والتحرك خارج الطريق واتخاذ تشكيل رأس سهم.

الساعة ٦٣٥ أفادت عناصر الاستطلاع أنه توجد للعدو قوة فى كثيب الحبشى تقدر بسريتين دبابات مدعمة بالصواريخ المضادة للدبابات ومعها بطارية مدفعية ١٥٥ مم، وتم الاتصال بقائد اللواء ٢٥ مدرع وإبلاغه بالمعلومات وتأكيد الأوامر السابقة.

فى الساعة ٠٧٠٠ بدأ اللواء ٢٥ مدرع فى الاندفاع خارج رأس كوبرى الفرقة ٧

المشاة، وتم تأمين دفعه بقصفة مدفعية لمدة ١٠ دقائق على الأهداف المعادية المكتشفة فى قطاع التقدم.

فى الساعة ٠٨٣٠ بدأ العدو فى الاشتباك مع اللواء من مسافة ٢,٥ كيلومتر واستمر اللواء فى التقدم بمعاونة مدفعية الفرقة ٧ المشاة دون تأثير لنيران العدو.

وفى الساعة ٠٩٠٠ أبلغنى اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثانى أن العدو يحتل منطقة تل سلام بقوة ٤٠ دبابة، وقمت بإبلاغ هيئة العمليات، وطلبت قيام الطيران بضرب العدو، لتسهيل مهمة اللواء.

فى الساعة ٠٩٢٥ وصل رأس رتل اللواء ٢٥ مدرع إلى مسافة ٢ كم شمال الرأس البيضاء، وبدأ العدو فى محاولة الالتفاف على جانبه الأيمن بقوة ١٨ دبابة تعاونها نيران بطارية المدفعية ١٥٥ مم من كثيب الحبشى والصواريخ المضادة للدبابات، وخلال ساعة تقريبًا تمكن اللواء من القضاء على سريتى دبابات للعدو، وواصل تقدمه الساعة ١٠٣٧ بعد أن توقف معظم الرتل الإدارى للواء نتيجة غرز العربات وتدمير إطاراتها بفعل شظايا المدفعية، وأثناء المعركة تم الاتصال بالجيش الثانى الميدانى؛ لمعرفة موقف هجوم الفرقة ٢١ مدرعة فى اتجاه اللواء، وأفاد العميد صالح أمين من قيادة الجيش أن الفرقة قد بدأت هجومها من ١,٥ ساعة وأكد وجود حوالى ٤٠ دبابة على مسافة ٣ـ٤ كم من اللواء ٢٥ مدرع فى تل سلام.

الساعة ١١٥٠ بدأ العدو فى قصف اللواء ٢٥ مدرع بالطيران بعنف ورصدت إشارات لتوجيه وحدات مدرعة فى اتجاه اللواء، كما بدأ العدو فى الاشتباك مع اللواء بالصواريخ المضادة للدبابات، وبعد حوالى ساعة من الاشتباك بدأت قوة من ٢٤ دبابة معادية الالتفاف على الجانب الأيمن للواء، وأمرت قائد اللواء بدفع المشاة فى اتجاه تل سلام؛ لتدمير ستائر الصواريخ المضادة للدبابات، كما أمرته باستخدام ستائر الدخان لتعمية دبابات وصواريخ العدو وإخفاء تحركه، وقامت مدفعية الفرقة ٧ المشاة ومدفعية الجيش بالضرب على تل سلام، واستمر اللواء يحاول شق طريقه فى وسط نطاقات متعددة من الصواريخ المضادة للدبابات، وفى الوقت نفسه يحاول منع العدو من الالتفاف على جانبه الأيمن والوصول إلى مؤخرته مع تعرضه للقصف الجوى المركز على فترات كلما نجحت مقاومته فى إحداث الخسائر بدبابات

العدو وفى الوقت نفسه حاول العدو قطع طريق ارتداد وإمداد اللواء من الخلف بالهجوم على نقطة كبريت، ولكن نجح اللواء ٨ المشاة وعناصر اللواء ١٣٠ مشاة أسطول فى صد الهجوم والمحافظة على الطريق إلى مؤخرة اللواء مفتوحًا، وارتدت دبابات العدو شرقًا، وبدأت الخسائر فى التزايد بسرعة تحت ضغط القتال غير المتكافئ الذى يخوضه اللواء ٢٥ مدرع مستقل.

وفى الساعة ١٤٣٧ يوم ١٧ أكتوبر اتصل بى الرئيس السادات الذى كان يتابع الموقف، وسألنى عن الموقف فى الجيش الثالث، فقلت له إن قوات الشرق موقفها ممتاز، وقلت له إن الخوف كل الخوف على اللواء ٢٥ مدرع، فهذا اللواء لن يصل إلى هدفه وسوف يدمر.

فقال الرئيس السادات: «وما هو الحل إذن؟».

فقلت له: «الفرقة ٢١ مدرعة من الجيش الثانى تهاجم قوات العدو، وبذلك تعاون هجوم اللواء ٢٥ مدرع للوصول للهدف».

فسمعته فى الميكرفون الأخر يقول: «يا عرابى المعركة دى معركة مصر اهجم» وانتهى الحديث.

وعن تلك المعركة يقول الفريق الشاذلى فى كتابه «قصتى مع السادات» ص٧٢:

«تقدم اللواء ٢٥ مدرع صباح يوم ١٧ من رأس كوبرى الجيش الثالث متجها شمالا فى اتجاه الدفرسوار، وكان العدو يراقبه ويعد الخطة لتدميره، وعندما وصل اللواء إلى منتصف المسافة بين رأس كوبرى الجيش الثالث وبين الطرف الشمالى للبحيرات المرة، وقع اللواء ٢٥ فى كمين للعدو قامت بتنفيذه فرقة مدرعة تضم ثلاثة ألوية مدرعة قام أحد الألوية بسد طريق تقدم اللواء شمالا، بينما تحرك اللواءان الآخران؛ ليتخذا مواقع إلى اليمين وإلى المؤخرة بالنسبة لاتجاه تقدم اللواء ٢٥ مدرع، وعندما دخل اللواء منطقة الكمين هوجم بالنيران من ثلاثة اتجاهات. وثم تدميره تدميرًا تاما، ولم ينج من هذه المجزرة سوى حوالى ٢٥ دبابة».

وفى الساعة ١٦٢٠ أصبح اللواء ٢٥ مدرع غير قادر على التقدم فى وسط غابة كثيفة من الدبابات والستائر المضادة للدبابات ونيران المدفعية التى تصبها القوات الإسرائيلية على اللواء بكثافة كبيرة.

وفى آخر اتصال بقائد اللواء أمرته باستخدام الدخان وتغيير خط تقدمه بالاندفاع شرقًا ثم شمالا تحت ستر المشاة لسرعة الوصول إلى خط التقابل مع الفرقة ٢١ مدرعة التى تهاجم من اتجاه الجيش الثانى فى اتجاه اللواء، ولكن قائد اللواء أبلغنى باستحالة التقدم، وأنه يتعرض للهجوم من أكثر من ٥٠ دبابة من اتجاه كثيب الحبشى على جانبه الأيمن، ثم انقطع الاتصال اللاسلكى باللواء ٢٥ مدرع الساعة ١٧١٥، ولم أيأس، واتصلت بالجيش الثانى الذى أصبح اللواء الذى دفع لمعاونته داخل قطاع مسئوليته، لمحاولة استعادة الاتصال باللواء، ولكن الجيش الثانى أبلغنى أنهم أيضًا قد فقدوا الاتصال باللواء ٢٥ مدرع.

وكان لابد من عمل شىء لاستعادة الاتصال مع اللواء ٢٥ مدرع حتى يمكن معرفة موقفه ومعاونته على الخروج من هذا الكمين الذى نصبه العدو له، كما قال الفريق سعد الشاذلى فى مذكراته، فقمت الساعة ١٩٢٠ بدفع مجموعة مقاتلة مكونة من سرية صاعقة ومعها مجموعة استطلاع بقيادة ضابط من فرع استطلاع الجيش ومعه جهاز لاسلكى، وكان على سرية الصاعقة التسرب بمجموعات من رأس كوبرى اللواء ٨ المشاة على الجانب الأيمن للواء ٢٥ مدرع والقيام بأعمال هجومية على العدو الذى يهدد جانبه الأيمن من كثيب الحبشى وتغطية قيام مجموعة الاستطلاع بشق طريقها إلى اللواء، وتوصيل الجهاز اللاسلكى وإعادة الاتصال مع اللواء، وفى الساعة ٢٣٠٥ وصل ضابط من قيادة مدفعية اللواء ٢٥ مدرع إلى نقطة كبريت وأبلغ عن تعرض اللواء لخسائر فادحة، وأن دبابة قائد اللواء قد تم تدميرها، ولكنه شاهد قائد اللواء يقفز منها، وأمرت بعودة الضابط إلى اللواء ومعه جهاز لاسلكى.

وبعد منتصف ليلة ١٧ / ١٨ أكتوبر بقليل نجح اللواء ٢٥ مدرع المستقل فى التخلص من المعركة والارتداد إلى نقطة كبريت، وبعد إعادة تجميع المعدات والدبابات والشاردين تبين أن قوة اللواء أصبحت ٢٥ دبابة فقط منها عدد من الدبابات التى بها أعطال مختلفة وهو ما يعنى أن اللواء قد خسر فى هذه المعركة أكثر

من ٥٥ دبابة فى نهار يوم واحد من القتال علاوة على العشرات من جنوده وضباطه الأبطال الذين قاتلوا مع الفرقة ٧ المشاة على مدى ١١ يوم قتال ولم يخسروا فيها سوى ١٥ دبابة وكبدوا العدو فى مقابلها العشرات من الدبابات والمجنزرات، وأمرت بتمركز اللواء ٢٥ مدرع فى نقطة كبريت واتخاذ إجراءات عاجلة لرفع كفاءة اللواء مرة أخرى.

وبذلك انضم اللواء ٢٥ مدرع إلى اللواء١ مشاة ميكانيكى واللواء ٣ مدرع الذين لم ينالا الدعم والحماية الجوية اللازمة للقوات عندما تدفع بعيداً عن مدى قوات الدفاع الجوى، ولكن هذه المرة كانت الضحية ليست فقط تدمير اللواء، بل كانت النتيجة للمعركة الخاسرة التى دفع إليها اللواء ٢٥ مدرع هى ضياع المزيد من الوقت الثمين دون عمل حاسم لضرب القوات الإسرائيلية فى الثغرة مما أعطاها المزيد من الوقت والفرصة لتدمير عناصر الدفاع الجوى وتوسيع وتعميق ثغرة الدفرسوار كما ذكرت فى القسم السابق.

وللقارئ أن يتصور ما كان يمكن أن يحدث لو كانت القيادة العامة قد وافقت على دفع اللواء ٢ مدرع المدعم من غرب القناة يوم ١٦ أكتوبر؛ لتدمير العدو فى ثغرة الدفرسوار، حيث كان اللواء ٢ مدرع على دراية بالأرض وداخل مدى الحماية بوسائل الدفاع الجوى لقواتنا وفى أرض تحت سيطرة قواتنا، بدلاً من دفع اللواء ٢٥ مدرع فى أرض ليس له خبرة بها وتحت سيطرة العدو وخارج نطاق ومدى عمل صواريخ دفاعنا الجوى، بالإضافة إلى ما أحدثته القوات الإسرائيلية من تغييرات فى محاور وطرق التحرك، وما أقامته من سواتر ترابية ومواقع نيران فى منطقة لم يكن لقواتنا دراية بها، وقامت القوات الإسرائيلية بالمناورة خلالها؛ لتدمير اللواء ٢٥ مدرع مستقل.

* * *

الفصل الرابع

القتال ضد العدو غرب القناة

القسم الأول : تأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث
القسم الثانى : القتال غرب القناة فى نطاق الجيش الثالث
القسم الثالث : القتال ضد العدو بعد قرار وقف القتال
القسم الرابع : من صمود السويس إلى فض الاشتباك

القسم الأول
تأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث

المرحلة الأولى لقتال قوات العدو غرب القناة هى مرحلة متابعة أعمال العدو ضد الجيش الثانى الميدانى ومعاونته بالنيران والقوات ـ وأبرزها بالطبع معركة اللواء ٢٥ مدرع مستقل التى تحدثنا عنها فى القسم الأخير من الفصل السابق ـ واتخاذ الإجراءات الاحتياطية، لتأمين الجانب الأيسر للجيش الثالث، وقد بدأت هذه المرحلة من الساعة ١١٠٠ يوم ١٦ أكتوبر ـ أى منذ علمت للمرة الأولى من هيئة العمليات بوجود اختراق لرأس كوبرى الجيش الثانى ـ واستمرت حتى وصول العدو المتسرب إلى نطاق الجيش الثالث الميدانى والاصطدام بالعناصر المقاتلة للجيش الساعة ١١٤٠ يوم ١٩ أكتوبر.

وقد سارت أحداث هذه المرحلة كما يلى:

قام العدو خلال ليلة ١٤ / ١٥ وطوال يوم ١٥ أكتوبر بقصف قوات رأس كوبرى الجيش الثالث وكتائب الصواريخ المضادة للطائرات المتمركزة شرق القناة بالمدفعية بعيدة المدى والطيران مما دعى إلى ضرورة سحبها غرب القناة بناءً على أوامر القيادة العامة، كما وردت معلومات تفيد بقيام العدو بحشد أعداد كبيرة من الطائرات فى مطار المليز، ثم وجه العدو غارة جوية بقوة حوالى ٤٠ طائرة على قاعدة القطاميه الجوية، وتمكنت قواتنا من إسقاط ١٤ طائرة منها، كما تعددت هجماته المضادة بالدبابات على الجانب الأيسر لرأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة فى مواجهة اللواء ١١ مشاة ميكانيكى، وصحب هذه الأعمال نشاط بحرى معاد فى خليج السويس ونشاط استطلاع جوى للمنطقة، واستمر التراشق بالمدفعية والدَّبابات على مواجهه رأس الكوبرى بالكامل طوال ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر.

وفى نطاق الجيش الثانى قام اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى بإعادة توازن

القوات غرب القناة بعد دفع الفرقة ٢١ مدرع لتطوير الهجوم، بإعادة تمركز اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من مواقعه شمال ترعة الإسماعيلية إلى منطقة تقاطع عثمان جنوب الترعة الحلوة فى أول ضوء يوم ١٣ أكتوبر؛ لتأمين المنطقة غرب القناة محل الفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرع، وفى الساعة ٢١٠٠ يوم ١٥ أكتوبر قام اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى بدفع سرية دبابات؛ لاحتلال مصاطب الدبابات غرب القناة؛ لضرب قوات العدو إلا أنها لم تصل إلى مواقعها لعدم درايتها بالأرض فى المنطقة.

أحداث يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣:

خلال ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر نجح العدو كما ذكرنا فى الفصل السابق فى عمل ثغرة على الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة من الجيش الثانى، وتمكن من العبور غرب القناة وإنشاء رأس كوبرى، وخلال يوم ١٦ أكتوبر ركز العدو نيران المدفعية والدبابات وهجماته الجوية على رأس كوبرى الجيش الثالث، ووجه هجماته المضادة فى اتجاه الجانب الأيسر لرأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة؛ لتثبيت قوات رأس الكوبرى خاصة فى مواجهة الجانب الأيسر، علاوة على سيطرته على المنطقة بين كبريت ورأس الكوبرى بالكمائن وستائر الصواريخ المضادة للدبابات، وقد شوهدت من الضفة الغربية للبحيرات المرة تحركات دبابات العدو فى الشرق بأعداد كبيره جنوبًا فى اتجاه كبريت، وشمالاً فى اتجاه الجيش الثانى.

وفى قطاع الجيش الثانى تم دفع اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى صباح يوم ١٦ أكتوبر للهجوم المضاد فى اتجاه الدفرسوار دون حماية أو معاونة جوية، وفى ظل تأثر عناصر الدفاع الجوى فى المنطقة بالهجمات الأرضية التى كانت تقوم بها الدبابات الإسرائيلية، وبالتالى تعرض اللواء لهجمات مركزة من الطيران الإسرائيلى، ثم وقع فى كمائن نصبها العدو على طريق تحركه، ومنى اللواء بخسائر كبيرة، واستشهد قائد اللواء، وتوقف فى منطقة الكمين بتقاطع طرق «أبو سلطان» مع طريق المعاهدة.

الساعة ١٣٠٠ يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ تم تعيين اللواء عبد المنعم خليل لقيادة الجيش الثانى، وكان اللواء تيسير العقاد رئيس أركان الجيش الثانى يتولى القيادة بعد إصابة اللواء سعد مأمون قائد الجيش بأزمة قلبية يوم ١٤ أكتوبر.

وبانتصاف نهار هذا اليوم وبعد تولى اللواء عبد المنعم خليل قيادة الجيش الثانى والاطلاع على الموقف، بدأ فى محاولة استعادة السيطرة على الموقف، فطلب إعادة اللواء ١٥ مدرع من رأس الكوبرى إلى غرب القناة؛ لتكوين احتياطى قادر على مواجهة الموقف، ولكن وزير الحربية رفض هذا الطلب، ثم حاول إعادة تمركز قيادة الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى فى منطقة الثغرة للسيطرة على القوات، ولكنها تأخرت فى التنفيذ، فطلب إعادة تمركز قيادة الفرقة ٢١ مدرعة من الشرق إلى الغرب؛ لقيادة الاحتياطيات التى تعمل غرب القناة، ولكن الوزير رفض هذا المطلب أيضًا مما ساعد على اتساع الثغرة، وازدياد عمق الاختراق المعادى غرب القناة، واستمراره فى تدمير كتائب الصواريخ، وتوسيع الثغرة فى نظام الدفاع الجوى.

وبدلاً من أن تصدق القيادة العامة على مطالب قائد الجيش الثانى المسئول عن العمليات داخل قطاع الجيش والمتواجد وسط ميدان القتال والقادر على الانتقال ومعاينة الموقف على الطبيعة واتخاذ القرارات المناسبة، أصدرت القيادة العامة أوامرها بقيام اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى ـ المتورط فى الكمين منذ الصباح والمثقل بالخسائر خاصة فى عناصر قيادة اللواء، والذى استشهد قائده كما ذكرت ـ بالتغلب على العدو فى مواجهته واحتلال الساتر الترابى والمصاطب على الضفة الغربية لقناة السويس فى منطقة الثغرة وشمالها، كما أصدرت تعليماتها بإعادة تمركز اللواء ٢٣ مدرع من الفرقة ٣ مشاة ميكانيكى ـ الاحتياطى الاستراتيجى للقيادة العامة ـ فى منطقة تقاطع طريق الإسماعيلية ـ القصاصين، وأمرت بدعمه بكتيبة مظلات.

ثم اتخذت القيادة العامة للقوات المسلحة قرارها بدفع اللواء ٢٣ المدرع من الفرقة ٣ مشاة ميكانيكى احتياطى القيادة العامة، كما دفعت باللواء ١٥٠ مظلات إلى جنوب وغرب الإسماعيلية.

أما فى نطاق الجيش الثالث فقد دارت الأحداث كالآتى:

الساعة ١١٠٠ صدرت الأوامر بقيام اللواء ٢٥ مدرع لتوجيه هجمة مضادة خلال نصف ساعة؛ لتدمير العدو الذى تمكن من اختراق الجانب الأيمن للجيش الثانى، ودارت أحداث دفع هذا اللواء المدرع إلى حتفه، كما ذكرت فى القسم السابق.

الساعة ١٣٤٠ أمرت برفع درجة استعداد اللواء ٢ مدرع واللواء ٦ مشاة ميكانيكى إلى الحالة القصوى، حيث وردت معلومات غير مؤكدة عن تواجد دبابات للعدو على طريق المعاهدة الإسماعيلية ـ السويس فى منطقة كم ٧٣ / ١٦، وتم استعداد الكتيبة ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع المكلفة بمهمة تأمين الفاصل مع الجيش الثانى للعمل فى هذا الاتجاه، كذلك تم استعداد اللواء ٦ مشاة ميكانيكى لنجدة لواء الصاعقة الفلسطينى.

الساعة ١٤٣٥ أخطرت مساعد قائد الفرقة ٤ مدرعة أن العدو ينوى تدمير كتائب صواريخ الدفاع الجوى غرب القناة، وأمرته بتأمين تقاطعات الطرق، والتأكيد على قواعد الصواريخ لزيادة اليقظة وتنظيم الحراسة والدفاع.

الساعة ١٤٤٠ أبلغنى قائد محطة فايد أن العدو قام بإبرار بحرى بحوالى ٢٠ دبابة برمائية من شمال نقطة الدفرسوار، وأنها اتجهت غربًا إلى وصلة «أبو سلطان» وقد اشتبك معهم اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى والطيران، وأنهم قد تدمروا جميعًا عدا ٨ دبابات فى المنطقة غرب تقاطع «أبوسلطان» بمسافة ٨ كم ومعهم أسلحة مضادة للدبابات، كما يوجد «٢» كتيبتا دبابات معادية جنوب تل سلام وأن اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى قد كلف بإتمام تدميرهم، وأنه جارى عمل كمائن فى المنطقة بواسطة كتيبة المغاوير الكويتية.

الساعة ١٤٤٥ أبلغنى الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة أن العدو تمكن من اختراق الجانب الأيمن للجيش الثانى فى منطقة الدفرسوار، وتمكن من السيطرة على المنطقة شرقها وشمالها حتى منطقة عزبة الجلاء شرق البحيرات المرة الكبرى كما دفع ١٥ - ٢٠ دبابة برمائية غرب القناة تقوم بمهاجمة كتائب اللواء ١٠٥ صواريخ مضادة للطائرات غرب القناة، كما أن العدو قام بدفع عناصر صواريخ هوك المضادة للطائرات شرق القناة مباشرة فى منطقة الاختراق وأصبح فى إمكانه التدخل ضد قواتنا الجوية شرق القناة، وأمر بسرعة دفع اللواء ٢٥ المدرع؛ لتدمير العدو الذى يهاجم الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة من الجيش الثانى.

الساعة ١٦٣٦ أمرت الفرقة ٤ المدرعة بتجميع اللواء ٢ مدرع فى منطقة قيادة الفرقة وإعادة ملء الدبابات بالوقود؛ ليكون اللواء جاهزًا للعمل فى اتجاه وصلة «أبو سلطان» مع ترك سريتى الدبابات المحتلتين للساتر الترابى فى مواقعها، كما

أمرت برفع درجة استعداد اللواء ٦ مشاة ميكانيكى أيضًا إلى درجة الاستعداد القصوى بأسرع ما يمكن .

الساعة ١٧٢٠ أمرت الفرقة ٤ مدرعة بدفع عناصر استطلاع من اللواء ٢ المدرع فى اتجاه الدفرسوار ، وفى الساعة ١٨١٥ أمرت قائد الفرقة ٤ مدرعة بتأكيد إعادة ملء دبابات اللواء ٢ مدرع ، وزيادة اليقظة حول قواعد الصواريخ المضادة للطائرات فى منطقة جبل غره .

الساعة ١٧٤٧ أبلغنى الفريق الشاذلى بوجود دبابات غير معروف نوعها يحتمل تقدمها جنوبًا على الضفة الغربية للقناة ، وأمر بعمل كمائن بكتيبة صاعقة على الجانب الأيسر للجيش .

الساعة ١٨٣٥ أفادت القيادة العامة أن الجيش الثانى أبلغ أن العدو ينسحب وبه خسائر كبيرة ، ثم عادت بعد ساعة ، وأفادت بأن العدو تمكن بقوة ١٢ دبابة وعربة نصف جنزير من تنظيم كمائن فى تقاطع طريق المعاهدة مع كل من طريق «أبوسلطان» وطريق سرابيوم ، وفى تقاطع وصلة «أبو سلطان» مع وصله «أبو صوير» ، فأمرت بسرعة دفع عناصر استطلاع من الفرقة ٤ المدرعة فى اتجاه الدفرسوار ؛ لمراقبة الجانب الأيسر للجيش وجمع المعلومات حتى تكون الفرقة مستعدة مبكراً للعمل ضد العدو فى هذا الاتجاه عند الحاجة .

الساعة ٢٢٤٥ أبلغ اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة رئيس شعبة عمليات الجيش أن الموقف فى الجيش الثانى هادئ ، وبعد ساعة أمر الفريق «سعد الشاذلى» رئيس أركان حرب القوات المسلحة بسحب ٢ سرية صواريخ مضادة للدبابات ، (فهد) من تجميع فرق النسق الأول للجيش الثالث وترحيلهم إلى القاهرة ؛ لتشكيل احتياطى مضاد للدبابات ، وتم التنفيذ رغم اعتراض قادة الفرق ١٩ و٧ مشاة لما لذلك من تأثير سلبى على قوة الدفاع المضاد للدبابات فى رأس الكوبرى شرق القناة الذى كان يتعرض فى ذلك الوقت للهجمات المضادة الإسرائيلية .

أحداث يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ :

لتأمين رأس الكوبرى شرق القناة بعد سحب الصواريخ المضادة للدبابات (الفهد) ، وأيضا سحب اللواء ٢٥ مدرع لمعاونة الجيش الثانى ، أمرت بقيام فرق

النسق الأول للجيش شرق القناة بدفع ستائر مضادة للدبابات على مسافة ٥ , ١ ـ ٢ كم شرق الحد الأمامى لرأس الكوبرى مع دفع أطقم اقتناص دبابات أمامها بمسافة ٥ , ١ ـ ٢ كم أخرى، وبذلك يتم تأمين رأس الكوبرى من مسافة ٣ ـ ٤ كم، كما أمرت بتنفيذ الإغارات على الأهداف الثابتة للعدو بقوة لا تقل عن فصيلة.

وقد نجحت القوات فى تنفيذ هذه الخطة مما كان له أثر كبير فى عدم تمكن القوات الإسرائيلية من اختراق رأس كوبرى الجيش الثالث طوال الفترة التالية.

الأحداث على محور ساحل البحيرات المرة ـ طريق المعاهدة:

الساعة ٠٠١٥ وبناء على طلب القيادة العامة، تم الاستيضاح عن وجود عدو فى اتجاه جنيفه من قائد محطة جنيفه الذى أفاد بالنفى، كما أفاد أنه لا يوجد عدو أيضًا فى منطقة مصنع الثلج.

وبدا واضحًا أن الاختراق فى الجانب الأيمن للجيش الثانى قد اتسع وازداد عمقًا كما أحسست أن القيادة العامة فى القاهرة لا تتعامل مع الموقف بالطريقة المناسبة وتوقعت أن العدو سيتسرب من قطاع الجيش الثانى إلى قطاع الجيش الثالث، وبناء على ذلك واعتبارًا من الساعة ٠٤٠٠ بدأت القوات فى تنفيذ الإجراءات؛ لتأمين الجانب الأيسر للجيش فى المنطقة بين البحيرات وسلسلة جبل جنيفه ـ الجوزه الحمراء بالبدء فى رص حقل ألغام على الحد الأيسر للجيش على المحور الساحلى بمنطقة فناره وقيام كتيبة صاعقة فلسطينية بتدعيم الدفاع على الجانب الأيسر للجيش فى مواجهة الشمال، كما دفعت الفرقة ٤ المدرعة دورية استطلاع ضباط فى اتجاه اللواء الفلسطينى، وخصصت سرية مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى لتأمين طريق المعاهدة، وتم دفع ٢ مجموعة استطلاع فى اتجاه تقاطع طريق المعاهدة مع كلّ من وصله «أبو سلطان» ووصلة سرابيوم فى اتجاه تقاطع طريق الجيش مع وصلة «أبو سلطان».

الساعة ١٠٤٠ أبلغت عناصر الاستطلاع أن للعدو دبابات برمائية تعبر من الشرق إلى الغرب بمنطقة وصلة «أبو سلطان» وجارى الاشتباك معهم.

الساعة ١٠٥٠ دفعت عناصر استطلاع مقاتلة من الفرقة ٤ المدرعة فى اتجاه

«أبوسلطان» بمهمة استطلاع العدو والدخول فى قتال معه إذا استدعى الأمر، وتم إصدار تحذير إلى المناطق الإدارية؛ لاحتمال مهاجمتها.

الساعة ١١٢٥ أفادت إدارة المخابرات بأن ٢٠ دبابة برمائية للعدو تحاول العبور إلى«أبو سلطان» ولكن رئيس هيئة العمليات أبلغنا بعدم صحة هذه المعلومات الساعة ١٢١٦.

الساعة ١٥٠٠ وردت معلومات عن نزول ٧ دبابات برمائية فى اتجاه مطار كبريت، فقررت دفع سرية دبابات إلى مطار كبريت؛ لتأكيد هذه المعلومات وتدميرها فى حالة وجودها.

الساعة ١٥٥٠ وبناء على أوامر هيئة العمليات، أتمت عناصر المهندسين العسكريين للجيش سد جميع الثغرات المفتوحة للصيادين على البحيرة المرة الكبرى، وتم تكثيف الألغام الموجودة على شاطئ البحيرات.

الساعة ١٧٢٥ وبظهور بوادر خطورة من اتجاه ساحل البحيرات قررت دفع الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى بقيادة المقدم صلاح مصباح إلى الجانب الأيسر للجيش فى المنطقة غرب معسكر الحمراء ـ شمال شرق مدخل وادى سد الجاموس، مع دفع سرية مدعمة منها على ساحل البحيرة فى منطقة الروضة بغرض تدمير أى إبرار بحرى بمنطقة ميناء فنارة، وحتى معسكر جنيفه بالتعاون مع اللواء الفلسطينى وتدمير أى دبابات معادية تتسلل من اتجاه الجيش الثانى أو إبرار جوى معاد أو تسلل بمنطقة جنيفه أو من وادى سد الجاموس ووصلت الكتيبة الساعة ٢٣٣٠ إلى مكانها المحدد، وتمركزت فيه استعداداً لتنفيذ المهام المكلفة بها.

الأحداث على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة:

الساعة ١٤٠٧ قررت سحب اللواء ٤٥ مدفعية من شرق القناة إلى الضفة الغربية للقناة، وإعادة تنظيمه ضمن وحدته الأصلية، وهى الفرقة ٤ المدرعة، استعداداً لما سيسفر عنه القتال فى الأيام القادمة.

الأحداث على باقى المحاور فى نطاق الجيش الثالث:

بعد انتهاء معركة اللواء ٢٥ المدرع بعودة اللواء إلى نقطة كبريت بأقل من ٢٥

دبابة صالحة للقتال وخسائر كبيرة فى الأرواح، قررت تمركز بقايا اللواء فى النقطة القوية بكبريت للاشتراك فى تنظيم الدفاع عنها، ولإعادة التوازن فى رأس الكوبرى، قمت بتعديل مهمة اللواء ٣ المدرع؛ ليكون احتياطى الجيش شرق القناة، كما عدلت منطقة تمركزه؛ ليكون اللواء خلف منطقة الاتصال بين الفرقة ١٩ المشاة والفرقة ٧ المشاة، وتأكيدا لاتزان الدفاع فى رأس الكوبرى وتوفير إمكانيات الدفاع المضاد للدبابات قمت فى نهاية اليوم بدفع الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ المدرع إلى رأس كوبرى الفرقة ٧ المشاة؛ للعمل كاحتياطى لقائد الفرقة.

أحداث يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣:

حافظ العدو على الاتصال بقواتنا شرق القناة بالنيران، واستمرت التراشقات بالمدفعية والدبابات طوال النهار، وركز العدو نشاطه الجوى على منطقة الثغرة فى قطاع الجيش الثانى.

واستمراراً لمحاولات القيادة العامة تدارك الموقف فى الثغرة أمر وزير الحربية بدفع اللواء ٢٣ مدرع من احتياطى القيادة العامة فى الساعة ٠٧٠٠؛ لتوجيه ضربة مضادة فى اتجاه الدفرسوار مع تجنب الكمائن وتحمل الخسائر للوصول إلى الدفرسوار واحتلال المصاطب على الضفة الغربية من الدفرسوار وشمالاً بمواجهة ٥ كيلومتر، **وتم دفع اللواء الساعة ٠٧٠٠ بعد انقشاع الضباب فى أرض زراعية ومبان ولم يكن قد سبق للواء دراسة هذه الأرض، وتعرض اللواء لهجوم عنيف منّ طيران العدو دون حماية جوية من طائراتنا، وتشتت اللواء.**

وفى الساعة ١٧٠٠ يوم ١٨ أكتوبر وصل الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة إلى قيادة الجيش الثانى، وأعلن أنه قد تولى قيادة الجيش الثانى، وبعد دراسة الموقف والاستماع إلى تقارير رؤساء أفرع الجيش، قرر عدة إجراءات لتدمير العدو غرب القناة تعتمد على استخدام القوات الخاصة ومجموعات اقتناص الدبابات؛ للعمل ضد العدو فى الأراضى الزراعية والمناطق المبنية لحين إعادة بعض الوحدات المدرعة من الغرب.

الساعة ٠٠٣٠ أصدرت القيادة العامة أمراً بتكليف اللواء ٢ المدرع من الجيش الثالث بالدفع خلال ساعة واحدة فى اتجاه شمال البحيرات المرة؛ لتدمير العدو فى المنطقة ١ كم جنوب ميناء «أبوسلطان» ـ مطار الدفرسوار ـ ٣ كم شمال محطة الدفرسوار.

الساعة ٠١٢٥ تم دفع مفرزة استطلاع فى اتجاه تحرك اللواء؛ لاستطلاع منطقة الدفرسوار وحققت المفرزة الاتصال باللواء ٢٣ المدرع فى نطاق الجيش الثانى الساعة ٠٣٠٠ ومرة أخرى عدلت القيادة العامة الساعة ٠٣٢٠ مهمة اللواء؛ ليكون مسئولاً عن تدمير أى قوات إبرار معادية فى منطقة تقاطع عثمان أحمد عثمان مع تمركزه فى مكانه جاهزًا للتنفيذ، فأصدرت أوامرى إلى قائد الفرقة ٤ المدرعة باستطلاع منطقة عثمان أحمد عثمان، وفتح محاور تحرك اللواء إلى هذه المنطقة.

قام لواء الصاعقة الفلسطينى بتعزيز دفاعه على طريق الساحل، وكذا الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى التى أتمت احتلال أماكنها المحددة مع أول ضوء، وقد دفعت فصيلة صاعقة فى المنطقة بين محجر فايد وفنارة للعمل كأطقم اقتناص؛ لتدمير دبابات العدو التى تتسرب فى اتجاه كبريت.

الساعة ٠٨٠٧ وردت معلومات من إدارة المخابرات والاستطلاع بأن العدو تمكن الساعة ٠٧٤٠ من دفع ٢٥ دبابة فى اتجاه مرسى «أبو سلطان» وسرابيوم وجارى التعامل معهم.

الساعة ١١١٥ وبناء على قرار القيادة العامة تم تشكيل مجموعة قتال من الفرقة ٤ المدرعة بقيادة العميد عبد العزيز قابيل قائد الفرقة، ومعه الكتيبة ٢٠٩ دبابات المدعمة من اللواء ٢ المدرع، بالإضافة إلى ١٤ دبابة، و٦ أطقم قاذفات صواريخ مضادة للدبابات من المنشآت التعليمية، كتيبة استطلاع الفرقة ٣ مشاة ميكانيكى، وكانت مهمة المجموعة هى التمركز فى منطقة تقاطع عثمان أحمد عثمان بغرض تأمين الحدود الخلفية للجيشين يسارا حتى ترعة الإسماعيلية، وفى الساعة ١٤٠٠ تم تمركز مجموعة قابيل فى محلاتها، وقد تحركت مع قابيل عناصر أخرى من الفرقة ٤ المدرعة وهى: كتيبة مدفعية - فوج دفاع جوى عدا ٢ سرية - سرية مشاة ميكانيكى - سرية مضاد للطائرات - سرية مهندسين عسكريين - سرية صواريخ مضادة للدبابات - فصيلة دخان، كما أخذ معه قائد اللواء ٢ المدرع ومجموعة قيادة من اللواء ومجموعة قيادة من قيادة الفرقة، كما تم تعديل أوضاع الكتيبة ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ المدرع لتتمركز فى منطقة أم كثيب - الجربه فى أرتال سرايا جاهزة للدفع للاشتباك شمال الجربه؛ للتعاون مع مجموعة قابيل لتدمير أى قوات للعدو تتقدم غربًا.

ويقول اللواء عبد المنعم خليل فى كتابه (حروب مصر المعاصرة فى أوراق قائد ميدانى ص٢١٠) :

«واتصلت فورا بالقيادة العامة للقوات المسلحة؛ لتأخذ مسئولية تأمين المحور الرئيسى إلى القاهرة من تقاطع طريق الإسماعيلية من القصاصين / « أبو سلطان» بوحدات من الجيش الثالث؛ لأن الموقف فى منطقة «أبو سلطان» أصبح خطيرًا بعد فشل اللواء المدرع فى تنفيذ مهمته، وحدثت به خسائر كبيرة ونجاح دبابات العدو تحت مظلة جوية فى التسلل غربًا».

واستجابت القيادة العامة لهذا المطلب، وتم دفع لواء مدرع وعناصر من قيادة الفرقة ٤ المدرعة بقيادة العميد عبد العزيز قابيل إلى المنطقة؛ لإيقاف تقدم العدو غربا، ونجحت الخطة والحمد لله. "

حتى الساعة ١٥٠٠ تجمعت لدينا معلومات متفرقة عن نشاط العدو غرب القناة تتلخص فى أنه تتواجد للعدو ٨ دبابات على طريق القناة جنوب ميناء «أبو سلطان» و٥ دبابات تتجه نحو قاعدة الصواريخ خلف مطار فايد، وقد اتخذت إجراءات تأمين الجانب الأيسر للجيش، وقام لواء الصاعقة الفلسطينى بتعزيز دفاعه على طريق الساحل، وكذلك فعلت الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى التى كانت قد أتمت احتلال أماكنها المحددة مع أول ضوء، وقمت بدفع فصيلة صاعقة فى المنطقة بين محجر فايد وفنارة؛ للعمل كأطقم اقتناص دبابات؛ لتدمير دبابات العدو التى قد تتسرب فى اتجاه كبريت.

الساعة ١٥٥٠ أفادت القيادة العامة بأن بعض دبابات للعدو وصلت إلى مطار فايد وتقوم بمهاجمته وبوصول هذه المعلومات دفعت سرية صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة للعمل فى كمائن فى اتجاه فايد، بغرض تأمين الجانب الأيسر للجيش، كما قمت بتدعيم الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى بضابط ملاحظة مدفعية من مجموعة مدفعية الجيش.

مع توالى البلاغات عن نشاط العدو فى منطقة فايد الملاصقة للحد الأيسر للجيش قررت الساعة ١٦٤٠ عودة بقايا الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من رأس الكوبرى؛ لتتمركز بمنطقة كم ٨٥ طريق السويس

بمهمة نجدة الأهداف الحيوية فى حدود منطقة تمركزها وتأمين هذا التقاطع الحيوى فى عمق الجيش، وحتى يمكننى تحرير اللواء ٢ المدرع لمواجهة العدو الذى أصبح واضحًا أنه على وشك الدخول إلى نطاق الجيش، رغم أن العميد عبد العزيز قابيل أفاد الساعة ١٦٤٥ من مكانه فى منطقة عثمان أحمد عثمان أن الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى تتمركز أمامه على الوصلة ومسيطرة على الموقف، ولم أفهم أى موقف هذا التى تسيطر عليه الفرقة بعد أن وصل العدو إلى فايد ومطار فايد، وبعد أن أفاد الجيش الثانى الساعة ١٧٥٢ بتقدم دبابتين للعدو جنوبًا فى اتجاه نادى ضباط فايد على ساحل البحيرات المرة.

ولأهمية تماسك حائط الصواريخ المضادة للطائرات فى قطاع الجيش حتى لا تنفرد الطائرات الإسرائيلية بسماء المعركة أمرت بتخصيص ٢ مدفع ١٠٠ مم و ٢ رشاش مضاد للطائرات للدفاع الأرضى عن كل موقع كتيبة صواريخ دفاع جوى علاوة على قوة هذه الكتائب من الأفراد والأسلحة الشخصية.

وبناء على المعلومات المتجمعة بقيادة الجيش خلال هذا اليوم من مختلف المصادر فقد وضح موقف العدو بأنه له قوات غرب القناة فى نطاق الجيش الثانى تصل قوتها حتى ٢ كتيبة دبابات مدعمة تعمل متفرقة فى مجموعات صغيرة تنظم كمائن على تقاطعات الطرق، وتحاول الاستيلاء على كل من مطار فايد والدفرسوار وتدمير قواعد صواريخ الدفاع الجوى، كما وضح أنه يقوم بتعزيز قواته فى ثغرة الاختراق، ويقوم بتدعيم قواته غرب القناة حيث تبين أنه دفع بعناصر صواريخ هوك المضادة للطائرات على الضفة الشرقية للقناة مباشرة مما مكنه من تقييد حرية عمل قواتنا الجوية غرب القناة.

أحداث يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ :

بدأ الفريق الشاذلى فى تنفيذ خطة استخدام القوات الخاصة فى قطاع الجيش الثانى الميدانى، فقام بناءً على أوامر وزير الحربية بدفع مجموعة عمليات خاصة بقيادة العقيد إبراهيم الرفاعى لكنها لم تحقق النجاح المطلوب، واستشهد قائدها أحد أبطال حرب ١٩٦٧.

ثم قام الساعة ٢٢٣٠ من ١٩ أكتوبر بدفع المجموعة ١٣٩ صاعقة احتياطى القيادة

العامة للعمل فى الاتجاه جنوبًا حتى البحيرات المرة بناءً على أوامر الفريق أول أحمد إسماعيل ولكنها وقعت أثناء تحركها فى كمائن للعدو، ومنيت بخسائر كبيرة.

وانتهى هذا اليوم بتكبد العدو خسائر فادحة فى الأفراد والمعدات، وفى الوقت نفسه انتهى هذا اليوم أيضًا بالفشل فى تدمير العدو فى الثغرة أو إيقاف توغله غرب القناة، وازدادت خسائر احتياطيات القيادة العامة وتورطها فى القتال فى قطاع الجيش الثانى شمال الثغرة، وليس فى مواجهتها أو جنوبها.

أما فى نطاق الجيش الثالث فقد سارت الأحداث كالآتى:

على محور ساحل البحيرات - طريق المعاهدة:

الساعة ٠٠١٥ رصدت عناصر الاستطلاع اللاسلكى استمرار عبور وحدات فرعية للعدو فى منطقة الدفرسوار إلى غرب القناة.

الساعة ٠٠٣٠ أتم اللواء ١٠٩ «مهندسين عسكريين» رص حقل الألغام على الحد الأيسر فى منطقة محجر فايد من البحيرة حتى السلسلة الجبلية، كما تم رص الأسبقية الأولى على شاطئ البحيرات، وبدأ فى رص الأسبقية الثانية.

الساعة ٠١٠٠ أفادت معلومات استطلاع بأن قوة العدو غرب القناة تقدر بحوالى ٢ كتيبة دبابات وكتيبة مشاة ميكانيكى فى منطقة الدفرسوار، وأن العدو يقوم بالهجوم على رأس شاطئ الجيش الثانى بقوة لواء مدرع ولواء ميكانيكى وجارى دفع لواء مدرع من العمق فى اتجاه القناة، يحتمل استخدامه فى تعزيز رأس الشاطئ غرب القناة.

الساعة ٠٢٢٥ أفادت القيادة العامة بعبور دبابات ومشاة للعدو من شمال فايد تسترها المدفعية والصواريخ.

الساعة ٠٢٣٢ أفادت معلومات قائد اللواء الكويتى وقائد محطة فايد وقائد محطة جنيفه بعدم وجود عدو فى منطقة عمل كل منهم، ولكن أفاد قائد اللواء الفلسطينى بسماع أصوات جنازير على الضفة الشرقية للبحيرة المرة وفى المنتصف تتجه شمالاً.

الساعة ٠٢٣٠ بعد تأكيد المعلومات من عدة مصادر بعدم وجود عدو داخل نطاق الجيش أصدرت أوامرى برفع درجة استعداد الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى، بالإضافة إلى اللواء ٢ مدرع والتركيز على الجانب الأيسر للجيش.

الساعة ٠٥٠٠ ورد تقرير من إدارة المخابرات بأن العدو قد تمكن من دفع قوات غرب الدفرسوار، تقدر بحوالى ١٠٠ -١١٠ دبابة وعناصر مشاة ميكانيكى وأسلحة مضادة للدبابات وهاونات.

الساعة ٨٠٥ أبلغ رئيس هيئة العمليات رئيس أركان الجيش، بأن هناك ٢٠ دبابة تهاجم مطار فايد، وأن العدو الذى اخترق اليوم السابق بسيط، وطمأنه على الجانب الأيسر للجيش، حيث إن اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى يعيد تنظيمه، وسيقوم بالاختراق اليوم.

الساعة ٠٨١٥ أمرت بتشكيل لجنة برئاسة رئيس أركان الجيش وعضوية رئيس المهندسين العسكريين ورئيس الاستطلاع وضابط من شعبة عمليات الجيش الثالث، وكلفتها بمهمة تنظيم الدفاع عن الحد الأيسر للجيش، ونسف مطار كبريت، وتنظيم الدفاع فى نقطة كبريت وفى مطار كبريت، وبحث موقف اللواء ٢٥ مدرع، وتوجهت اللجنة، وقامت بتنفيذ المهام المكلفة بها، وكان من ضمن قراراتها إنشاء حقول ألغام على الجانب الأيسر فى المنطقة كم ٥٠ / ٣٩ طريق المعاهدة كما نظمت أوضاع الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى؛ لتحتل بقوة كتيبة عدا سرية فى المنطقة ٢٠٠ م شمال مدينة الضباط فى مواجهة الشمال، وتدفع السرية الباقية شمالاً لمسافة ١,٥ كم لحراسة حقل الألغام، كما أمرت بعد تنظيم دفاع نقطة كبريت بانضمام ٣ دبابات ٧٦ مم و١٠ مركبات برمائية إلى قوة دفاع مطار كبريت.

الساعة ٠٨٣٥ أفاد قائد اللواء الفلسطينى بأن العدو دمر سرية كويتية بواسطة ٣٠ دبابة، وتتقدم هذه الدبابات الآن جنوبًا، وقد تنبه عليه باليقظة خاصة على جانبه الأيسر.

الساعة ٠٨٤٠ دفعت سرية صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة إلى منطقة فايد لعمل كمائن لتدمير دبابات العدو، وتمكنت من تدمير ٣ دبابات معادية.

الساعة ٠٩١٥ أفاد قائد اللواء الفلسطينى بارتداد الأفراد الكويتيين للخلف.

الساعة ١٦٠٠ وصلت القوات الكويتية المرتدة من مواقعها فى الجيش الثانى

غرب البحيرات أمام الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى، ولم يمكن الاستفادة من إمكانياتها.

الساعة ١٧٠٠ أتمت الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى تنظيم واحتلال مواقعها بمنطقة فنارة.

الساعة ١٧١٠ أفادت إدارة المخابرات بأن العدو تمكن من الاستيلاء على قاعدة فى مطار الدفرسوار وميناء «أبو سلطان» حتى علامة كم ٩٦ طريق القناة، ويقوم بتدعيم دفاعاته فى هذه المنطقة وتأمين معابر شمال البحيرات، وينطلق العدو من هذه القاعدة بمجموعات من الدبابات بقوة ١-٢ سرية دبابات للعمل فى المؤخرة؛ لتدمير كتائب الصواريخ وقطع خطوط الإمداد.

كما أفادت أن العدو قد دفع الساعة ١٠٠٠ قوة من ٥٠ - ٦٠ دبابة فى مجموعات إلى الشمال فى اتجاه نفيشه وإلى الغرب من منطقة تقاطع طرق سرابيوم، وأنه فى الساعة ٠٩٤٥ تحركت قوة أخرى ٣٦ دبابة من تقاطع طريق «أبو سلطان» غربًا، وأن العدو قام الساعة ١٠٢٥ بتدمير كتيبة صواريخ دفاع جوى بالمنطقة بقوة ٤٠ دبابة.

الساعة ٢١١٥ تم تقديم المعاونة بالنيران من مدفعية الجيش الثالث إلى الجيش الثانى بالضرب على منطقة الدفرسوار، لمحاولة تدمير العدو، وإيقاف تدفق قواته غربًا.

وردت معلومات استطلاع برصد تحركات كبيرة على طريق العريش فى اتجاه بير العبد الساعة ٠٧٠٠ ومعدات عبور محملة على جرارات كانت تتحرك على المحور الأوسط الساعة ١٦٠٠ فى اتجاه الغرب، وأن العدو سيواصل تعزيز النجاح الذى حققه غرب القناة.

الساعة ٠٢٠٠ وصلت الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى إلى منطقة كم ٨٥ طريق السويس، وتم تمركزها ودفعت سرية مشاة ميكانيكى منها؛ لاحتلال وتأمين مضيق وادى حجول.

ومع متابعتى لهذه البيانات المتضاربة من قيادة الجيش الثانى وإدارة المخابرات والقيادة العامة، ومقارنتها بالبيانات المدققة التى كنت أجمعها بواسطة عناصر استطلاع الجيش وقادة الوحدات التى على الجانب الأيسر للجيش، أيقنت بأن

العمليات الإسرائيلية فى الأيام القادمة ستكون فى اتجاه الجيش الثالث، وتمنيت لو أن هناك صورة جوية واحدة تؤكد أوضاع العدو على الأرض، حتى أستطيع أن أضع التخطيط المناسب للمواجهة الحاسمة مع العدو غرب قناة السويس.

الساعة ٠٢٥٧ طلبت القيادة العامة رفع درجة استعداد اللواء ٢ مدرع واللواء ٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٤، وكنت قد رفعت درجة استعدادهما من قبل.

الأحداث على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة:

الساعة ٠٥٠٠ تم انضمام كتيبة مدفعية من اللواء ٤٥ مدفعية من شرق القناة إلى اللواء ٦ ميكانيكى كدعم للواء.

الساعة ٠٧٠٠ أبلغ قائد محطة فايد بأن العدو يهاجم مطار فايد بقوة حوالى ٢٠ دبابة.

الساعة ١٠٠٠ قام العدو باستطلاع جوى فى منطقة الجيش.

الساعة ١٠٠٥ أفادت إدارة المخابرات بأن العدو قصد بأعمال وحداته المدرعة غرب القناة تصفية موقف وسائل الدفاع الجوى والإنذار الجوى فى منطقة فايد وجنوباً حتى غرب طوسون؛ لتهيئة أنسب الظروف؛ لتنفيذ عملية إبرار وإسقاط جوى، وكذا الحصول على السيطرة الجوية لمعاونة قواته البرية، كما تستغل هذه الأعمال لإرباك القيادة وتشتيت واستهلاك الاحتياطيات، كما يواصل العدو هجومه المضاد على جانب الفرقة ١٦ هادفًا تدمير رأس الكوبرى والقوات لعبور قواته المدرعة والاتصال بقوات الإبرار المنتظر إبرارها فى المنطقة جنوب غرب الإسماعيلية.

الساعة ١٠٤٠ أبلغ رئيس أركان الفرقة ٤ مدرعة أن العدو قد احتل مطار فايد بقوة حوالى ٤٠ دبابة، ويقوم بمهاجمة قواعد الصواريخ ٧٠، ٥٩ فى نطاق الجيش الثانى بقوة ١ ـ ٢ فصيلة دبابات على كل قاعدة، كما أنه يقوم بتحريك دبابات له غربًا فى اتجاه تقاطع عثمان أحمد عثمان على مدق فايد، وقد أكدت هيئة العمليات صحة هذه المعلومات فيما بعد.

الساعة ١١٠٥ قررت القيادة العامة سحب اللواء ١١٣ ميكانيكى من بير عديب ودفعه؛ لاحتلال النطاق الثانى للجيش الثالث، وأنه سيدفع لواء مشاة مغربى بدلاً منه للاحتلال فى القطاع، وأمرت قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى بالتنفيذ فوراً.

الساعة ١١٤٠ أفاد رئيس أركان الفرقة ٤ مدرعة بقيام العدو بتوجيه دباباته المتقدمة غربًا على مدق فايد للهجوم على منطقة أم كثيب والجربه بقوة حوالى «٢» سريتى دبابات ودفع جزء من دباباته إلى منطقة ميدان الرماية، وقامت الكتيبة ٢٠٧ دبابات من اللواء ٢ مدرع بالتصدى للهجوم.

الساعة ١١٤٥ أصبح واضحًا نية العدو فى الاندفاع إلى عمق الجيش الثالث بعد أن أحس بصعوبة الاستيلاء على مدينة الإسماعيلية المحاطة بالقنوات المائية من جهة وبقوات من المشاة والمظلات والصاعقة من جهة أخرى، وكان لابد لى من الاحتفاظ باحتياطى قوى فى المنطقة الخلفية للجيش لمواجهة العدو، فطلبت من القيادة العامة عودة قائد الفرقة ٤ مدرعة والقوات التى معه إلى الجيش؛ لعدم وجود احتياطى فى يدى، ولم ترد القيادة العامة.

الساعة ١٢٢٥ كان العدو يهاجم الكتيبة ٢٠٨ من اللواء ٢ مدرع بقوة ١٥ دبابة مدعمة بصواريخ مضادة للدبابات، وقام بقصف قسم القاعدة المتقدم للجيش.

الساعة ١٢٣٠ أصدرت قرارى بصد وتدمير العدو، ومنعه من الانتشار فى منطقة وادى «أبو طلح» كالآتى:

* كتيبة دبابات من اللواء ٢ مدرع تدمر العدو فى ميدان الرماية، وتستمر فى الهجوم فى اتجاه وادى «أبو طلح»، لمقابلة العدو المتبقى والمتجه جنوبًا على المدق.

* كتيبة دبابات من اللواء ٢ مدرع تتقدم فى اتجاه جنوب قسم القاعدة المتقدم رقم ٢ إلى تقاطع طريق ١٢ مع وادى «أبو طلح» وتدمر العدو المتقدم بمهاجمة من الجانب.

* كتيبة دبابات مدعمة من اللواء ٦ ميكانيكى تتقدم غربًا على طريق ١٢، وتفتح فى خط صد من جنوب جبل غره إلى الطبقة الزلطيه مواجهة الشمال الغربى لمنع العدو من الانتشار شرقًا للجنوب، وتدمير أى عدو متقدم من هذا الاتجاه.

الساعة ١٢٤٠ قررت تجميع الفرقة ٤ المدرعة كاحتياطى للجيش كالآتى:

* القوة الباقية من اللواء ٢ مدرع بعد انتهاء قتالها مع العدو فى أم كثيب وميدان الرماية تبقى فى محلها.

* اللواء ٣ مدرع عدا كتيبة يسحب من رأس الكوبرى، وينضم مؤقتًا إلى منطقة

الموقع المتوسط، ثم يتوجه إلى مكانه الأصلى فى منطقة تجميع الفرقة ٤ مدرعة على النطاق الثانى للجيش الثالث.

* اللواء ٦ ميكانيكى عدا الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى يحتل النطاق الثانى للجيش شمال عويبد.

وقد كان موقف قوات الجيش غرب القناة فى هذا الوقت، وكما أخطرت رئيس هيئة العمليات كالآتى:

* الكتيبة ٢٠٧، ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع تصد هجومًا للعدو بقوة حوالى ٤٠ دبابة فى منطقة أم كثيب وتتواجد منها «٢» سريتى دبابات للدفاع غرب المعابر.

* اللواء ٣ مدرع عدا كتيبة، دبابات جارى عبوره غربًا والكتيبة الباقية تتمركز فى رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة بعد دفع اللواء ٢٥ مدرع شمالاً.

* اللواء ٦ مشاة ميكانيكى عدا الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى والكتيبة ٢١١ دبابات فى منطقة الموقع المتوسط.

* الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى تحتل خط صد فى منطقة فناره.

* الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى تحتل خط صد عند تقاطع طريق ٣ مع طريق الجيش.

* الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى تؤمن منطقة كم ٨٥ طريق السويس ومضيق حجول.

* اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى جارى تحركه من بير عديب فى اتجاه النطاق الدفاعى الثانى.

* لواء الصاعقة الفلسطينى فى مواقعه الدفاعية بمنطقة كسفريت وجنيفه.

* الفوج ١ حرس حدود يحتل مواقعه فى بير عديب.

* بقايا الكتيبة ٦٠٢ مشاة ميكانيكى من اللواء ١٣٠ مشاة ميكانيكى فى مطار كبريت.

وقد دفعت سرية صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة؛ لتدمير دبابات العدو فى منطقة جبل الشهابى بعد التنسيق مع الفرقة ٤ المدرعة.

الساعة ١٢٥٠ بدأ سحب اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى من منطقة بير عديب والتحرك فى اتجاه النطاق الثانى للجيش، وفى ذلك التوقيت أفادت قيادة الفرقة ٤ بأن الكتيبة ٢٠٨ دبابات تقابل دبابات للعدو، وفى مواجهتها، ويرتد جزء منه فى اتجاه الشمال الشرقى، الكتيبة ٢٠٧ دبابات تقاتل ١٠ دبابات للعدو فى منطقة ميدان السواقة.

الساعة ١٣٠٠ بدأ تحرك الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى فى اتجاه خط الصد المحدد لها، وفى الوقت نفسه دفعت سرية صاعقة من المجموعة ١٢٧ صاعقة إلى قسم القاعدة المتقدم رقم ٢ للمعاونة فى تأمينه، وقد تبين عدم وجود عدو بالقسم.

حتى الساعة ١٤٣٠ تجمعت المعلومات عن العدو كالآتى:

* بقوة ٣٠ دبابة بالمنطقة ٥ كم غرب مطار فايد كبلاغ عناصر استطلاع فى الجوزه الحمراء.

* بقوة حوالى سرية دبابات فى جبل الشهابى كبلاغ الدفاع الجوى، وتم التعامل معها بالمدفعية.

* بقوة ٢١ دبابة شمال شرق أم كثيب، منهم ١٤ دبابة تتخذ الدفاع الدائرى، بينما تتحرك ٧ دبابات فى اتجاه الغرب.

* كما أفادت الفرقة ٤ مدرعة أن الكتيبة ٢٠٧ من اللواء ٢ مدرع تحاول بقوة «٢» سريتى دبابات قفل الخط من ميدان الرماية حتى جنوب ميدان السواقة، وأنه تم دفع داريات فى اتجاه ميدان السواقة؛ لاستطلاع العدو به.

الساعة ١٤٢٨ قررت الآتى:

* الكتيبة ٢٠٧ دبابات عدا سرية من اللواء ٢ مدرع تدمر العدو أمامها، وتتقدم إلى منطقة تجميع شمال غرب قسم القاعدة المتقدم رقم ٢، وتستعد للعمل ضد قوات العدو من الاتجاهات وادى «أبو طلح» أم كثيب.

* سرية من الكتيبة ٢٠٧ دبابات تتقدم من ميدان السواقة، وتحتل حفر الكبارى

وتعمل كاحتياطى الكتيبة ٢٠٧ دبابات، وعلى استعداد للعمل فى اتجاه قسم القاعدة المتقدم ـ وادى «أبو طلح» ـ تقاطع طرق قيادة الجيش مع طريق ١٢ .

* الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى تتقدم على طريق ١٢ إلى منطقة تجمع، وتتخذ أوضاع دفاعية فى منطقة تقاطع طرق قيادة الجيش مع طريق ١٢، وتكون على استعداد لنجدة قواعد الصواريخ فى جبل غره أو فى اتجاه وادى «أبو طلح» .

* الكتيبة ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع تستمر فى تدمير العدو أمامها، وتقضى عليه بسرعة، ثم تؤمن مدخل وادى «أبو طلح» – أم كثيب مواجهه الشمال والشمال الشرقى .

* تكون جميع الوحدات الفرعية فى أماكنها بعد تنفيذ مهامها جاهزة لتنفيذ أى مهام تطلب منها .

الساعة ١٤٣٠ كانت الكتيبة ٢٠٧ من اللواء ٢ مدرع تحاول بقوة «٢» سريتى دبابات قفل خط ميدان الرماية حتى جنوب ميدان السواقة، وأنه تم دفع دوريات فى اتجاه ميدان السواقة؛ لاستطلاع العدو به .

الساعة ١٥٠٨ أبلغت الفرقة ٤ بوجود ٨ دبابات وعربه للعدو فى جبل أم كثيب ويقوم بإمدادهم بالهليكوبتر، وأمرت بضربهم بالمدفعية وتدميرهم قبل آخر ضوء بمجموعات اقتناص دبابات تلتف من حول جبل الجربه إلى مؤخرة العدو فى جبل أم كثيب .

الساعة ١٥٣٠ وصلت الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى إلى خط الصد، وقامت باحتلاله .

الساعة ١٦٣٧ بدأ عبور اللواء ٣ مدرع غربًا؛ لإعادة التجميع غرب القناة .

الساعة ١٦٤٢ دعم العدو هجومه على أم كثيب، وأصبح إجمالى قواته حوالى كتيبة دبابات، واستمرت الكتيبة ٢٠٧ دبابات من اللواء ٢ مدرع فى التصدى لقوات العدو، ولم يتمكن من الاختراق جنوبًا .

الساعة ١٨١٢ أفاد استطلاع الفرقة ٤ مدرعة بأن العدو يجمع قواته شمال وشمال غرب مطار فايد، وأن هناك تجمع دبابات له فى المنطقة ٢ كم غرب الجوزه الحمراء .

الساعة ١٩٠٠ أصدرت القيادة العامة تعليمات عمليات بتجميع الفرقة ٤ المدرعة للعمل كاحتياطى للقيادة العامة كالآتى :

الفرقة عدا اللواء ٣ مدرع واللواء ٦ ميكانيكى فى منطقة عثمان أحمد عثمان ـ

اللواء ٦ ميكانيكى يتمركز بمنطقة اللواء ٢ مدرع ـ اللواء ٣ مدرع يتمركز بمنطقته الأصلية، على أن ينتهى إعادة التجميع قبل الساعة ٠٣٠٠ ، وتتولى الفرقة ٤ مدرعة مع احتياطى القيادة العامة مسئولية تأمين مؤخرة الجيش الثانى والثالث، ومنع تقدم قوات العدو غربًا، ويتمركز اللواء ١١٣ ميكانيكى من الفرقة ٦ ميكانيكى طبقًا لقرارى ويتم حصر وتدمير قوات العدو غرب القناة.

الساعة ٢١٢٥ رصد استطلاع الفرقة ٤ مدرعة عدد ٢٤ دبابة سنتوريان فى الميول الجنوبية لجبل الشهابى، عربة مدرعة، و«١» دبابة سنتوريان و«٢» عربتى جيب وعربة نصف جنزير فى الميول الغربية، وكذا تحرك ١٧ دبابة سنتوريان و٧ دبابات باتون من جبل القط إلى جنوب جبل الشهابى و«٢» طائرتان هليكوبتر فى اتجاه قلعة أم قمر.

الساعة ٢٣٠٧ كان إجمالى قوة العدو فى منطقة جبل الشهابى طبقًا لمعلومات نقطة ملاحظة بالجبل ٣٩ دبابة سنتوريان وباتون و٤ عربة نصف جنزير مركب عليها هاونات.

وبنهاية هذا اليوم صحت توقعاتى بأن العدو قصد تثبيت الجيش الثالث أولاً لحين تنفيذ مخططه لاختراق الجيش الثانى، وبعد نجاحه فى اختراق الجيش الثانى بدأ فى تثبيته؛ لكى يبدأ فى التحول للهجوم على قوات غرب القناة للجيش الثالث، وقد ذكر اللواء حسن البدرى ـ رحمه الله ـ فى أثناء إحدى الندوات عن حرب أكتوبر، أن أحد كبار القادة الإسرائيليين قد ذكر فى مذكراته أن توقعات قائد الجيش الثالث كانت صحيحة، ولكن القيادة العامة المصرية لم تستمع إليه، وفى الوقت نفسه، ونتيجة لعدم التصور الصحيح لحجم العمل الإسرائيلى من ناحية، ومن ناحية أخرى التركيز فى الدفاع عن مدينة الإسماعيلية وطريق القاهرة ـ الإسماعيلية الصحراوى، كانت النتيجة هى استنفاذ القوات والاحتياطيات شمال الثغرة، وانتهى الموقف بانفتاح الطريق جنوبًا فى اتجاه مدينة السويس، وأصبح على الجيش الثالث بدء مرحلة صعبة من حرب أكتوبر ١٩٧٣ لمواجهة منفردة مع القوات الإسرائيلية الناجحة والمتفوقة التى تتمتع بالسيطرة الجوية على سماء المعركة، وفى غياب كامل لأى معاونة من الجيش الثانى أو احتياطيات القيادة العامة والقوات الجوية، والأمر الوحيد الذى كان مطمئنًا هو موقف قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة، التى كانت تقاتل بثبات وثقة، خاصة بعد أن تم إمدادها مبكرًا بالاحتياجات الإدارية والذخائر التى أعانتها على مواجهة المرحلة التالية.

* * *

القسم الثانى
القتال غرب القناة فى نطاق الجيش الثالث

تعتبر المرحلة الثانية لقتال العدو غرب القناة، هى مرحلة القتال داخل نطاق مسئولية الجيش الثالث ضد قوات العدو المتقدمة من اتجاه الجيش الثانى على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة والمحور الساحلى على شاطئ البحيرات المرة وطريق المعاهدة، وقد بدأت منذ اشتباك عناصر الجيش، ضد العدو على الجانب الأيسر للجيش، وانتهت بصدور قرار إيقاف إطلاق النار اعتباراً من الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ (الخريطة رقم ١٨).

أحداث يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

فى نطاق الجيش الثانى وداخل الثغرة غرب القناة أصبح للعدو حوالى فرقة مدرعة تمكنت من السيطرة على المنطقة من شمال البحيرات المرة حتى جنوب الإسماعيلية، كما تمكنت من تدمير قواعد الصواريخ المضادة للطائرات والاستيلاء على مطارى فايد والدفرسوار، ومع صباح هذا اليوم حاول العدو تطويق الجيش الثانى والوصول إلى مدينة الإسماعيلية على محورين :

* الطريق الصحراوى إلى الإسماعيلية من اتجاه نفيشه.

* المدق الترابى من عين غصين إلى معسكر الجلاء بالإسماعيلية.

كما حاول العدو الوصول إلى وصلة «أبو صوير» - «أبو سلطان»، ونجح فى الضغط على اللواء ١٥٠ مظلات واضطره للارتداد عن مصاطب طوسون وحنيدق إلى منطقة جبل مريم وتمسك بها اللواء، وفى الوقت نفسه اقتربت قوات العدو من

الكوبرى العلوى جنوب غرب الإسماعيلية ووادى العشرة غرب مطار فايد وطريق الإسماعيلية ـ القاهرة الصحراوى ومدينة فايد .

وازدادت خسائر الجيش الثانى ، خاصة الفرقتين ١٦ مشاة و٢١ المدرعة واللواءات ١١٦ مشاة ميكانيكى و٢٣ المدرع ، وبالتالى ازداد ارتداد القوات عن الخطوط التى تتمسك بها ، وبقيت المجموعة ١٢٩ صاعقة بقيادة العقيد هيكل تقاتل ببسالة ، وتتحمل الخسائر الكبيرة ، وتكبد العدو الخسائر المتتالية .

وإزاء هذا الموقف المتردى عاد الفريق الشاذلى إلى القاهرة الساعة ١٣٠٠ ؛ لعرض الموقف على القيادة العامة للقوات المسلحة ، والقيادة السياسية ؛ لاتخاذ القرار المناسب ، وبعودة اللواء عبد المنعم خليل قائداً للجيش الثانى حاول إصلاح الموقف فقام بعدة إجراءات ، واتخذ عدة قرارات كما يلى :

* قامت المجموعة ١٣٩ صاعقة بتنظيم كمائن فى المنطقة جنوب الترعة الحلوة بالإسماعيلية حتى غرب جبل مريم ، وداخل المزروعات والمبانى شرق واحة المنايف لتدمير أى دبابات للعدو ، وتتقدم تجاه الإسماعيلية سواء على المدقات أو بحذاء السكة الحديد أو على الطريق الإسفلت .

* قامت المجموعة ١٢٩ بتنظيم الكمائن من غرب واحة المنايف حتى جنوب «أبو صوير» .

* قامت المدفعية والاحتياطى المضاد للدبابات والدبابات بتنظيم خطة نيران لمعاونة اللواء ١١٨ مشاة فى التمسك بمواقعه جنوب وغرب الإسماعيلية .

* كلفت كتيبة مظلات باحتلال وتأمين منطقة النصب التذكارى فى جبل مريم .

* صدرت الأوامر للفرقة ١٦ مشاة والفرقة٢١ مدرعة بالتمسك بمواقعهما شرق القناة ومنع العدو من تدمير رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة ، كما صدرت الأوامر لقوات الغرب بمنع العدو بأى ثمن من توسيع رأس الكوبرى أو الاستيلاء على مدينة الإسماعيلية والوصول إلى طريق الإسماعيلية ـ القاهرة الصحراوى .

وتحت ستر ومعاونة القوات الجوية الإسرائيلية ، حاول العدو التقدم فى اتجاه

الإسماعيلية، ونجحت القوات فى إيقاف تقدمه من اتجاه نفيشه، ثم حاول العدو التقدم على المدق جنوب معسكر الجلاء من اتجاه سرابيوم، وتم تدمير ٣ دبابات بواسطة مجموعة ١٣٩ صاعقة، واضطر للارتداد.

أما شرق القناة تمكنت قوات الفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرع من إيقاف تقدم العدو شمالاً، وتمكنت عناصر الفرقة ٢١ المدرعة من توجيه هجوم مضاد ناجح تمكنت خلاله من تدمير عدد ١٣ دبابة، وأسر عدد ١٢ من أفراد المدرعات الإسرائيليين.

ويقول اللواء عبد المنعم خليل فى كتابه (حروب مصر المعاصرة فى أوراق قائد ميدانى ص ٢٢١ - ٢٢٢) :

« واطمأن قلبى كقائد جيش، وازدادت ثقتى فى قدرة قوات الجيش الثانى، وحمدت الله ـ سبحانه وتعالى ـ على النصر، وأخطرت الوزير بهذا الخبر السعيد».

وأرسل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة برقية شكر وتهنئة إلى قيادة الفرقة ٢١ مدرع والفرقة ١٦ مشاة هذا نصها :

إن البسالة والشجاعة التى تتسم بها أعمال الفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرع تعتبر المثل الذى تعتز به القوات المسلحة فى معركتنا المصرية. تهنئتى القلبية للقادة والضباط والجنود على هذا الصمود الرائع والروح القتالية العالية والنصر لكم بإذن الله ».

وفى الوقت نفسه توالت معلومات الاستطلاع المتدفقة كل ساعة عن استمرار تحرك الطوابير المدرعة من عمق سيناء وعلى طريق العريش إلى منطقة الثغرة وعبورها قناة السويس إلى الغرب من منطقة الدفرسوار على الجانب الأيمن للجيش الثانى، ثم تدفقها إلى الجنوب فى اتجاه الجيش الثالث.

وفى ظل تركيز القيادة العامة على إيقاف العدو فى الثغرة ومنعه من الاستيلاء على مدينة الإسماعيلية والوصول إلى طريق الإسماعيلية القاهرة كان الجيش الثالث على وشك المواجهة مع «٢» فرقتين مدرعتين للعدو لم تتكبد نفس القدر من الخسائر التى تحملتها فرقة شارون أثناء إنشاء رأس الكوبرى، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش فى الغرب قد تم دفع جزء منها إلى الجيش الثانى، والجزء الباقى كان أضعف

بمراحل من أن يواجه هذا الحجم من العدو دون أى حماية جوية أو دفاع جوى، وكان هذا بالضبط ما نبهت إليه يوم ١٦ أكتوبر أثناء حديثى الذى استمر قرابة العشرين دقيقة مع الفريق أول أحمد إسماعيل، والذى حاولت خلاله أن أوضح أن اللواء ٢٥ مدرع سيدمر، فأصر على دفع اللواء، بل وبشرنى بأنه سيأخذ من الجيش الثالث اللواء ٢ المدرع، وربما الفرقة ٤ المدرعة كلها للعمل كاحتياطى للقيادة العامة، **وحتى بعد وضوح نية العدو فى التقدم جنوبًا، استمرت القيادة العامة على اعتقادها أن هدف العدو هو الوصول إلى طريق القاهرة ـ الإسماعيلية وهو ما سنراه فى الأيام التالية التى تركز فيها القتال فى نطاق الجيش الثالث دون أى معاونة من القيادة العامة، التى فيما يبدو قد اعتقدت أن المعركة غرب القناة قد انتهت بانتصار الجيش الثانى فى معركة الدفاع عن مدينة الإسماعيلية وطريق القاهرة.**

وفى نطاق الجيش الثالث الذى كان عليه أن يواجه الموقف بمفرده سارت أحداث يوم ٢٠ أكتوبر كما يلى:

*** على محور ساحل البحيرات ـ طريق المعاهدة:**

الساعة ٠٦٣٠ نفذ العدو طلعة استطلاع جوى على منطقة فناره – جنيفه.

الساعة ٠٨١٦ أبلغت عناصر الحرب الإلكترونية فى جبل جنيفة أن العدو يتقدم فى اتجاهها بدبابة و«٢» عربتي جيب، وصدرت الأوامر إلى هذه العناصر وعناصر الاستطلاع الإلكترونى بمحاولة الانسحاب ومعهم أجهزتهم، أو القيام بتدميرها عند اقتراب العدو من مكانهم، وتم انسحابهم ومعهم معداتهم.

الساعة ٠٨٠٠ قام العدو بتنفيذ غارة جوية على المنطقة غرب معسكر الحمراء.

الساعة ٠٨٣٠ أفادت نقطة ملاحظة الجوزه الحمراء بتقدم ٣٠ دبابة للعدو من جبل الجوزه الحمراء جنوبًا.

الساعة ٠٨٤٠ أفادت نقطة ملاحظة جبل شبراويت وجبل القط بوجود ١١٥ دبابة وعربة مدرعة للعدو فى المنطقة غرب جبل الجوزه الحمراء، وأخطرت القيادة العامة، وطلبت ضربهم بالطيران، وقررت سحب عناصر من الاحتياطى المضاد للدبابات للجيش رقم ٢ من رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة؛ لتدعيم القوات غرب القناة.

الساعة ٠٩٢٨ وبعد تقدير الموقف قررت سحب اللواء ١ ميكانيكى من رأس الكوبرى؛ ليحل محل اللواء ١١٣ ميكانيكى الذى كان يصد اختراق العدو من اتجاه جبل الجوزه الحمراء جنيفه حتى لا يتسرب إلى خلف رءوس الكبارى، ووافقت القيادة العامة على قرارى، وصدرت الأوامر لتنفيذه إلى قائد الفرقة ١٩ مشاة مع عدم إخلاء رأس مسلة، ولكن أفاد قائد الفرقة بعد ذلك أنه عند التنفيذ سحب قائد اللواء قوة رأس مسل، ة فأمرت بإعادة احتلالها.

الساعة ٠٩٣٠ ضم قائد الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى عدد ١١ فهد إلى موقعه، وكانت مرتدة من الجيش الثانى، وتم الاستعانة بها فى سد وادى الجاموس وعلى جبل جنيفة.

الساعة ٠٩٤٧ قامت ٧ دبابات للعدو بالضرب على وحدات الحرب الإلكترونية فى جبل جنيفة، وتم قصفهم بالمدفعية.

وفى هذا الوقت كان العدو قد أتم الاستيلاء على جبل جنيفة، ودمر قاعدة الصواريخ بها، وقد صدت الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى محاولة للعدو قام بها بحوالى سرية دبابات؛ للتسرب شرقًا من وادى سد الجاموس، وخسر فيها العدو ٦ دبابات، وارتد الباقى.

الساعة ١٠١٠ أصدرت أوامرى بدفع الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع إلى جبل جنيفه؛ لتدمير دبابات العدو هناك، وتقرر إيقاف التحركات على طريق ١٢.

الساعة ١٣٣٠ بدأ العدو فى تركيز هجماته الجوية على مواقع الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى فى فناره، وعلى فترات يتخللها قصف مدفعية بغلالات نيران زاحفة، وقد استمرت هذه الأعمال حتى الساعة ٢٠٠٠ من اليوم نفسه.

الساعة ١٤٣٠ وخلال القصف الجوى المركز بالمدفعية على الكتيبة ٢٥٦ من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى ظهرت على الحافة الشرقية لجبل الجوزه الحمراء غرب منطقة عمل الكتيبة قوة للعدو حوالى سرية دبابات، ٤ أطقم صواريخ مضادة للدبابات، ٣ عربات مدرعة، وقامت بالضرب على الكتيبة من مسافة بعيدة، فتم إسكاتها بالدبابات باستخدام الذخيرة شديدة الانفجار، فارتد العدو.

فى هذا التوقيت كان العدو يوجه هجومًا بقوة حوالى كتيبة دبابات مدعمة بمشاة ميكانيكى وصواريخ مضادة للدبابات، تعاونها المدفعية والطيران بالمواجهة على الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى فى اتجاه يسار الموقع الذى كانت تحتله فصيلة صاعقة، ويعاون هذا الهجوم محاولة للتسرب من وادى سد الجاموس شرقًا إلى عمق الكتيبة؛ لتخفيف المقاومة على المواجهة.

وقد عاود العدو الهجوم مرة أخرى من الاتجاه نفسه على المواجهة بعد فترة من القصف الجوى المركز والتمهيد بالمدفعية، وعاود الهجوم هذه المرة بنيران الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات من أعلا جبل الجوزه الحمراء، وتمكن العدو هذه المرة من فتح ثغرة فى حقل الألغام فى الجزء اليسار من الحد الأمامى، وفى الساعة ١٦٣٠ تمكنت «٢» دبابتان للعدو من التسرب فى الثغرة، واتخذت مواقع نيران فى أسفل جبل الجوزه الحمراء، وقامت بتوجيه نيرانها إلى عمق خط الصد وإلى السرية الأمامية من الجانب، وبقيت دبابة وعربة مدرعة خارج الحقل، وقد أمكن لطاقم اقتناص دبابات مكون من قائد سرية ميكانيكى وجندى من تدمير إحدى الدبابات الموجودة داخل الموقع والعربة المدرعة بالخارج، وانسحبت الدبابتان الأخريان شمالاً، وقد استمرت معاونة مدفعية الجيش طوال العملية بضرب غلالة نيران أمام الموقع حرمت العدو من النجاح، وارتد العدو فى اتجاه جبل شبراويت، وقامت الكتيبة بقفل الثغرة بالألغام.

الساعة ٢٢٠٠ وضعت اللواء الأول، الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى، الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع تحت قيادة الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، وأمرت قائد الفرقة بأن يشكل مجموعة عمليات مسئولة عن القيادة والسيطرة على هذه القوات والمنطقة من حدود الجيش فى فنارة وجنوبًا، وقد عين رئيس أركان الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى ومعه مجموعة عمليات لهذا الغرض.

الساعة ٢٣٠٠ قام فرع إشارة الجيش بتوفير اتصال خطى بالكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى، كما وصلت إليها ذخيرة دبابات وألغام، وانضمت إليها سرية صواريخ مضادة للدبابات من اللواء ١ ميكانيكى كنت قد قررت دعمها بها.

الساعة ٢٣٥٠ أبلغ ضابط عمليات الجيش الموجود مع اللواء الفلسطينى بأن قواتنا دمرت ٧ دبابات للعدو، وخسائرنا ٥ دبابات نتيجة لهجوم للعدو وبقوة ٣٠ دبابة من وادى سد الجاموس، وقد أمرته برص الألغام فى مدخل الوادى.

*** على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة :**

الساعة ٠٦٢٠ عاود العدو محاولة اختراق دفاعات الكتيبة ٢٠٧، ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع من اتجاهى الشمالى والشمال الشرقى بقوة ١٢ دبابة وعربة صواريخ، ودمرت له ٤ دبابات.

الساعة ٠٧٣٠ أتم اللواء ٣ مدرع تمركزه بالجفره بمنطقة تمركز اللواء ٦ ميكانيكى ودفعت قيادة الجيش مجموعة عمليات إلى الموقع المتوسط؛ للإشراف على غيار اللواء ١١٣ من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى مكان اللواء ٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٤ مدرعة.

مع استمرار هجمات العدو على كتيبتى اللواء ٢ المدرع فى الوقت الذى يتمركز فيه جزء كبير من الفرقة ٤ المدرعة فى نطاق الجيش الثانى دون أن تقوم بأعمال قتال إيجابية، وبعد أن تبين لى أن العميد عبد العزيز قابيل مكلف بتنفيذ تعليمات القيادة العامة، كما قال لى، وأنه أصبح لايتبع الجيش الثالث، وإنما يتبع القيادة العامة وبالتالى لايتلقى أوامره منى، وإنما من القيادة العامة، وطلبت من اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات الساعة ٠٧٤٥ أن يأمر بنفسه قائد الفرقة ٤ المدرعة، ليتوجه إلى الفرقة أو يرسل مساعده؛ للاطلاع على الموقف والإشراف على قواته لوجود عدو أمام أم كثيب، وكان رده أن أمر بضم الكتيبة ٢٤٠ دبابة من اللواء ٣ مدرع إلى اللواء مع الفرقة.

الساعة ٠٧٥٥ أمرت بسحب الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع من رأس الكوبرى على أن تدفع الفرقة ١٩ مشاة كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع إلى رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة بدلاً منها.

الساعة ٠٨٣٠ كانت قوة للعدو تقدر بسرية دبابات مدعمة بالصواريخ المضادة للدبابات تتقدم من اتجاه جبل غره وجبل جنيفة جنوبًا فى اتجاه طريق ١٢، فقمت بدفع الكتيبة ٢٤٧ دبابات من اللواء ١١٣ ميكانيكى مدعمة بسرية مشاة ميكانيكى

لصد العدو من خط شمال طريق ١٢ ، وتمكنت الكتيبة من إحداث خسائر ، وارتد العدو شمالاً ، إلا أنه حاول بالالتفاف على أجنابها معاودة التقدم ، وقد تمت المناورة على أجناب الكتيبة ، وتمكنت من إحداث خسائر بالعدو ٦ دبابات ، ٤ عربات صواريخ وخسرت الكتيبة ٣ دبابات ، واستمر الاشتباك حتى آخر ضوء ، وارتد العدو خلف بعض الهيئات فى جبل جنيفة ، بينما اتخذت باقى كتائب اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى محلاتها على الموقع المتوسط بعد غيار اللواء ٦ مشاة ميكانيكى فى مواجهة الشمال والشمال الغربى .

الساعة ٠٩٠٠ أكدت على الفرقة ٤ مدرعة ضرورة قفل وادى « أبو طلح » فى اتجاه قسم القاعدة المتقدم ، وكذا على اللواء ١١٣ ميكانيكى بالاهتمام بالجانب اليسار من اتجاه طريق ١٢ .

الساعة ٠٩١٥ كانت كتيبة دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى تحتل فى خط شمال شرق قسم القاعدة المتقدم تصد بمعاونة المدفعية ٣٠ دبابة سنتوريان وشيرمان ، وقد ارتد العدو من مواجهتها فى اتجاه الشمال الشرقى ، بعد أن دمرنا له ٦ عربات صواريخ مضادة للدبابات .

الساعة ١٠٠٠ أمرت مساعدى بالتوجه إلى القيادة العامة ؛ لشرح موقف الجيش بناء على طلب القيادة العامة .

الساعة ١٠٣٥ أفاد استطلاع الفرقة ٤ مدرعة أن ١٠ عربات صواريخ مضادة للدبابات و٣ دبابات للعدو تمكنت من الوصول إلى كم ٢٥/ ١٠٠ طريق ١٢ وتتقدم شرقًا ، كما توجد قوات أخرى له تتجه من جبل غره إلى اتجاه مدق ١١ ويقوم بضرب الأرتال المتحركة ، وكذا المنطقة الإدارية للفرقة ٧ مشاة .

الساعة ١٠٥٠ تمكن العدو بقوة سرية دبابات من الوصول إلى شرق وغرب جبل غره .

الساعة ١١٠٠ أبلغت هيئة العمليات بموقف العدو فى نطاق الجيش الثالث وكان كالآتى :

للعدو حوالى ٢٠ دبابة على جبل جنيفه ، وتمكن من تدمير قاعدة الصواريخ به ،

٧ دبابات على جبل غره ، ١٨ دبابة فى جبل أم كثيب ، ٢٠ دبابة فى وادى «أبوطلح» ، علاوة على تجمعات له خلف جبل شبراويت ، وهناك ٤٠ دبابة متقدمة من اتجاه فايد على ساحل البحيرة المرة ، كما ذكرت أن قوات الجيش تحاول صد العدو الذى يهاجم بإصرار ، وطلبت سحب اللواء ١ مشاة ميكانيكى من شرق القناة إلى الغرب .

الساعة ١١٣٠ قام العدو بقصف جوى بقوة ٨ فانتوم فى وادى أبو شكامه على الكتيبة ٢٠٧ دبابات .

الساعة ١٢٠٠ كان موقف القوات غرب القناة كالآتى :

اللواء ٣ مدرع عدا كتيبة تم ضمه إلى الفرقة ٤ مدرعة وجارى سحب الكتيبة الباقية من رأس الكوبرى ، الكتيبة ٢٠٧ ، ٢٠٨ دبابات من اللواء ٢ مدرع قائمة بتثبيت قوات العدو فى منطقة جبل أم كثيب وميدان السواقة ، الكتيبة ٢١١ دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى تتمسك بالمدقات ١٣ ، ١٤ ، وقد دفعت عناصر الصاعقة لقفل المداخل المحتملة لتسرب العدو . المواجهة أصبحت واسعة على القوات المتيسرة إلى جانب أن العدو يواصل التسرب بقواته من منطقة الجيش الثانى ، وقد قامت مدفعية الجيش طوال ليلة ١٩ / ٢٠ بتقديم المعاونة للجيش الثانى بالضرب على معبر العدو الذى تمكن من إنشائه فى الدفرسوار ، وفى نفس الوقت كانت مناطق المعابر غرب القناة مؤمنه بقوة ١٧ دبابة ، ورغم كل هذا النشاط لقوات العدو من اتجاه الجيش الثانى إلا أن الموقف فى الجيش الثانى لم يكن معروفًا لدى الجيش إلا من عناصر استطلاع الجيش الثالث التى دفعت عند أول بادرة لحدوث اختراق للعدو إلى غرب القناة داخل حدود الجيش الثانى .

وقد أبلغت هذا الموقف وموقف العدو تفصيلاً إلى وزير الحربية ، وطلبت منه ضرورة وصول قائد الفرقة ٤ مدرعة المسئول عن المنطقة الخلفية للجيش ؛ للاطلاع على الموقف وقيامة بمسئولياته ، حيث دارت المحادثة الآتية فى الساعة ١٢٠٠ :

« الموقف عندى كالآتى : قائد الفرقة ٤ المدرعة رافض ينضم إلى الفرقة ، ويقول إنه تابع للقيادة العامة ، تم تجميع الفرقة ٤ المدرعة عدا كتيبة جارى سحبها من رأس

الكوبرى، العدو يحتل جبل جنيفه وجبل غره بعدد ١٠ دبابات فى كل جبل، وهناك ٢٠ دبابة فى أم كثيب، تقاطع طريق ١٢ مع الجفره تحتله ١٠ دبابات للعدو، وهناك رتل معاد متقدم من اتجاه الجيش الثانى فى اتجاه فايد قوته حوالى ٤٠ دبابة، علاوة على تجمعات دبابات ومركبات مدرعة خلف جبل الشهابى، بهذا الشكل أنا غير قادر على الصد؛ لعدم كفاية القوات، أنا سحبت اللواء ٣ المدرع عدا كتيبة جارى سحبها من رأس الكوبرى ودفعته إلى الفرقة ٤ المدرعة فى الجفره بقيادة رئيس أركان الفرقة، قوات الفرقة ٤ المدرعة ناجحة فى تثبيت العدو فى أم كثيب وميدان السواقة، كتيبة دبابات اللواء ٦ مشاة ميكانيكى تقفل المدقات ١٣ و ١٤، توجد سرية دبابات للعدو على محور رقم ١٢، أنا حاليًا أسحب من رءوس الكبارى، إذا كان هناك أى دعم أرجو دفعه».

ووجدت الوزير يطمئننى ويطلب منى أن تتماسك القوات، فقلت له :

« كل الخوف يا سيادة الوزير أن يقطع العدو الطريق على رءوس الكبارى بقواته المتقدمة من الجيش الثانى، كل وحدات المدفعية مشتبكة، وطوال الليل تقوم بالضرب للجيش الثانى، إحنا نفذنا المناورة بالمدفعية والقوات لمواجهة الموقف، الساتر الترابى الغربى عليه ٢ «سرية» دبابات، ونحن نؤمن رأس الكوبرى، كل كلام سيادتك تم تنفيذه، الإشارة صريحة والفرقة الرابعة مجمعة كلها عدا كتيبة جارى تجميعها، لازم قابيل يحضر يشوف الموقف، كل الصاعقة اندفعت، كل الناس دفعت لقفل المسارب، المواجهة كبيرة جدًا، إحنا قعدنا الأيام السابقة والموقف فى الجيش الثانى غير معروف وهيئة العمليات لا تعطينا أى معلومات، والمعلومات التى كانت تصلنا خطأ، إحنا متماسكين جدّا وبنفكر تمام».

الساعة ١٢٠٧ أفادت الفرقة ٤ المدرعة بأن للعدو ٢٠ دبابة على الطبقة الزلطية وأن اللواء ٦ ميكانيكى عدا كتيبة يحتل النطاق الدفاعى الثانى بمنطقة طريق السويس ويتمسك بمواقعه بالمنطقة؛ لمنع العدو من التقدم إلى طريق عرضى الجيش أو الوصول إلى طريق السويس وقطعة.

الساعة ١٢١٥ أفاد اللواء ١١٣ ميكانيكى أنه يتمسك بتقاطع طريق ١٢ مع وصلة جنيفة، وأن كتيبة دبابات مدعمة لازالت قائمة بقتال العدو شرق جبل غره.

الساعة ١٣١٥ تمكنت كتيبة دبابات من اللواء ١١٣ ميكانيكى من تدمير «٢» دبابتين للعدو وبدأ العدو فى الارتداد، كذا بدأ العدو فى الارتداد من أمام الجربه فى اتجاه شمال شرق، وقامت الكتيبة ٢٠٨ بمطاردته، وقد حذرت من الوقوع فى مصيدة يدبرها العدو أثناء ارتداده، وفى الوقت نفسه طلب إلى قادة الفرق ٧ و١٩ مشاة تأمين المعابر من كلا ضفتى القناة.

الساعة ١٣٤٠ قمت بتحليل الموقف ووضوح إصرار العدو على قطع رأس الكوبرى وفصل القوات، ومع قلة القوات المتيسرة وإصرار القيادة العامة على سحب الفرقة ٤ مدرعة فى هذا الوقت وعدم إمكانية دفع قوات جديدة من الرئاسة العامة، وبعد أن تبين أن القيادة العامة يسيطر عليها فكرة أن العدو رغم وصوله إلى هذا الحد فى قطاع الجيش الثالث الميدانى لايزال ينوى الوصول إلى طريق القاهرة ـ الإسماعيلية لتهديد القاهرة، وبعد فشل كل المحاولات مع القيادة العامة، قررت دفع تعيينات ومياه ووقود للتشوين على الضفة الشرقية واستيعاض الذخيرة للقوات شرق القناة واستكمالها بنسبة ٥ , ٢ وحدة نارية لجميع الأعيرة مع استخدام أقصى طاقة للنقل، وتم إصدار الأوامر بالتنفيذ للعميد مصطفى عبد الجواد رئيس إمداد وتموين الجيش وقامت كتائب النقل بتنفيذ أكثر من ٢٦٠ نقلة باستخدام طريق السويس، وتم دفع ٧٠٠ زجاجة دم إلى مستشفى السويس الأميرى، وفى الساعة ١٣٤٥ قررت أن يتمركز اللواء ١ ميكانيكى عند عودته إلى غرب القناة كالآتى :

كتيبة مشاة ميكانيكى، كتيبة دبابات فى منطقة كم ١٠٩ - كتيبة ميكانيكى فى منطقة تقاطع طريق ١٢ مع وصلة جنيفة - كتيبة ميكانيكى بمنطقة وصلة طريق الصواريخ مع طريق المعاهدة الإسماعيلية السويس بمهمة الاستعداد لضرب العدو وصد هجماته وتدميره على طريق ١٢، ويكون مستعداً للمناورة بقواته عند صدور الأمر بذلك؛ للانتقال على محور طريق السويس للدفاع عنه ومنع العدو من التقدم عليه لعدم تمكينه من الوصول إلى المعابر وتدميرها، وكلفت «٢» ضابطين من شعبة عمليات الجيش بالتوجه إلى المعابر؛ للإشراف على تمركز اللواء طبقًا للقرار.

الساعة ١٣٥٦ طلب قائد الفرقة ٤ المدرعة المتمركز فى تقاطع عثمان خارج نطاق المعارك الدائرة تجميع باقى دبابات الفرقة، وضمها إلى منطقة عثمان أحمد

عثمان، ولم أصدق ماسمعته، وبالطبع لم أصدق على مطلبه، فعاد وطلب نفس المطلب من القيادة العامة التى أمرت ببقاء الفرقة تحت قيادة الجيش حتى إعادة تجمعيها الساعة ٢٣٠٠ اليوم ٢٠ أكتوبر.

الساعة ١٤١٢ بدأ عبور اللواء ١ ميكانيكى بقيادة العقيد صلاح زكى من الشرق إلى الغرب، وتم تمركزه طبقًا للقرار وتلقين المهمة لرئيس أركان اللواء، وتم تمركز آخر وحدة فرعية للواء حوالى الساعة ١٠٠ ليلة ٢٠ / ٢١، وقد قررت أن تدفع كتيبة ميكانيكى وكتيبة دبابات لتأمين الطبقة الزلطيه ومنطقة كم ١٠٩؛ لمنع العدو من الاتجاه إلى طريق السويس.

الساعة ١٥٠٠ أمرت العميد المغربى رئيس أركان حرب الفرقة ٤ المدرعة بالاستيلاء على جبل الجربه وتدمير العدو الموجود داخل قطاع الفرقة، وقد أبلغنى بعدم وجود عدو فى جبل غره أو فى قسم القاعدة المتقدم، وأمرت بدفع أطقم اقتناص دبابات ليلا فى اتجاه جبل أم كثيب ووادى «أبو طلح» وطريقى ١٣ و ١٤؛ لتطهير المنطقة وتنشيط عناصر استطلاع واحتلال جبل غره بعناصر مشاة، وأن يتم تفتيش منطقة ميادين الرماية.

وعلى الرغم من كل الشواهد والمعلومات المتجمعة بالقيادة العامة عن العدو وأعمال قتال الجيش الثالث الدائرة على مقربة من طريق القاهرة السويس والمعابر وبعد تلك المحادثة التى ذكرتها بينى وبين وزير الحربية، فوجئت الساعة ١٥٣٥ باللواء الجمسى رئيس هيئة العمليات يتصل بى، ويطلب دفع القوات إلى قابيل فى منطقة عثمان أحمد عثمان، حيث إنه من المنتظر مهاجمته، ولم يكن الموقف ليسمح بتنفيذ ذلك، وبعد أن أوضحت هذا الموقف للقيادة العامة أفادت أن الفرقة تحت قيادة الجيش حتى ينتهى الموقف، وبناء على ذلك طلبت من قائد الفرقة ٤ المدرعة عرض قراره بالنسبة للموقف؛ للتصديق عليه مع عدم سحب قوات من عمق الجيش، إلا أنه لم يقم بالتنفيذ، وأصر على أنه مكلف بمهام من القيادة العامة.

الساعة ١٦٠٠ وصل اللواء ٦ ميكانيكى عدا كتيبة إلى منطقة الجفره، وبعد كل هذه المحادثات حول تبعية الفرقة ٤ المدرعة فى ذلك الوقت الحساس، فوجئت برئيس أركان الفرقة ٤ المدرعة يستأذننى فى دفع اللواء ٤٥ مدفعية إلى مجموعة

قابيل كأوامر قائد الفرقة، ولم أصدق على دفع اللواء ـ وإن كان قد اتضح فيما بعد أن اللواء ٤٥ مدفعية كان قد تحرك فعلاً، وانضم إلى مجموعة قابيل الساعة ١٠٣٠ ـ وكلفت رئيس أركان الفرقة ٤ المدرعة بمهمة منع اختراق العدو فى اتجاه طريق السويس القاهرة.

الساعة ١٦٢٠ مرة أخرى أصدرت أوامرى إلى قائد الفرقة ٤ المدرعة بأن يدفع مساعده إلى الجفره؛ لدراسة الموقف مع رئيس أركان الفرقة، وأخطرته أن الفرقة لازالت ضمن تجميع الجيش وتحت قيادتى بأوامر القيادة العامة.

الساعة ١٦٣٥ وبعد تقدير الموقف وضعت الخطة؛ لإنهاء الموقف وتدمير العدو الموجود فى عمق الجيش الثالث، وإيقاف التسرب من الجيش الثانى فى حاله إمكان استخدام الفرقة ٤ المدرعة، بأن توجه ضربه مضادة بواسطة الفرقة ٤ المدرعة للعدو من الخلف مع تثبيته بباقى القوات من الأمام، ولكن فى ذلك الوقت كان قائد الفرقة ٤ مدرعة ومعه معظم قوات اللواء ٢ مدرع واللواء ٤٥ مدفعية ومعظم قيادة الفرقة فى منطقة عثمان أحمد عثمان، ويحتفظ باللواء ٣ مدرع عدا كتيبة كاحتياطى لقواته – يطلب ضم باقى دبابات الفرقة إليه، فى حين أن سحب أى دبابات من عمق الجيش كان سيؤدى حتما إلى تطويق الجيش بالكامل من الخلف.

الساعة ١٧٠٧ كانت توجيهات وزير الحربية التى تلقاها مساعدى بعد عرضه للموقف فى القيادة العامة والتى تعكس مدى سيطرة فكرة تدمير العدو فى الدفرسوار بعد فوات الأوان تتلخص فى الآتى :

* اللواء ٦ مشاة ميكانيكى واللواء ٢ المدرع من الفرقة ٤ المدرعة واللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى يقومون بإتمام تدمير العدو فى مواجهتهم على أن يقوم كلّ منهم بتطهير المنطقة حتى حد يسار الجيش.

* يتم تقسيم المنطقة إلى قطاعات كتائب تدفع أمامها مجموعات صغيرة من المشاة والدبابات والألغام، وتدفع نقط الملاحظة فى كل قطاع وتتجه الكتائب فى اتجاه الشمال؛ لتطهير المنطقة حتى حدود الجيش مع مراعاة تسجيل حقول الألغام التى يتم رصها.

* يخطط لاستخدام الصاعقة مركزيّا؛ لتدمير دبابات العدو.

* الفرقة ٤ المدرعة تدعم بكتيبة مدفعية صاروخية تقوم بضربة مضادة فى اتجاه الدفرسوار بعد حصر العدو بواسطة الجيشين الثانى والثالث.

* وحددت التوجيهات وقت تمام الاستعداد الساعة ٢٤٠٠.

الساعة ١٧٢٠ تم انضمام باقى عناصر اللواء ٢ مدرع عدا الكتيبة ٢٠٧ دبابات إلى منطقة عثمان أحمد عثمان، وفى الوقت نفسه أفاد الاستطلاع بتحرك رتل للعدو بقوة ٥٠ دبابة خلفهم عربات ١,٥ كم جنوب «أبو سلطان» فى اتجاه الجنوب.

الساعة ١٨١٥ بناء على توجيهات وزير الحربية اتخذت قرارى وخصصت المهام إلى قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى وقائد اللواء ١١٣ ميكانيكى وقائد اللواء ٦ مشاة ميكانيكى ورئيس أركان الفرقة ٤ المدرعة؛ لتدمير العدو على الحد اليسار للجيش وتتلخص فى الآتى:

* اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى يقوم بتطهير منطقة جبل غره وطريق ١٣، ١٤ ويصل إلى جبل شبراويت، وينفذ هذه المهمة بتشكيل قواته فى مجموعات سرايا تعمل بأسلوب الكمائن.

* اللواء ٦ مشاة ميكانيكى يقوم بتطهير المنطقة حد يمين جبل غره حد يسار القاعدة الإدارية فى الاتجاه العام لجبل القط، ويستولى عليه ثم يدفع مفرزة للاستيلاء على جبل الشهابى.

* اللواء ٢ مدرع من الفرقة ٤ مدرعة يقوم بتدمير قوات العدو أمامه، ويستولى على جبل أم كثيب والأرض المرتفعة حوله.

* وقت تمام الاستعداد لتنفيذ المهمة الساعة ٢٤٠٠ اليوم.

الساعة ٢١٠٠ تم إرسال ضابط من شعبة العمليات إلى قائد اللواء ١ مشاة ميكانيكى بمنطقة كم ١٠٩ طريق السويس لتسليم وإيضاح مهمة اللواء له.

الساعة ٢١٣٠ صدرت توجيهات وزير الحربية للعمل ليلة ٢٠/ ٢١ أكتوبر ٧٣، تمهيداً للقيام بضربة مضادة فى المستقبل القريب، ونصت على أن يقوم الجيش الثانى والجيش الثالث بالأعمال التالية:

تحديد رأس كوبرى العدو فى الغرب وتضييقه فى اتجاه الجنوب والشمال والغرب، ومحاولة الضغط عليه؛ لينكمش فى أضيق نطاق، ويتم تقسيم المنطقة إلى قطاعات وقطاعات فرعية ووضع وحدات فرعية صغرى بها مواقع هندسية وألغام وأسلحة مضادة للدبابات.

الساعة ٢٣١٤ حضر قائد اللواء ١ مشاة ميكانيكى إلى مركز القيادة المتقدم للجيش الثالث، وقمت بنفسى بتخصيص المهمة له وتعريفه موقف القوات المجاورة واعتباره مسئولاً عن تأمين الطبقة الزلطيه بقوة كتيبة مشاة مدعمة لمنع تسرب العدو وأمرته بالتنسيق مع قائد اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى، ويكون باقى اللواء مستعداً لمقاومة أى إبرار معاد فى المنطقة ومنع تسلله، كما أمرته بعودة سرية المشاة الميكانيكى؛ لتحتل رأساً مسلة.

وفى نهاية هذا اليوم كان قد تم صد العدو ومطاردته إلى خارج الجيش فى معارك صغرى كثيرة ومتفرقة ومستمرة، ورغم ذلك ورغم تركيز العدو الواضح على الجانب اليسار فى منطقة دفاع الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى إلا أن هذا النشاط القتالى صحبته عمليات مناورة وإعادة تمركز لأربعة لواءات فى عمق الجيش، وتم تخصيص المهام للوحدات، وحددت الساعة ٢٤٠٠ لبدء التنفيذ طبقًا لتوجيهات وزير الحربية وقرارى، وكانت الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع قد دخلت فى معركة للعدو فى جبل جنيفة، ودعمت بكتيبة صواريخ مضادة للدبابات من الاحتياطى المضاد للدبابات للجيش رقم ٢ ، وذلك أثناء سحبها من رأس الكوبرى إلى الجفره، وكلفت بمهمة تدمير العدو، ووضعت تحت قيادة اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى لصالح هذه العملية.

الساعة ٢٤٠٠ تم دفع كتائب اللواء ٦ مشاة ميكانيكى فى اتجاهات عملها لتنفيذ المهام المكلف بها.

أحداث يوم ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ :

على محور ساحل البحيرات - طريق المعاهدة :

الساعة ٠٢٠٠ تم دفع سرية ميكانيكى مترجلة من الكتيبة ٣٣٧ ميكانيكى من

اللواء ١١٣ ميكانيكى مشكلة فى مجموعات اقتناص دبابات إلى أعلا جبل جنيفه. وتمكنت من الوصول الساعه ٠٤٣٠، وفى أول ضوء تم دفع سرية دبابات من الكتيبة ٢٤٠ دبابات من اللواء ٣ مدرع إليها والتمسك بالجبل وفى الساعة ٠٨٠٠ تم تعزيز القوة بسرية صواريخ مضادة للدبابات (٤ قطعة) وفى هذا التوقيت وجه العدو هجومًا مضادًا على هذه القوة بقوة ٩ دبابات، وتم الاشتباك معها وأمكن تدمير ٤ دبابات للعدو ودمر لنا «٢» دبابتان، وانسحب العدو فى اتجاه الجنوب الشرقى، وتم مطاردته بباقى سرية دبابات و«٢» قطعتى صواريخ مضادة للدبابات بحذاء الطريق ١٢ فى اتجاه جبل غرة لمسافة ٥ كم. وقد أشرف على هذه العملية ضابط عمليات الجيش وضابط من قيادة مدفعية الجيش، وقد عادت القوات إلى محلاتها وبقيت سرية ميكانيكى أعلا الجبل.

الساعة ٠٣٥٥ تم رص حقل ألغام بمدخل وادى سد الجاموس.

الساعة ٠٥٢٠ أبلغت قيادة مدفعية الجيش بهبوط طائرات هليكوبتر على جبل الشهابى وتم قصفهم بالمدفعية.

الساعة ٠٨٠٠ كان موقف الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى متماسكًا خاصة بعد وصول الدعم إليها. واستيعاض الذخيرة، وقد احتلت المدافع ذاتية الحركة محلاتها، كذا تم الانتهاء من رص الألغام فى مدخل سد الجاموس كذا دعمت الكتيبة بعدد ٥٠ قاذف لهب خفيف، ٢٦ قاذف لهب ثقيل، وقد وصلت جميعها، وخصصت مهامها ووزعت على السرايا الساعة ٠٩٠٠.

وفى هذا التوقيت بدأ تقدم الكتيبة ٢٤٧ دبابات المدعمة بسرية مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى فى اتجاه وادى سد الجاموس، وكانت قائمة بالاشتباك مع العدو من أول ضوء بمجموعات كل منها ٣ دبابات وعند تقدمها تم تركيز النيران عليها من كلا الجانبين من جبلى غره وجنيفه وحتى آخر ضوء كانت خسائر العدو تدمير ٣ دبابات، ٤ عربات صواريخ مضادة للدبابات، وخسرت الكتيبة ٢ دبابة.

الساعة ٠٩٠٠ بدأ العدو فى العمل على الجانب الأيسر على محور فناره جنيفه بتوجيه غارات جوية على موقع الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة

ميكانيكى، وتتخلله الغلالة الزاحفة من المدفعية واستمرت هذه القصفات مثل ما حدث اليوم السابق.

الساعة ٠٩٢٥ أصدرت أوامرى إلى قائد اللواء ١ مشاة ميكانيكى بدفع سرية دبابات إلى الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى.

الساعة ١٠٠٢ أفاد الاستطلاع بأن للعدو تحركات من «أبو سلطان» فى اتجاه فايد.

الساعة ١٣٠٠ أفاد اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى بأن قواته تحتل جبل جنيفة وقاعدة الصواريخ فى وادى سد الجاموس.

الساعة ١٤٠٠ ظهر للعدو حوالى ٢٠ دبابة، ٦ صواريخ مضادة للدبابات أعلى جبل الجوزه الحمراء فى اتجاه الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى وقامت بالضرب على الكتيبة، وقد وجهت إليها نيران دبابات، ومدافع الماكينة القناصة، وتمكنت الكتيبة من شل فاعلية العدو لفترة وقد ركز العدو نيرانه على الأسلحة المضادة للدبابات وحتى الساعة ١٦٠٠ كان قد تمكن من تدمير الدبابات المتبقية بالموقع (٤ دبابات)، ٤ مدافع ذاتية الحركة وبعض المركبات، وتمكن من أسر نقطة ملاحظة وطاقم اقتناص دبابات كانوا على جبل الجوزه الحمراء.

الساعة ١٤٣٥ أبلغ قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى عن تمام احتلال القمم العالية لجبل جنيفه بالمشاة ويقوم العدو بهجوم مضاد على الجبل وقد دمرت له ٢ دبابة، وجارى تحقيق مهمة وادى سد الجاموس. وأن العدو يقوم بالقصف بالدبابات، ذاتية الحركة من مسافات بعيدة.

الساعة ١٦٠٠ دعم العميد ليون قائد اللواء ١١٣ ميكانيكى القوة الموجودة أعلا جبل جنيفة بسرية ميكانيكى أخرى مشكلة فى مجموعات اقتناص دبابات وتحمل معها أثناء انضمامها ذخيرة وألغام للقوة الموجودة أعلا الجبل.

الساعة ١٦١٠ قررت تدعيم محور فناره جنيفه بدفع الكتيبة ٢٠ مشاة ميكانيكى من اللواء ١ مشاة ميكانيكى مدعمة بسرية دبابات لتحتل خط صد من شمال جنيفه. كذا تحتل الكتيبة ٢٤٠ دبابات عدا سرية (١٣ دبابة) خط صد للجنوب منها بحوالى

٢ كم. كما أصدرت أمراً باستعداد اللواء ٢٢ مدرع للتحرك من شرق القناة بأوامر وقد تم دفع ضابط من عمليات الجيش لتنفيذ القرار، كما دعمت الكتيبة ٢٠ ميكانيكى بكتيبة مدفعية اللواء ١ مشاة ميكانيكى.

الساعة ١٦٣٠ قام العدو بمحاولة لاختراق الحد اليسار للجيش بمنطقة فنارة بقوة ٣٣ دبابة و٣ عربات نصف جنزير تحت ستر قصف شديد بالمدفعية على الجزء اليسار من السرية الأمامية، وقد تمكن من فتح ثغرة فى حقل الألغام تسربت منها دبابة اختبأت فى أحد عنابر المعسكرات وتلتها أخرى، وقد تمكنت الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من إيقاف العدو، وأجبرته على الارتداد مرة أخرى فى اتجاه شبراويت باستغلال نيران المدفعية، وقد أمكن تدمير العربات نصف جنزير للعدو، وفى هذا الوقت كان العدو يقوم بغارات جوية مستمرة على تقاطع طريق السويس مع طريق الجيش.

الساعة ١٦٤٥ أمرت تدعيم موقف القطاع فنارة - جنيفه بدفع سرية دبابات من اللواء ١ مشاة ميكانيكى إلى الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى، وكذا عمل كمائن بسرية صاعقة فى منطقة المزارع والطرق؛ لتعطيل تقدم دبابات العدو وتدميرها.

الساعة ١٧٣٠ أكدت القيادة العامة احتمال قيام العدو بهجوم على رأس الكوبرى من الشرق والجنوب بقوة ٢ لواء.

الساعة ١٨٠٥ دفعت ٣ ضباط من شعبة عمليات الجيش؛ لمراجعة موقف الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى والكتيبة ٢٠ مشاة ميكانيكى ٢٤٠ دبابات على محور فنارة جنيفة، كذا تم دفع محطة لاسلكية إلى الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى، وتم إعادة الاتصال الخطى مع الكتيبة.

الساعة ١٩٠٠ أكدت على القوات بالثبات فى مواقعها وعدم الارتداد، وأن تقوم القوات ليلاً بدفع كمائن والقيام بإغارات على العدو، وتأمين وادى سد الجاموس والتمسك بالحدود الشمالية للجيش.

الساعة ٢٠٣٦ أبلغتنا هيئة العمليات باحتمال قيام العدو بالهجوم على الجانب اليسار لرأس الكوبرى ونقطة شرق كبريت، كما أن احتمال الهجوم على الجانب الأيمن لرأس الكوبرى لازال قائمًا، ونبهت إلى ضرورة توفر القدرة على تحريك الاحتياطيات داخل رأس الكوبرى.

وقد أوضحت للقيادة العامة موقف القتال خلال اليوم، وأن تقديرى نتيجة لذلك أن العدو يقوم بتثبيت القوات فى منطقة أم كثيب ـ جنيفه للهجوم فى اتجاه طريق المعاهدة بغرض الوصول إلى طريق السويس وحصار قوات رأس الكوبرى شرق القناة وأن أعمال العدو خلال اليوم كانت لجس النبض على الطريق الساحلى، وأنه نظرًا لكثرة الخسائر فى دبابات قواتنا فقد أنذرت كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع للدفع من رأس الكوبرى فى أى اتجاه لتدعيم الموقف.

الساعة ٢١٠٠ حذرت القوات غرب القناة من احتمال قيام العدو بالهجوم اعتبارًا من أول ضوء وضرورة التشبث بالمحلات التى وصلت إليها القوات فى غره وجنيفة وأم كثيب ووادى «أبو طلح» وتعزيز الخطوط المكتسبة والتوسع فى رص الألغام، وتم دفع مندوبين من شعبة الإمداد والتموين؛ لإفساد تكديس الوقود فى فنارة حتى لا ينتفع به العدو.

الساعة ٢٢٠٠ تم انضمام سرية دبابات من اللواء ١ مشاة ميكانيكى التى دفعتها إلى الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى وتم احتلالها لأماكنها.

قام قائد الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى بتنظيم أطقم اقتناص دبابات؛ لتدمير دبابات العدو الموجودة فى العنابر بالمعسكر أمام موقع بدفع هذه المجموعات الساعة ٢٣٠٠، وأمكن تدمير دبابة، وفرت الدبابة الأخرى خارج الموقع، كما قامت الكتيبة بدفع أطقم أخرى إلى منطقة المزارع وعلى الطريق الترابى شرق الترعة الحلوة؛ لتأمين هذه المنطقة، وتمكنت من تدمير ٣ عربات نصف جنزير.

وقد وصلت الكتيبة ٥١٥ دفاع جوى إلى منطقة عمل الكتيبة ٢٠ مشاة ميكانيكى ووصلت عناصر الصاعقة أيضًا إلى المنطقة، وانتشرت فى كمائن بالمناطق المزروعة وعلى الطرق.

على المحور الجبلى غرب طريق المعاهدة:

الساعة ٠٦٣٠ تمكنت الكتيبة ٢٠٧ دبابات من الوصول إلى خط المهمة فى جبل أم كثيب، وقد تعرضت خلال اليوم لقصف جوى ونيران مدفعية العدو، كما حاول العدو عدة مرات متتالية الهجوم عليها بالدبابات والصواريخ المضادة للدبابات لاختراقها ولكنه فشل فى تحقيق هدفه، وتمكنت الكتيبة من التمسك بمحلاتها.

الساعة ٠٧٠٠ تمكنت سرية مشاة ميكانيكى من الكتيبة ٣٣٨ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى، من الوصول فى مجموعات إلى طريق ١٤ شمال قاعدة الصواريخ، ونظمت دفاعها وتمكنت خلال اليوم من صد هجمات متكررة للعدو بقوة بلغت حتى «٢» سريتى دبابات، وتشبثت بمحلاتها.

وفى الوقت نفسه كان اللواء ٦ مشاة ميكانيكى عدا الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى يقاتل العدو بعد دفعة على الخط كالآتى:

الكتيبة ٢٥٨ مشاة ميكانيكى جنوب منطقة قيادة اللواء ١٠٥ دفاع جوى، الكتيبة ٢٥٧ مشاة ميكانيكى شرق الكتيبة ٢٥٨ ميكانيكى على وصلة «أبو طلح»، الكتيبة ٢١١ دبابات عدا «٢» سريتين تحتلان تقاطع طريق ١٢ مع وصلة عويبد، وقد استمر فى قتال العدو طول اليوم، وتعرضت قوات اللواء ٦ مشاة ميكانيكى إلى غارات جوية مركزة وقصف مدفعية وهجمات مضادة بدبابات العدو، وقد تمكن اللواء رغم ذلك من تحسين أوضاع قواته والضغط على العدو والتقدم شرقًا وشمال شرق.

الساعة ٠٧٤٠ تحدثت إلى وزير الحربية، وأخبرته بوجود اشتباكات فى منطقة أم كثيب، وأننى سأتوجه إلى هناك لأشرف بنفسى على المعركة فوافق، وتوجهت إلى منطقة الجربه، وتم أخذ أسير كان يدير نيران المدفعية، وسلم للعقيد فتحى عباس من المخابرات الحربية.

الساعة ١٠٠٠ تقدمت سرية دبابات للعدو من اتجاه جبل غره إلى الطبقة الزلطيه وقامت بمهاجمة الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكى من اللواء ١ مشاة ميكانيكى، وأمكن صد الهجوم بالتعاون مع اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى وتدمير ٦ دبابات للعدو، وارتد الباقى، إلا أن العدو وجه طيرانه لقصف الكتيبة، كما قام بقصفها بالمدفعية.

الساعة ١٠٣٠ أوفدت ضابط من عمليات الجيش لإبلاغ قائد اللواء ١ ميكانيكى بسرعة دفع الكتيبة ميكانيكى المدعمة لاحتلال الطبقة الزلطيه وتطهيرها من العدو وأن تؤمن طريق عملها.

الساعة ١١١٨ أفاد قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى بأن قوات الفرقة موجودة طبقًا للموقف السابق، وقام العدو بالالتفاف حول جبل جنيفة ووصل إلى طريق ١٢

والطبقة الزلطيه بقوة ٨ دبابات، ٤ مدفع ٢٣٠ م وجارى التعامل معه، وتم دفع الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكى مدعمة من اللواء ١ مشاة ميكانيكى للهجوم، والساعة ١١٣٩ بدأ قصف العدو فى الطبقة الزلطيه بتركيز من مدفعية الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، وتم دفع العناصر المضادة للدبابات للأمام، لتدمير العدو.

الساعة ١٢٠٠ قامت الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكى من اللواء ١ مشاة ميكانيكى بالهجوم على الطبقة الزلطيه، وقد ركز العدو عليها بالطيران والمدفعية عند تقدمها وكذا بنيران دبابات من اتجاه جبل غره، واضطرت الكتيبة للترجل لتقليل الخسائر.

وقد دعم العدو قواته فى الطبقة الزلطيه بسرية دبابات مدعمة، ودارت معركة عنيفة بين الجانبين، وتمكنت الكتيبة بعد أن خسرت ٣ دبابات من التمسك بالجزء الشرقى من التبة الزلطيه، وفى الوقت نفسه كانت سرية دبابات للعدو تتحرك تحت ستر القصف الجوى من اتجاه جبل غره إلى الجنوب الشرقى فى اتجاهها لمهاجمة احتياطى قائد اللواء ١١٣ ميكانيكى (٢ سرية مشاة ميكانيكى) ومرابض نيران المدفعى، وتم صده بجميع وسائل النيران حتى وصل القتال إلى مدى ٥٠٠ متر، وقد استخدمت المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات فى هذه المعركة فى الضرب المباشر، وقد بذل العدو جهداً كبيراً فى محاولة الاختراق بالتثبيت فى المواجهة والالتفاف على الأجناب، وقامت قواتنا بالمناورة بالأسلحة المضادة للدبابات والمدافع ٨٥ م المجرورة بكفاءة تامة، وأمكن صد العدو، وكانت خسائره «٢» دبابتين وعربة مجنزرة وخسرت قواتنا «٢» مدفعين اقتحام ١٠٠ م، «٢» مدفعين ٨٥ م مضادة للدبابات، وقد أمرت بقيام رئيس شعبة عمليات الجيش بالتوجه إلى مكان هذه المعركة والإشراف عليها ومراجعة أعمال اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى.

الساعة ١٢٤٠ أبلغت رئيس هيئة العمليات بأن قائد اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى أفاد بأنه قد استولى على جبل جنيفه، وهناك ٣٥ دبابة للعدو تنسحب من أمام جبل أم كثيب، ويحتمل استعداد العدو للقيام بهجوم مضاد، وأبلغته أنه لا يوجد لدى أى احتياطيات إلى أن تنتهى القوات من تنفيذ المهام المكلفة بها.

الساعة ١٤٣٥ أبلغ قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى عن تمام احتلال الطبقة الزلطيه، وأن العدو يقوم بالقصف بالدبابات، والمدافع ذاتية الحركة من مسافات بعيدة.

الساعة ١٥٠٠ وبناء على بلاغ قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى أمرت الفرقة ٤ مدرعة بأن تنظم كمين لحصار دبابات العدو المرتد من الطبقة الزلطيه فى اتجاه جبل غزه.

الساعة ١٥٣٠ أفادت الفرقة ٤ بأن اللواء ٦ مشاة ميكانيكى حقق المهمة، وأنه توجد بعض دبابات للعدو فى جبل غزة تقوم بالضرب على اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى.

الساعة ١٧٠٠ دفعت العقيد مسعد الششتاوى من شعبة عمليات الجيش ومعه قرارى لتصفية الموقف على الجانب اليسار للجيش؛ لعرضه على وزير الحربية كطلب القيادة العامة، وقد صدق وزير الحربية على القرار.

الساعة ١٧٢٨ أفاد قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى بارتداد العدو من الطبقة الزلطيه شمالاً، وأنه قائم بضربه بالمدفعية.

وكان العدو قد قام خلال هذا اليوم بحوالى ٤٠ غارة جوية على طريق السويس بالصواريخ والقنابل والرشاشات، وكذا على القاعدة البحرية بالأدبية، وكان نشاط الصواريخ غير واضح، وكان فى قطاع الجيش «٢» لواءا صواريخ مضادة للطائرات، وقد أفاد رئيس أركان حرب القوات المسلحة الساعة ١٨٤٧ بأن العدو يحاول إخلاء قواته.

الساعة ٢٠٤٠ أبلغت اللواء الجمسى: أن العدو سيحاول تثبيت القوات أمام أم كثيب ـ جنيفة ويهاجم من ناحية طريق القاهرة أو بالعكس للوصول إلى طريق السويس ويقطع رأس الكوبرى، وأننى قد بلغت العميد المغربى والوحدات المتيسرة لتعزيز الخط المكتسب ورص الألغام، وذكرت له الوحدات التى دفعت لتأمين طريق القاهرة.

أحداث يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣:

لم يقم العدو بأى أعمال إيجابية طوال ليله ٢١/ ٢٢ أكتوبر سوى بعض طلقات مضيئة أطلقها على منطقة الكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى وصحبها قصف مدفعية ودبابات العدو على الكتيبة، بينما استمرت قواته المدرعة فى التدفق إلى غرب القناة.

استمرت مدفعية الجيش طوال ليلة ٢١/ ٢٢ أكتوبر فى قصف تجمعات العدو وقامت عناصر الصاعقة بعمل إغارات على تجمعات العدو غرب القناة.

محور البحيرات ـ طريق المعاهدة :

الساعة ٠٦٠٠ بدأت الكتيبة ٢٤٧ دبابات عدا سرية مدعمة بسرية مشاة ميكانيكى من الكتيبة ٣٣٨ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى فى التقدم شمالاً خلف عناصر المشاة للوصول إلى مدخل وادى سد الجاموس غرب جبل جنيفة وشرق جبل غره، وقد سبق تحركها قصفة نيران على العدو الذى أمكن تمييزه فى كلّ من جبل غره وجبل جنيفة.

الساعة ٠٨٠٠ وصلت الكتيبة ٢٤٧ دبابات إلى مسافة ٢ كم جنوب مدخل الوادى، وهنا ركز العدو نيرانه عليها من اتجاهى جنيفة وغزه على كلا جانبى الكتيبة وبرغم شدة القصف والقصف الجوى الذى كانت تتعرض له الكتيبة منذ بدء تحركها إلا أنها حاولت مواصلة التقدم فى مجموعات صغيرة بالضرب مع الحركة وتأمين الأجناب، واستمرت عناصر المشاة فى التقدم فى اتجاه غرب جبل جنيفة، وتمكنت من تدمير ٢« دبابتين» للعدو، واستمر الاشتباك بتركيز، وفى الساعة ١١١٥ تمكن العدو من تدمير جميع دبابات الكتيبة، وبنجاح العدو فى تدمير الكتيبة ٢٤٧ دبابات دفع بقوة حوالى «٢» سريتى دبابات تحت ستر قصف جوى وبالمدفعية إلى جبل جنيفة من اتجاه جبل غره تقدمت فى ثلاثة طوابير فى اتجاه قوات اللواء ١١٣ ميكانيكى (٢ سرية ميكانيكى من الكتيبة ٣٣٧ ميكانيكى) التى تحتل الجبل ،وقد أمكن لهذه القوة صده وإجباره على الارتداد بعد أن خسر ٥ دبابات وعربة نصف جنزير وعدداً كبيراً من القتلى.

زاد تركيز القصف الجوى والمدفعية من الساعة ٠٦٠٠ إلى الساعة ٠٧٠٠ على موقع الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ ميكانيكى، وتقدم العدو أمام الكتيبة بقوة حوالى ٢٠ دبابة، واحتل قمة الجوزه الحمراء بحوالى سرية دبابات وعناصر صواريخ مضادة للدبابات، وبدأ فى الضرب من أعلى الجبل على الكتيبة، وتمكن من تدمير سرية دبابات، ٤ قواذف مضادة للدبابات وعربة اللاسلكى، وإزاء تركيز القصف أخليت ناقلات الجند إلى معسكر حبيب الله وقد دمر البعض منها بالطيران أثناء التحرك.

الساعة ٠٦٣٠ قررت تدعيم هذا المحور بسحب كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع من رأس الكوبرى؛ لتتمركز فى منطقة تقاطع طريق المعاهدة مع وصلة جنيفة

وإصدار أوامرى للتنفيذ، ودفعت ضابط من عمليات الجيش لسحب الكتيبة والإشراف على تمركزها وشرح الموقف لقائدها، وتم التنفيذ.

الساعة ٠٧٠٠ كان العدو قد تمكن من تدمير جميع الأسلحة المضادة للدبابات للكتيبة، وأحدث خسائر بالأفراد حوالى ٥٠ ٪ بين شهيد وجريح، وكانت الكتيبة قد تحملت جهدًا كبيرًا أثناء القتال المتواصل طوال ٧٢ ساعة تقريبًا تحت تأثير القصف الجوى المركز وبالمدفعية ومحاولات الاختراق المتتالية ونجاحها فى الصد، وبذلك فقدت الكتيبة قدرتها على صد الدبابات بالأسلحة الرئيسية.

الساعة ٠٨٠٠ قام باقى الكتيبة بالمناورة للخلف إلى مواقع اللواء الفلسطينى وقد أمكن بمعاونة نيران المدفعية وبإدارتها بمهارة على العدو أن يوقف تقدمه على هذا المحور حتى الساعة ٠١٦٠٠ ، وقد أمكن أيضًا تدمير ٦ عربات نصف جنزير للعدو وبمنطقة المزارع بأطقم اقتناص الدبابات.

واعتبارًا من الساعة ٠٨٠٠ أيضًا ظهرت مجموعة دبابات معادية وصواريخ مضادة للدبابات على الميول الشرقية لجبل جنيفه قامت بالضرب على الكتيبة ٢٤٠ دبابات عدا سرية (١٣ دبابة) وكذا تم القذف بالمدفعية والهاونات، ودفع قائد المحور «رئيس أركان الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى » الساعة ٠٩٣٠ سرية مشاة ميكانيكى من الكتيبة ٢٠ ميكانيكى إلى الجبل للعمل كأطقم اقتناص دبابات لتدمير العدو الذى ظهر فوق الجبل بالتعاون مع قوات اللواء ١١٣ ميكانيكى، وقد أمكنها حتى الساعة ١٧٠٠ تدمير ٨ دبابات للعدو وارتد الباقى شمالاً.

الساعة ٩٠٠ وصلت كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع إلى مكانها إلا أن تدهور الموقف فى عمق قطاع اللواء ١١٣ ميكانيكى وظهور تهديد حقيقى لمنطقة طريق السويس كم ١٠٩ اضطرنى الساعة ١٣٠٠ لدفعها ؛ لتدعيم معركة اللواء ١١٣ ميكانيكى ، وقد تعرضت الكتيبة لهجوم دبابات العدو عند تحركها وتركت سرية للتعامل معه ، واصلت فى اتجاه مهمتها تحت تأثير قصف العدو الجوى عليها أثناء التحرك.

الساعة ٠٩٥٣ أبلغت هيئة العمليات بأن العدو لايزال يهاجم اللواء الفلسطينى، وأن العدو اخترق الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى، ومع ذلك فالموقف لايزال تحت السيطرة وطلبت أن يتم عمل إيجابى بالفرقة ٤ المدرعة بقيادة العميد عبد العزيز قابيل.

الساعة ١٢٤٠ عاود العدو الهجوم مرة أخرى بقوة كتيبة دبابات مدعمة تحت ستر قصف جوى وبالمدفعية، وتمكن بقوة سرية دبابات من عزل ومحاصرة القوة المدافعة، وتقدمت باقى دباباته فى اتجاه الجنوب، وقد ظلت القوة المحاصرة متماسكة ولم يتمكن العدو من اختراقها حتى آخر ضوء، وتمكنت ليلاً من تدمير ٤ دبابات للعدو.

خلال هذا الوقت كانت الكتيبة ١ ميكانيكى من اللواء ١ ميكانيكى فى منطقة تقاطع طريق ١٢ مع طريق المعاهدة تتعرض لقصف جوى شديد، ودارت معركتها كالآتى:

* الساعة ١٢٠٠ تقدم فى اتجاهها من طريق ١٢ قوة من ٥ دبابات للعدو، وتمكنت الكتيبة من تدمير ٢ منها، وارتد الباقى فى اتجاه جبل جنيفة.

* الساعة ١٢٣٠ تقدم العدو من اتجاه طريق ١٢ فى اتجاه الكتيبة بقوة حوالى كتيبة دبابات فى أرتال سرايا متوازية، وعند اقترابها من الكتيبة قامت الأرتال الخارجية بالالتفاف كلّ من اتجاهه على جانبى الكتيبة مع الاقتحام فى المواجهة بالرتل الأوسط، ودارت معركة عنيفة مع العدو وتمكن الساعة ١٥٠٠ من الوصول إلى الخندق الأول من جميع الجهات، وجرى القتال المتلاحم فى عمق موقع الكتيبة وحدثت بها خسائر كبيرة، وارتدت إلى منطقة كم ١٠٩ طريق السويس، وقد شكلت منها مجموعة من ١٠ ضباط و١٢ جنديّا و ٧ توباز و ٥ هاوتزر من الكتيبة ٣٠٧ مدفعية ميدان، ودفعت هذه المجموعة إلى مدينة السويس للدفاع عنها، واحتل باقى أفراد الكتيبة تبة الصواريخ فى كم ١٠٩ لتأمينها.

الساعة ٠٢٠٠ أصدرت أوامرى باستعداد عناصر الدفاع الجوى للتحول للضرب الأرضى ضد دبابات العدو، كما أصدرت أوامرى لكل من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى والفرقة ٤ مدرعة باستكمال حصار العدو غرب القناة وتنشيط الدوريات والكمائن على طرق الاقتراب، كما تم خلال الليل دفع الذخيرة إلى وحدات المدفعية، والدفاع الجوى غرب القناة. كما قامت عناصر المهندسين بتفتيش طريق السويس وإصلاح الأجزاء المدمرة منه، وتم التأكيد على قيادة الفرقة ٦ بخصوص السيطرة على محور فنارة جنيفة وتحقيق الاتصال مع قوات هذا المحور، وقد تم التنبيه على قائد اللواء الفلسطينى بدفع مجموعات اقتناص دبابات إلى المنطقة المزروعة فى قطاعه.

الساعة ١٦٠٠ دفع العدو بقوة من ٣ دبابات فى اتجاه طريق المعاهدة من اتجاه مدينه الضباط إلا أنه أمكن تدمير واحدة منها وأصابة أخرى بالقاذف المضاد للدبابات وفرت الثالثة، وقد كانت نتيجة أعمال قتال العدو ضد الكتيبة ٢٤٠ دبابات حتى هذا التوقيت تدمير جميع دباباتها فى خط الصد.

الساعة ١٦٣٠ وتحت ستر نيران الدبابات، الصواريخ المضادة للدبابات من أعلى الجبل ونيران المدفعية والطيران اندفعت أرتال العدو من الشمال إلى الجنوب فى بطن جبل الجوزه الحمراء مركزه نيرانها على معسكر كسفريت.

الساعة ١٧٠٠ كان قد أمكن للعدو اختراق دفاعات الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى واللواء الفلسطينى كما تمكن من تدمير الكتيبة ٢٤٠ دبابة فى خط الصد علاوة على نجاحه الساعة ١٦٠٠ فى تصفية موقف الكتيبة ١ ميكانيكى فى عمق هذا المحور عند تقاطع طريق ١٢ مع وصلة جنيفة وتثبيت قوات اللواء ١١٣ ميكانيكى من الفرقة ٦ فى منطقة جبل جنيفة وفى اتجاه معسكرات كم ١٠٩، وتثبيت قوات اللواء ٦ ميكانيكى والسيطرة على طرق اقترابها ـ وكذا تثبيت الكتيبة ٢٠٧ دبابات على الجانب اليسار للجيش، وقام فى هذا الوقت مع توفير إمكانيات النجاح وبمعاونة قصف جوى شديد بالهجوم على الكتيبة ٢٠ ميكانيكى من اللواء ١ ميكانيكى فى خط الصد بقوة حوالى كتيبة دبابات من اتجاه الشمال، وذلك بعد تمام تدمير الدبابات المدعمة لها، ونجح فى اختراق موقعها الساعة ١٨٣٠ ودار قتال متلاحم استمر فى عمق الموقع حتى الساعة ١٩٣٠، وفقد معظم القادة بالكتيبة، وأصيب العميد عطية سليمان رئيس أركان الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى،

وبهذا الموقف تقدمت عناصر دبابات وعربات نصف جنزير للعدو فى اتجاه المعابر، وقد تجمعت لدينا المعلومات فى هذا التوقيت كالأتى :

* الساعة ١٧٥٢ معلومات استطلاع بوجود ٤ دبابات و«٢» عربتى نصف جنزير على المحور ٤٦ و ٨ دبابات و«٢» عربتى نصف جنزير على المحور ٤٧ و ١٢ دبابة فى اتجاه المعابر.

* الساعة ١٨٢٠ من قائد محطة جنيفة يوجد للعدو ٣٠ ـ ٣٥ دبابة فى سطح جبل جنيفة من الطريق حتى الجبل، وأن الكتيبة ٢٠ ميكانيكى من اللواء ١ ميكانيكى قد دمرت تماماً.

* الساعة ٢١٣٥ أفادت معلومات من أحد ضباط الشرطة العسكرية بوجود ٢٢ دبابة تتقدم إلى منطقة كوبرى كم ١٤١ ترقيم قناة، وأمرت بعد إبلاغ القيادة العامة بتدميرهم وتفتيش المنطقة.

* الساعة ٢١٤٠ من قائد محطة جنيفة أنه شوهد الساعة ٢١٢٠ قول للعدو من ٢٢ دبابة و٤ عربة جيب عند مدق الصواريخ واتجه جنوبًا على طريق المعاهدة، كذلك يتجه قول آخر من ٢٦ دبابة للعدو فى اتجاه معسكر حبيب الله.

* الساعة ٢٣٢٠ أبلغ أحد ضباط اللواء ١٩٩ كبارى بوجود ٤ دبابات للعدو قرب الساتر الترابى بمنطقة كم ١٤٢ ترقيم قناة غرب الترعة الحلوة وبالاشتباك معهم ارتد العدو على الضفة الغربية، وخلال ليلة ٢٢/ ٢٣ كانت فرق النسق الأول قد أتمت تدمير ٢٦ دبابة للعدو غرب القناة.

وقد قمت بتأمين المعابر، وأمرت قادة الفرق ٧ و ١٩ مشاة باحتلال المصاطب الخلفية بالأسلحة المضادة للدبابات، وعندما اتضحت بوادر نجاح العدو على المحور الساحلى أمرت بنسف الكوبرى الخرسانى عند معسكر مسلة، وأمرت قائد الفرقة ٧ مشاة بدفع كمين دبابات فى منحنى الطريق فى هذه المنطقة.

الساعة ٢٣٥٥ أكدت على قائد الفرقة ١٩ مشاة أن يتم تأمين مؤخرة رأس الكوبرى وخاصة المعابر، كذا التأكد من تأمين مدينه السويس.

المحور الجبلى:

خلال ليلة ٢١/ ٢٢ تمكنت سرية ميكانيكى من الكتيبة ٣٣٨ ميكانيكى من اللواء ١١٣ ميكانيكى المتمركز بمنطقة مدق ١٤ من تدمير ٤ دبابات من سرية دبابات للعدو تمركزت شرق موقع السرية، وابتعدت باقى السرية شمالاً.

الساعة ٠٦٠٠ كانت الكتيبة ٢٢١ دبابات من اللواء ٦ ميكانيكى فى خط الصد الذى احتلته فى تقاطع طريق الجيش مع طريق ١٢، وقد قام العدو بمهاجمتها من اتجاه الشرق، وقد بلغت قوة العدو الساعة ١٢٠٠ حوالى ٢٠ دبابة من الشرق وحتى ١٥ دبابة تلتف من الشمال فى اتجاه جنب الكتيبة.

وقد تمت المناورة بقوة ٤ قطع صواريخ مضادة للدبابات من موقع الكتيبة ٢٠٧ دبابات الكتيبة من اللواء ٢ م وبأعمال قتال الكتيبة وبمعاونة المدفعية فشل هجوم العدو، واضطر للارتداد شرقًا لمسافة ٣ـ٤ كم.

واعتباراً من الساعة ٠٦٠٠ وحتى نهاية اليوم لم يتوقف العدو على القصف الجوى المركز على القوات؛ لمعاونة أعمال قتال دباباته ولشل قدرة قواتنا فى أرض المعركة وكذا قصف المدفعية والدبابة، ومن هذا التوقيت بدأت أعمال قتال قوية فى جميع الاتجاهات، وكانت بعضها اتجاهات رئيسية، وأخرى ثانوية من وجهة نظر العدو الذى توفرت له الحماية والمعاونة الجوية الكاملة والحرية التامة لطائراته للعمل فوق أرض المعركة مما كان سببا فى أن تمتع بقدرة كبيرة على المناورة بالقوات، هذا فى التوقيت الذى حرمت فيه قواتنا البرية من ميزات العدو لذا كانت أعمال العدو فى أى اتجاه فى عمق الجيش يمكن اعتبارها أعمالاً رئيسية حيث يمكنه تدعيم النجاح فى أى مكان وبسرعة فائقة، ورغم ذلك فقد وجهت قيادة الجيش عناية خاصة لمحور فناره ـ جنيفة بصفة خاصة.

وكذا تم دفع الكتيبة ٣ ميكانيكى للهجوم على الطبقة الزلطيه وتدمير العدو بها وكان العدو قد دعم قواته فى مواجهه الكتيبة، ودفع سرية للالتفاف يمين الكتيبة تحت ستر نيران المدفعية والطيران، ودارت معركة عنيفة دمر العدو فيها ٥ دبابات للكتيبة ولم يتبق سوى دبابة واحدة، ثم دفع العدو بسرية أخرى على يسار الكتيبة مما اضطر قائد الكتيبة لإيقاف الهجوم والتمسك بالجزء الشرقى من التبة الزلطية ودفعت سرية صاعقة لتدعيم الكتيبة، واستمر الاشتباك مع العدو طوال اليوم وتعرضت الكتيبة لقصف جوى شديد وعلى فترات.

وقامت الكتيبة بهجوم ليلى ناجح بالتعاون مع الصاعقة، واستولت على مرتفعات التبة الزلطية جنوب طريق ١٢.

وقد كان العدو منذ الساعة ١٠٠٠ حتى الساعة ١٥٠٠ يحاول الوصول إلى منطقة كم ١٠٩ طريق السويس، ودفع لتحقيق هدفه «٢» سريتى دبابات تحت ستر قصف جوى مركز وشبه مستمر على مرابض المدفعية، احتياطى اللواء ١١٣ ميكانيكى، مركز قيادة اللواء فى منطقة المعسكرات شمال كم ١٠٩، وحاول

اختراق الموقع من عدة اتجاهات من الشرق والغرب، وتم صده وتشبثت القوات بمحلاتها وقامت المدفعية بالضرب المباشر على دبابات العدو، وكذلك استخدمت المدافع المضادة للطائرات ٥٧ مم فى الضرب الأرضى، وتمت المناورة بالمدافع ٨٥ مم المجرورة، ووصل مدى الاشتباك إلى ٥٠٠ متر.

الساعة ١٢٣٠ تقدم العدو من اتجاه طريق ١٢ فى اتجاه الكتيبة بقوة حوالى كتيبة دبابات فى أرتال سرايا متوازية، وعند اقترابها من الكتيبة قامت الأرتال الخارجية بالالتفاف كل من اتجاهه على جانبى الكتيبة مع الاقتحام فى المواجهة بالرتل الأوسط ودارت معركة عنيفة مع العدو، وتمكن الساعة ١٥٠٠ من الوصول إلى الخندق الأول من جميع الجهات، وجرى القتال المتلاحم فى عمق موقع الكتيبة، وحدثت بها خسائر كبيرة، وارتدت إلى منطقة كم ١٠٩ طريق السويس، وقد شكلت منها مجموعة من ١٢٠ فرد- ١٠ ض + ٧ توباز + ٥ هاوتزر من الكتيبة ٣٠٧ مدفعية دفعت إلى مدنية السويس للدفاع عنها، واحتلت باقى أفراد الكتيبة تبة الصواريخ فى كم ١٠٩ لتأمينها.

الساعة ١٣٠٠ قدرت خطورة الموقف فى منطقة الطبقة الزلطية التى لو سقطت لانفتح الطريق إلى طريق القاهرة- السويس، فأمرت بدفع كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع التى تم سحبها من رأس الكوبرى حيث قمت بنفسى ومعى أحد ضباط العمليات من الجيش بقيادة هذه العملية اللازمة؛ لتدعيم الموقف فى هذه المنطقة، وقد تحركت الكتيبة تحت تأثير القصف الجوى المعادى ومعها قائد اللواء ٢٢ مدرع، إلا أن الكتيبة دخلت فى اشتباك مع دبابات للعدو عند وصولها تقاطع طريق ١٢ مع وصلة جنيفة، وتركت سرية منها للتعامل مع هذه الدبابات، واستمرت الكتيبة فى اتجاه كم ١٠٩، وانضمت إلى اللواء ١١٣ ميكانيكى الساعة ١٥٠٠ وتم دفعها خلف عناصر المشاة فى اتجاه جبل غره، وفى الساعة ١٧٣٠ وصلت الكتيبة إلى مسافة ٥ كم من جبل غره، واشتبك معها العدو بقوة سرية دبابات مدعمة بالصواريخ المضادة للدبابات، ودارت معركة حاولت فيها الكتيبة تدمير العدو بالالتفاف على جنبه وتمكنت خلالها من تدمير ٤ دبابات، ٣ عربات نصف جنزير، ٥ عربات مجهزة،

عربة جيب، طائره هليكوبتر أصابتها إحدى الدبابات بدانة شديدة الانفجار، وخسرت الكتيبة ٤ دبابات، وانسحب العدو من الطبقة الزلطية، وفى آخر ضوء تم تجميع الكتيبة جنوب طريق ١٢.

وكانت أبرز أعمال هذا اليوم - يوم ٢٢ أكتوبر - أن صدر قرار القيادة العامة للقوات المسلحة بإيقاف إطلاق النار اعتباراً من الساعة ١٨٥٢ على أن يتم تدمير الدبابات الإسرائيلية التى تتحرك بعد قرار وقف إطلاق النار.

ورغم أننا أبلغنا عن وجود تجمع كبير للدبابات المعادية فى معسكر حبيب الله، إلا أن القيادة العامة أفادت بأن العدو يتجمع للانسحاب، وهو ما ثبت أنه خطأ، حيث إن هذه القوات بدأت باستغلال نجاح الموجات الأولى التى اشتبكت مع قوات الجيش لمواصلة القتال، رغم قرار وقف إطلاق النار حتى أتمت حصار رأس كوبرى الجيش الثالث ومدينة السويس.

ولا أجد فى الحقيقة ما أضيفه إلى ما قلته فى نهاية القسم السابق سوى أنه قد استمر غياب القوات الجوية ودعم القيادة العامة التى استهلكت احتياطياتها على اتجاه الجيش الثانى، كما استمرت القيادة العامة - رغم أن القتال قد وصل إلى مشارف طريق السويس - على اعتقادها أن العدو يبغى الوصول إلى طريق الإسماعيلية، وبالتالى استمرت مجموعة قابيل فى محلاتها خلف الجيش الثانى ورفض قابيل أى شكل من التعاون مع الجيش الثالث؛ لإنقاذ الموقف ومنع حصار الجيش، مع عدم وضوح تبعية الفرقة ٤ مدرعة هل هى مازالت تابعة للجيش الثالث كما كان يقول رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ومعاونوه، أم أصبحت تابعة للقيادة العامة كما كان يقول قائد الفرقة ٤ مدرعة ويؤكد ذلك وزير الدفاع؟ ومن ثم تحملت القوات المتبقية تحت سيطرة الجيش من الفرقة ٤ المدرعة، وأقصد بها الكتيبة ٢٠٧ دبابات من اللواء ٢ المدرع واللواء ٦ مشاة ميكانيكى، مهمة الدفاع المستميت عن مؤخرة الجيش الثالث بالتعاون مع اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى واللواء ١ مشاة ميكانيكى وعناصر الصاعقة والقوات التى دفعتها فرق رأس الكوبرى؛ للتمسك بالساتر الترابى الغربى والدفاع عن المعابر على قناة السويس، وسنأتى فى القسم التالى إلى أعمال هذه القوات تفصيلاً.

القسم الثالث
القتال ضد العدو بعد قرار وقف إطلاق النار

المرحلة الثالثة من القتال ضد العدو غرب قناة السويس، هى مرحلة محاولة صد هجوم العدو وحصر قواته بعد عدم التزام إسرائيل بوقف إطلاق النار كالعادة وتقدمها لتحقيق أهداف العبور غرب القناة، وهو الوصول إلى ساحل خليج السويس وحصار رأس كوبرى الجيش الثالث ومحاولة الاستيلاء على مدينة السويس واستمرت هذه المرحلة من يوم ٢٣ أكتوبر حتى توقف القتال فعليًّا يوم ٢٥ أكتوبر بوصول قوات الطوارئ الدولية للفصل بين القوات.

أحداث يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ :

بانتهاء أعمال قتال يوم ٢٢ أكتوبر كان العدو قد حقق هدفه، ووصل إلى خلف رءوس الكبارى، وأتم السيطرة على جميع محاور الإمداد الطولية من الحد اليسار للجيش حتى شمال طريق السويس، وأصبح له تواجد على طريق السويس بدبابات فردية تقوم بالضرب على الطريق بمنطقة كم ٩٩ و كم ١٠٥.

الساعة ٠٠١٠ أمرت بسرعة احتلال مدينة السويس ودعم القوة المتحركة إليها بقطع مدفعية، كما أمرت كلاً من قائد الفرقة ٧، ١٩ مشاة بتأمين الضفة الغربية والشرقية للقناة مع دفع مجموعات اقتناص دبابات إلى غرب القناة؛ لتدمير دبابات العدو فيها، وقد تمكنت الفرقة ٧ مشاة من تدمير عدد ٩ دبابات للعدو، واستولت على دبابة وعربة نصف جنزير بجوار السكة الحديد.

الساعة ٠٣٥٠ كلفت الفرقة ٦ مشاة مكانيكى بتدمير العدو فى بسطة البحارة

ومشاش البحارة وقسم القاعدة المتقدم والطبقة الزلطية والوصول إلى طريق ١٢ مع دفع سرية مدعمة لحماية مدخل مدينه السويس بالتعاون مع قوة الدفاع الشعبى بها واستمرار التمسك بجبل جنيفة، ولكن موقف الفرقة لم يكن واضحًا نتيجة لأعمال قتال اليوم السابق إلى جانب أن العدو بدأ يدعم قواته فى اتجاه جنوب البحيرات من اتجاه جنيفه، وقد أمرت القيادة العامة بالتعامل مع العدو بأطقم الاقتناص فقط، وألا يسمح بقطع طريق السويس، وأن تعطى الأسبقية فى العمل؛ لفتح طريق السويس وتم التأكيد على قادة فرق النسق الأول لحماية خلف رءوس الكبارى.

حتى الساعة ٠١٠٥ وبناء على بلاغات متعددة اتضح أن للعدو بمعسكر حبيب الله قوة من حوالى ٦٠ دبابة، وفى منطقة جنوب البحيرات حوالى ٣٠ دبابة، وفى الطبقة الزلطيه ٨ دبابات، ويتحرك فى اتجاه السويس على طريق المعاهدة بدبابات فردية وعربات مدرعة.

الساعة ٠٢٤٥ اتصل العميد طنطاوى من هيئة عمليات القوات المسلحة باللواء شاهين رئيس أركان حرب الجيش الثالث، وأبلغه أن الوزير قد أمر بعدم الضرب على معسكر حبيب الله، ولكن يتم اصطياد الدبابات التى تقوم بالضرب على الطرق بعناصر اقتناص دبابات.

اعتباراً من أول ضوء دفعت قوات من اللواء ١ ميكانيكى (٤ دبابات، ٢ نمر) لمحاولة فتح طريق السويس من اتجاه كم ١٠٩ غربًا، كما دفعت كتيبة دبابات من اللواء ٣ مدرع لمحاولة فتح الطريق من اتجاه كم ٩٧ شرقًا، إلا أن طيران العدو لم يمكن القوات من تحقيق أهدافها حتى نهاية اليوم.

ولمقاومة تقدم العدو غرب القناة استخدمت المدفعية فى رءوس الكبارى فى الضرب على العدو بالضفة الغربية، كما دفعت الفرق المشاة ١٩ و ٧، أطقم اقتناص دبابات غربًا للتعامل مع العدو، وطلبت من القيادة العامة دفع وحدات الفرقة ٤ مدرعة إلى الجيش، فأفادت أن الفرقة فى طريقها إلى الجيش.

وفى الساعة ٠٩١٢ تحدثت إلى وزير الحربية، ودارت محادثة طويلة أوضحت له فيها أن الموقف الحالى للقوات غرب القناة كالآتى:

الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى تكاد تكون غير موجودة، وتعمل فى فصائل وسرايا،

جزء فى جبل غره، جزء فى وادى سد الجاموس، جزء فى جبل جنيفة، وجزء فى التبة الزلطية، وأن القصف الجوى شديد، وكانت هناك ٤ طائرات فانتوم تهاجمنا فعلاً وقت المحادثة، كما أخبرته أنه نتيجة للغارات الجوية المكثفة فقد اضطر جزء من قوات المحور الساحلى إلى الارتداد.

وكان العدو قد قام بعد إيقاف إطلاق النار بالهجوم يعززه الطيران على المحور الساحلى، ويوم ٢٢ جمع العدو قواته ليلاً فى رتلين، كلٌ من ٢٥ دبابة، الأول داخل معسكر حبيب الله، والثانى عند علامة كم ٣٠ وصلة جنيفه، وبدأ بدفع جزء من قواته على محاور المعابر، وتم تدمير ٢٦ دبابة بالفرقتين من الشرق؛ لعدم السماح للعدو بالوصول إلى المعابر.

وقاطعنى الوزير بسؤاله عن موقف رءوس الكبارى فقلت له: إن رؤوس الكبارى مؤمنة، ولكن العدو على الضفة الغربية معه ميكروفونات ويذيع نداء: «سلم يا مصرى».

وعاد الوزير يستفسر عن الطيران الذى يقوم بالقصف، هل هو مصرى أم إسرائيلى؟ فأكدت له ـ وكان معى ضابط الدفاع الجوى والمعاونة الجوية ـ بأن الطيران معاد، وعدت أكمل تقريرى عن الموقف فقلت له: إن العدو وصل جسر السكة الحديد جنوب البحيرات بقوة ١٢ دبابة و ٦ عربات نصف جنزير ومعه بعض المشاة، وهناك ٣٠ دبابة فى معسكر حبيب الله وعدد ٦ – ٨ دبابات عند تقاطع على طريق ١٢ لقطع الطريق عند علامة كم ١٠٤ طريق السويس ومشاش البحارة، وإن العدو يجمع دبابات فى جبل غره، ويقوم بضرب قواتنا فى التبة الزلطيه وجبل جنيفه، أما القوات فى رءوس الكبارى فهى ثابتة.

واستفسر الوزير عن موقف الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى والفرقة ٤ مدرعة، فقلت له إن قائد الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى لا يعلم أوضاع قواته، أما الفرقة ٤ مدرعة فجزء منها فى جبل الجربه والباقى مع العميد عبد العزيز قابيل قائد الفرقة ٤ مدرعة فى قطاع الجيش الثانى، وأنهيت تقريرى بأنه لا توجد لدى قوات لتنفيذ أى عمليات تطلب من الجيش؛ لأن كل القوات المتيسرة مشتبكة ضد العدو.

الساعة ١٠٠٠ حرك العدو كتيبة دبابات من اتجاه جبل غره فى اتجاه التبة الزلطيه

وقامت بمهاجمة الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكى، وبمعاونة القصف الجوى اقتحمت الكتيبة المعادية بالمواجهة وعلى كلا جانبى الكتيبة التى اضطرت إلى إخلاء المنطقة المضروبة والتمسك بالجزء الشرقى من التبة الزلطيه.

الساعة ٢١٠٠ كان موقف الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى قد أصبح كالآتى :

●اللواء ١ مشاة ميكانيكى :

* الكتيبة ١ مشاة ميكانيكى متبقى منها حوالى سرية وفصيلة (١٨٠ فرداً و ٩ مركبات توباز ومدفع مضاد للدبابات) تحتل فى مدخل مدينة السويس للدفاع عنها.

* الكتيبة ٣ مشاة ميكانيكى فى التبة الزلطيه، وجارى حصر خسائرها وتجميعها.

* الكتيبة ٢٠ مشاة ميكانيكى غير معروف موقفها.

* كتيبة المدفعية فى منطقة كم ١٠٩ وقوتها ٩ مدافع، ومعها سرية هاون ١٢٠ م غير معروف موقعها (كانت تدعم الكتيبة ٢٠ ميكانيكى).

* كتيبة دبابات غرب منطقة كم ١٠٩ ، والباقى فيها ٧ دبابات.

* فوج مدفعية مضادة للطائرات فى منطقة كم ١٠٩ بقوة ٩ قطع.

* سرية المدفعية المضادة للدبابات، وكانت تدعم الكتيبة ٢٥٦ ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى، دمرت بالكامل .

●اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى :

● فى منطقة وصلة جنيفه كالآتى :

* الكتيبة ٣٣٧ مشاة ميكانيكى متمركزة فى منطقة الوصلة بقوة سرية ميكانيكى و٧ مدافع مضادة للدبابات، و ٢٤ مركبة مدرعة توباز، وفصيلة رشاشات مضادة للطائرات.

* الكتيبة ٣٣٨ مشاة ميكانيكى تبقى منها سرية مشاة ميكانيكى و٤ مدافع مضادة للدبابات، و٧ مركبات توباز.

* الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى فى منطقة وصلة الجيش .

* سرية المدافع المضادة للواء متبقى بها مدفع واحد صالح .

* سرية الهاون ١٢٠ مم تبقى منها ٤ قطع منها ٢ عاطلتان و ٥ أفراد .

* كتيبة دبابات اللواء متبقى بها ١١ دبابة .

● اللواء ٤٣ مدفعية :

● فى منطقة وصلة جنيفه كالآتى :

* الكتيبة ٣٠٧ بها ٦ مدافع مع اللواء ١ مشاة ميكانيكى .

* الكتيبة ٣٠٨ بها ٩ مدافع مع اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى .

* الكتيبة ٣٠٩ بها ٩ مدافع مع اللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى و٦ مدافع مع الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى .

فى الساعة ١٠٢٤ حدثنى الوزير يطمئن على الموقف فقلت له :

«العدو قائم بالضرب الجوى على الضفة الغربية والمعابر والمنطقة المزروعة ، إحنا طلبنا طلعة طيران لضرب تجمع الدبابات » ، فأخبرنى الوزير أنه قد أمر بعمل مظلة جوية فوق الجيش ، فقلت له :

« مظلة إيه اللى فوق أمال إحنا بنضّرب إزاى ، هذه سابع أو ثامن غارة بشكل متصل » .

وأخيرًا ، وبعد أن أصبح الموقف ميئوسًا منه أخبرنى الوزير أنه سيدفع عبد العزيز قابيل ومعه الدبابات إلى الجيش ، وكنت قد فاض بى الكيل ، بعد أن طلبت عودة الفرقة ٤ مدرعة إلى الجيش ومعها عبد العزيز قابيل أكثر من مرة ، ولم يستجب الوزير لطلبى ، حتى أصبح الموقف خارج قدرة أن يصلحه عودة عبد العزيز قابيل وما معه من الدبابات ، فقلت له : « يدفع للجيش بعد إيه ، بعد خراب مالطة » ، ولم يرد الوزير .

الساعة ١٣١٦ : تحدث الوزير مرة أخرى؛ لكى يستفسر عن موقف الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى ومدى إمكانية أن تقوم بالإحاطة بالعدو دون الاشتباك به، فقلت له :

«يا سيادة الوزير اعتبر الفرقة ٦ خارج المعركة وقائد الفرقة بجانبى، الطيران المعادى يقوم بضرب الزيتيات ومصنع السماد، والكفاءة القتالية للفرقة ٦ مشاة ميكانيكى عبارة عن كتيبتين مهلهلتين. إننى أعمل حسب الإمكانيات الموجودة، أنا فاهم سيادتك، ولكن أحيط العدو بأية قوات؟! لايوجد فى يدى قوات، يافندم قائد الفرقة مكلف بمهمة فتح الطريق من يومين وحتى الآن لم يفتح الطريق، إننى أفعل أكثر ما يمكن» .

انسحاب مركز القيادة المتقدم للجيش :

الساعة ١٤٢٠ بدء العدو فى قصف مركز القيادة المتقدم للجيش بتركيز شديد وبموجات متتالية من الطيران حتى الساعة ١٥٢٠ ، وأبلغت مركز القيادة الرئيسى بتولى القيادة مؤقتًا لحين استعادة كفاءة الاتصالات، وقد أمرت القيادة العامة بانتقال مركز القيادة المتقدم إلى مركز القيادة الرئيسى وانتقال مجموعة عمليات إلى رأس الكوبرى؛ للسيطرة على القوات.

فى الساعة ١٩١٥ يوم ٢٣ أكتوبر تقدم رتلان من الدبابات للعدو فى اتجاه مركز القيادة المتقدم للجيش حتى وصلا إلى مسافة ٥٠٠ متر من المركز، أحدهما : يمين المركز بحوالى ٣٠٠ متر والآخر : على يسار المركز بنفس المسافة، ومن حسن الحظ أن الوقت كان ليلاً، وأثناء توقف دبابات العدو لتجميع القوات وتخصيص المهام لها، وفى الوقت نفسه كانت جميع عربات المركز قد دمرت أو أصيبت إطاراتها وفقدت القدرة على التحرك من جراء القصف الجوى المركز، وجاء العقيد ثروت التهامى قائد المركز وقال لى : إن هناك عربة لورى سليمة فى التبة الخلفية، وأنه لايجب السماح بوقوعى فى الأسر، وظهورى فى التليفزيون الإسرائيلى؛ لما لذلك من تأثير نفسى وإعلامى على القوات، فأمرته بتجميع الجنود وحمل مايستطيع من معدات الاتصال بالمركز، واتصلت بالعميد عادل عباس فى مركز القيادة الرئيسى

وأبلغته بتولى القيادة، ثم قمت بتقسيم قوة المركز إلى ثلاث مجموعات، وأمرت بحرق وتدمير مالايمكن حمله من الوثائق، وبعد أن حددنا اتجاه الشمال واتجاهات التحرك أمرت بانسحاب المجموعات بفاصل ١٠ دقائق بين كل مجموعة، وانسحبت كل مجموعة فى اتجاه مختلف عن الأخرى من خلال دبابات العدو المتوقفة، وأصر العقيد مسعد الششتاوى نائب رئيس فرع العمليات والمقدم صلاح محى الدين والمقدم أحمد الشناوى من قيادة مدفعية الجيش على أخذ جميع الوثائق والخرائط وفعلاً قاموا بجمع الخرائط والوثائق فى حقيبتين، وباستغلال الظلام نجحنا فى الوصول إلى طريق السويس، حيث قابلنا عربة فنطاس مياه، فركبناها جميعًا إلى مركز القيادة الرئيسى للجيش، ووصلناه الساعة ٢٣١٥.

ووصل باقى الضباط ومعهم جميع الخرائط والوثائق يوم ٢٦ أكتوبر عن طريق جبل عتاقة.

وبوصولى إلى مركز القيادة الرئيسى للجيش قمت بالاتصال بوزير الحربية الذى هنأنى على سلامة الوصول، وأخبرنى أنه قد اعتقد أننى قد استشهدت، فأرسل اللواء محمد فائق البورينى لتولى قيادة الجيش الثالث، ونجحت فى الاتصال باللواء البورينى الذى كان قد وصل إلى منطقة القطامية، وأخبرته بوجودى بالمركز الرئيسى فهنأنى على سلامتى، وعاد إلى القاهرة.

وخلال باقى اليوم أتم العدو حصار رءوس الكبارى وقطع طريق السويس وحصار مدينه السويس ونقطة التمركز البحرية بالأدبية بعد أن قصف الطريق إليها بالمدفعية والطيران وتقدم إليها بالدبابات بحراً من الخليج، واحتل العدو معسكر الفنجرى جنوب القاعدة البحرية.

أحداث يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

اعتباراً من أول ضوء بدأ تركيز العدو الجوى على أماكن العناصر المتبقية من وحدات الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، خاصة الدبابات والمدفعية.

الساعة ٠٨٠٠ دفع العدو ٢ سرية دبابات من اتجاه عجرود غربًا فى اتجاه تقاطع كم ١٠٩ ، وقد دارت معركة قوية بين هذه القوة والقوات المتبقية فى هذه المنطقة

كانت عبارة عن ٧ دبابات وبعض المدافع من اللواء ١ مشاة ميكانيكى وعناصر قليلة من المشاة، واستخدمت جميع وسائل النيران والمناورة والضرب المباشر بالمدفعية واستمرت هذه القوة فى التمسك بمواقعها حتى الساعة ١٥٠٠ إلى أن تمكن العدو من تدمير جميع الدبابات والمدافع بقوة ٢ سرية دبابات أخرى من اتجاه كم ١٠٢ شرقًا و٢ سرية دبابات وطائرة هليكوبتر للعدو.

الساعة ١٦٠٠ دفع العدو قواته مدعمة بمجهود جوى قوى فى اتجاه منطقة المعسكرات شمال كم ١٠٩ لإتمام تصفية قواتنا، واستخدام لذلك «٢» سريتى دبابات من اتجاه الشمال الغربى، «٢» سريتى دبابات من اتجاه كم ١٠٩، كما دفع فى الوقت نفسه «٢» سريتى دبابات من اتجاه جبل غره إلى التبة الزلطيه و تمكن من تدمير جميع الدبابات والمدافع المتبقية، وقاتلت القوات المتبقية ببسالة وتضحية حتى فقدت قدرتها.

وفى الساعة ١٦٤٥ تمكن العدو من اقتحام القوات المتبقية ومركز قيادة الفرقة ٦ واللواء ١١٣ مشاة ميكانيكى.

وفى اتجاه الأدبية قام العدو بالاقتراب من النقطة من اتجاه السويس بالدبابات ومن الخليج بالقطع البحرية وزوارق الإنزال تحت ستر نيران دبابات، وقد تجاوز العدو منطقة الأدبية جنوبًا فى اتجاه فوج حرس الحدود، وتمكن من تدمير ٤ دبابات للفوج وتوقف تقدمه عند معسكر الفنجرى، وقام بقصف طريق وادى حجول بالطيران، وأمكن الاستيلاء على نقطة تمركز السويس البحرية حوالى الساعة ١٦٠٠.

خلال هذه الأعمال أصدرت الأوامر إلى الفرقة ٤ مدرعة بتأمين المنطقة الخلفية للجيش وتأمين منطقة كم ٨٥؛ لمنع تسرب العدو منها إلى عمق الجيش، وأتمت احتلال النطاق الدفاعى الثانى للجيش.

وخلال هذا اليوم تعرضت قوات شرق القناة لقصف جوى عنيف من الساعة ٠٥٤٥ إلى الساعة ٠٧٠٠ ومن الساعة ١٠٣٠ إلى الساعة ١١٠٠ كذا قصف بالمدفعية والدبابات، إلا إنها تمكنت من إيقاف تقدم العدو من غرب القناة فى اتجاه المعابر.

قام العدو خلال هذا اليوم بإتمام السيطرة على طريق السويس اعتباراً من كم ٩٩ شرقًا، علاوة على المنطقة جنوبه حتى جبل عتاقة، وشماله حتى يسار الجيش،

وأعاد تنظيم قواته فى هذه المنطقة، وقد قامت باقى عناصر الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى الموجودة شمال تقاطع كم ١٠٩ بمحاولة أخيرة للتصدى لأعمال العدو ومنعه من الاستيلاء على هذه المنطقة إلا أن العدو وجه إليها قوات متفوقة، وتمكن فى النهاية من الاستيلاء على تقاطع كم ١٠٩.

الساعة ٢٣٠٠ أمرت بانتقال مركز القيادة الرئيسى للجيش إلى الروبيكى بتصديق القيادة العامة.

يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣:

قام العدو خلال ليلة ٢٤/ ٢٥ أكتوبر بتحركات هليوكوبتر فوق المنطقة التى تمركزت بها قواته، كما قام بتحركات بحرية فى الخليج فى اتجاه القاعدة البحرية.

الساعة ٠٥٠٠ أتم مركز القيادة الرئيسى للجيش الانتقال إلى الروبيكى، وصدقت القيادة العامة على تمركز مركز القيادة المتقدم للجيش فى الجفره، وبدأ تنفيذ الانتقال.

قمت بتشكيل احتياطى الجيش من الكتيبة ٣٣٩ ميكانيكى من اللواء ١١٣ ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى مدعمة بالكتيبة ٢٠٩ دبابات من اللواء ٢ مدرع، وقد تمركزت الكتيبة المشاة الميكانيكى فى مدخل حجول، وتمركزت كتيبة دبابات بمنطقة كم ٨٥ طريق السويس.

الساعة ١٣٤٠ حدثت معركة جوية فوق قطاع الجيش بمنطقة الجفره وشوهد احتراق عدد ٦ طائرات وسقوط «٢» مظلتين، ولم نتمكن من تمييز نوع الطائرات أو التقاط الطيارين.

الساعة ٢٠١٥ قررت القيادة العامة إعادة تجميع الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى، عدا الكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى فى منطقة الهايكستب.

وبنهاية هذا اليوم تقريبا توقفت أعمال القتال غرب القناة، خاصة أن قوات الطوارئ الدولية كانت قد بدأت فى التمركز فى محلاتها؛ للإشراف على إيقاف إطلاق النار، وذلك اعتباراً من الساعة ١٤٠٠ يوم ٢٤ أكتوبر ٧٣، وبدأت مرحلة جديدة باستعادة الكفاءة القتالية للقوات مع المحافظة على الأرض المكتسبة تمهيداً لإتمام تطهير الأرض شرق وغرب القناة من العدو.

القسم الرابع

من صمود السويس إلى فض الاشتباك

فور إعلان قرار الموافقة على وقف إطلاق النار اعتباراً من الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر بناءً على قرار مجلس الأمن، سارعت كل من القوات المصرية والقوات الإسرائيلية بنشر قواتها؛ لكسب المزيد من الأرض قبل موعد وقف إطلاق النار ووصول قوات حفظ السلام الدولية، ولكن إسرائيل كان لها فيما يبدو هدفٌ أكثر أهمية من مجرد الاستيلاء على المزيد من الأرض للأهداف التكتيكية العادية، لقد كانت تسعى إلى الاستيلاء تحديداً على مدينة السويس، ولكن لماذا مدينة السويس ؟

* **السبب الأول :** إن مدينة السويس هى أكبر وأقدم مدن منطقة القناة وأكثرها شهرة عالمية، فهى تلك المدينة التى ارتبط اسمها باسم ذلك الشريان المائى الحيوى «قناة السويس » الذى أصبح من أهم طرق النقل البحرى منذ إنشائه فى القرن الماضى، واسم السويس أيضًا يرتبط بجميع الاستراتيچيات العالمية التى تستخدم مصطلح شرق السويس أو غرب السويس، إذن فالاستيلاء على مدينة السويس سيصبح خبراً إعلاميّا عالميًا سهل التخيل لا يحتاج من المستمع أو القارئ إلى مراجعة خريطة المنطقة لمعرفة مكان الخبر، وناهيك عمَّا لهذا الخبر من تأثير سلبى على الروح المعنوية للقوات المسلحة المصرية والشعب المصرى بل والحكومات والشعوب العربية، كما أن له تأثيراً إيجابيّا على الروح المعنوية للجيش والشعب الإسرائيلى الذى يتوق إلى خبر سار يعوضه عن الأخبار السيئة بالخسائر الفادحة اعتباراً من السادس من أكتوبر، وحتى أثناء معارك الثغرة والقتال غرب القناة، رغم النجاح الإسرائيلى فى تحقيق أهداف عبور قواته إلى غرب القناة.

* **السبب الثانى :** إن الاستيلاء على مدينة السويس يتيح للقوات الإسرائيلية

إحكام حلقة الحصار على قوات الجيش الثالث شرق القناة، وبالتالى يتعاظم الضغط على هذه القوات وعلى القيادة المصرية ممَّا قد يؤدى إلى استسلامها أو استخدامها كورقة ضغط رابحة فى مفاوضات ما بعد وقف إطلاق النار، وبذلك تثبت إسرائيل ومرة أخرى أنها قد استعادت زمام الموقف، فتستعيد ثقة الغرب، علاوة على استعادة ثقة الجيش والشعب الإسرائيلى فى حكومته وقيادته العسكرية التى كانت قد فقدت لقب الجيش الذى لا يقهر.

ولكن أبطال الجيش الثالث الميدانى وشعب مدينة السويس كان لهم رأى آخر وهو ما سنأتى إليه بالتفصيل فى السطور التالية ونحن نرى المشاهد الختامية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ التى لم تنته فى الحقيقة بإيقاف إطلاق النار أو توقف العدو عن تكرار محاولة الاستيلاء على مدينة السويس بعد أن وضح له فداحة الثمن الذى سيدفعه من ضباطه وجنوده ودباباته ومجنزراته.

فعلى جانب قوات الجيش الثالث، لم تنته المعركة بحصار قوات الشرق، وإنما كانت البداية لمسلسل طويل من الإغارات والكمائن بالقوات المتيسرة التى تحيط بالعدو من جميع الأجناب، ولم تمر ليلة واحدة منذ بدأ العدو فى التوغل فى نطاق الجيش الثالث إلا وكان قد تعرض لإغارة من عناصر الصاعقة ومجموعات اقتناص الدبابات التى كانت تدفعها قوات الجيش فى الشرق والقوات التى على اتصال بالعدو غرب القناة، والتى كان يقودها ضباط من كافة الرتب فى مهام انتحارية داخل المناطق التى كان العدو قد وصل إليها، وكثيراً ما كان العدو يضطر إلى تجميع قواته تحت ستار الليل؛ لحمايتها من هذه الإغارات التى كثيراً ما كانت تعود بدبابة إسرائيلية سليمة أو أسير من الإسرائيليين.

والغريب أن بعض هذه الإغارات كانت تقوم بها القوات التى تتعرض لأشد الهجمات والظروف، كالكتيبة ٢٥٦ مشاة ميكانيكى من اللواء ٦ مشاة ميكانيكى، التى قام رئيس عملياتها النقيب مراد الدسوقى بقيادة أكثر من عملية إغارة عاد منها بأسير أو دمر دبابة أو قتل وأصاب أفرادًا للعدو.

وكما شاهدنا فى الأقسام السابقة، واصلت قيادة الجيش الثالث التحليل السليم لتحركات القوات الإسرائيلية غرب القناة ممَّا أدى إلى التوقع السليم لنواياها،

واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمواجهتها، وإحباط نواياها طبقًا للقدرات المتوافرة للجيش فى منطقة غرب القناة خاصة بعد سحب معظم الفرقة الرابعة المدرعة من نطاق الجيش، وعدم تدخلها كفرقة مدرعة تمثل القوة الضاربة للجيش الثالث فى القتال الدائر غرب القناة، وفى مؤخرة الجيش، **وكما كان القرار المبكر السليم الذى اتخذته يوم ١٩ أكتوبر، ونفذته عناصر النقل بالجيش بقيادة العميد مصطفى عبد الجواد بدفع كل ما يمكن دفعه من الاحتياجات من طعام ومياه ووقود وذخيرة للقوات شرق القناة قرارًا صائبًا، كان القرار المبكر بتنظيم الدفاع والمقاومة الشعبية عن مدينة السويس أيضا قرارًا صائبًا.**

ففى صباح يوم ٢٤ أكتوبر وبناءً على أوامر قائد الفرقة ١٩ المشاة العميد يوسف عفيفى، التى تقع مدينة السويس فى قطاع مسئوليتها عبر قائد اللواء الخامس المشاة إلى مدينة السويس فيها، وتم فتح المخازن وتوزيع السلاح والذخيرة على أهالى المدينة وبدأ فى تنظيم المقاومة الشعبية.

ولكن القوات الإسرائيلية كانت أسبق فى الوصول إلى المدينة والبدء فى اقتحامها ونجحت المدرعات الإسرائيلية فى الوصول إلى مبنى المحافظة ومحاصرته، وقام القائد الإسرائيلى بإذاعة النداءات للقوات والشعب المسلح بالاستسلام، ومنع إراقة الدماء، وصعد أحد الجنود الإسرائيليين إلى مبنى المحافظة محاولاً إنزال العلم المصرى من عليه، علامة على انتصار القوات الإسرائيلية فى الاستيلاء على مدينة السويس، ولم يطق الجنود المصريون المنتشرون حول المبنى هذا المنظر؛ وأطلقوا عليه النار فسقط قتيلاً، **وبعد لحظات انطلقت دعوة الجهاد من مئذنة جامع الشهداء بالسويس بصوت الشيخ حافظ سلامة، فانطلق جنود الجيش والشرطة وأفراد المقاومة الشعبية يهاجمون الدبابات حول مبنى المحافظة، ويدمرونها فى شجاعة أسطورية فاضطرت القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب بعيدًا عن مبنى المحافظة.**

وفى الوقت نفسه حاولت القوات الإسرائيلية اقتحام السويس من ناحية منطقة المثلث التى يتقاطع فيها طريق المعاهدة مع طريق السويس ـ القاهرة، فواجهتها قوات المقاومة الشعبية، ودمرت لها العديد من الدبابات؛ فانسحبت إلى خارج المدينة مخلفة وراءها عددًا كبيرًا من القتلى والجرحى والأسرى.

ومن اتجاه شاطئ القناة شمال مدينة السويس، حاولت القوات الإسرائيلية المدرعة اقتحام المدينة إلا أن قوات الفرقة ١٩ المشاة التى كانت قد احتلت الساتر الترابى شرق وغرب القناة تصدت لها ومنعتها من اقتحام المدينة.

استمر العدو فى دفع قوات جديدة الأمر الذى أدى إلى الاشتباك معه وتدمير دباباته وعرباته المجنزرة، وحاول العدو الاستيلاء على الساتر الترابى خلف الفرقة ٧ مشاة خلف السكة الحديد، ولكنه فشل ودمرت له ٩ دبابات و٦ مجنزرات، وتم إيقاف تقدمه بأعمال الكمائن ومجموعات اقتناص الدبابات، وأيقن العدو بعد أن وصلت خسائره إلى ٣٦ دبابة ومجنزرة أن محاولته قد فشلت، فقام بإعادة تجميع دباباته فى معسكر «حبيب الله» شمال مدينة السويس، وقام بتجميع ٣٠ دبابة فى الأرض المجاورة للمعسكر.

وتم اتخاذ إجراءات تقوية الدفاع عن مدينة السويس؛ لمنع سقوطها فى يد القوات الإسرائيلية، التى قد وضحت نواياها فى هذا الاتجاه، فأمرت بدفع سرية دبابات مدعمة من اللواء ١ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٦ مشاة ميكانيكى إلى مدينة السويس؛ لتقوية دفاعاتها بالإضافة إلى سرية صاعقة؛ لتشترك مع الكتيبة ٣٢ دفاع إقليمى وقوات الدفاع الشعبى، كما تم دفع مجموعات اقتناص دبابات من الفرقة ١٩ مشاة بناءً على اقتراح من قائد الفرقة، وتم عبورهم إلى مدينة السويس على آخر جزء من كوبرى الجيش الذى كان قد دمر بواسطة الطيران، كما تم دعم هذه القوات بسرية صواريخ مضادة للدبابات، وتم معاونتها بالمدفعية من شرق القناة ضد القوات الإسرائيلية؛ لتعطيلها وإتاحة الفرصة لقوات السويس لتنظيم الدفاع عن المدينة وإنشاء التحصينات اللازمة حولها.

وتفصيلاً فقد بدأ العدو هجومه فى اتجاه مدينة السويس على عدة محاور:

طريق المعاهدة (الإسماعيلية ـ السويس) و طريق جنيفه و طريق القاهرة ـ السويس وطريق الأدبية، وعندما اقترب العدو من مدينة السويس قوبل بمقاومة شديدة أجبرته على الانسحاب بعيداً عن حوض الدرس، وأعاد تقدمه على طريق جبل عتاقة وميناء الأدبية، فأصدرت أوامرى لتعديل أوضاع الدفاع؛ لقفل المحاور المؤدية إلى السويس من هذه الاتجاهات.

فى الساعة ٢٢٤٢ يوم ٢٣ أكتوبر تقدمت الدبابات الإسرائيلية على الميول الشمالية الشرقية لجبل عتاقة فى اتجاه ميناء الأدبية، وتمكنت من محاصرة الميناء بمساعدة القوات البحرية الإسرائيلية، التى قامت بالهجوم بالإبرار البحرى على نقطة التمركز البحرية، وخلال ساعة كان قد تم احتلال معسكر الفنجرى.

واعتباراً من أول ضوء يوم ٢٤ أكتوبر أبلغت مجموعات الاستطلاع عن نية العدو فى الهجوم على مدينة السويس بلواء مدرع على عدة محاور تحت حماية القوات الجوية الإسرائيلية، وفى الساعة ٨٣٠ يوم ٢٤ أكتوبر ظهرت أرتال العدو المتقدمة من اتجاه معسكر الشلوفة على طريق المعاهدة تعاونها القوات الجوية بالهجوم المركز على المدينة والعناصر المدافعة عنها، وتصدت عناصر الدفاع عن النطاق الخارجى للمدينة ومجموعات اقتناص الدبابات لهذه القوات ببسالة ونجحت فى تدمير ٩ دبابات مما أربك العدو الذى كان يظن أن الطريق قد أصبح مفتوحاً إلى المدينة، فتوقف عن التقدم.

فى الساعة ١١٠٠ كرر العدو الهجوم مرة أخرى من اتجاه طريق القاهرة ـ السويس فى اتجاه شارع الجيش (المدخل الرئيسى للمدينة) كما قامت كتيبة دبابات إسرائيلية بالهجوم من اتجاه طريق القناة، وتمكنت من الاستيلاء على الساتر الترابى الغربى للقناة من جنوب البحيرات إلى حوض الدرس، وقامت قوات الفرقة ١٩ المشاة بتوجيه ضربات عنيفة لهذه القوات مستخدمة نيران المدفعية، ومجموعات اقتناص الدبابات، وتوقفت القوات الإسرائيلية عن التقدم نتيجة لخسائرها الفادحة خاصة فى منطقة الملاحات وحوض الدرس الذى يقع على مسافة ٧ كم شمال بور توفيق.

وفى اليوم نفسه حاولت قوة من المظلات تقدر بحوالى لواء تعاونها الدبابات اقتحام مدينة السويس عبر شارع الجيش، ومحاولة الاستيلاء على قسم شرطة الأربعين، فتصدت لها مجموعات اقتناص الدبابات وعناصر المقاومة الشعبية، وخسر العدو فى هذه المعركة ٩٦ قتيلاً منهم نائب قائد لواء المظلات، ثم حاول العدو الهجوم من اتجاه طريق القاهرة ـ السويس على محور غرب السكة الحديد، ومرة أخرى تصدت له عناصر المقاومة الشعبية ومجموعات اقتناص الدبابات، ودمرت له دبابتين و٤ عربات مجنزرة وعدد من العربات المحملة بالذخائر.

وخلال هذه المعارك البطولية دأب العدو على استخدام مكبرات الصوت والمنشورات من الطائرات لدفع القوات والشعب إلى التسليم، وكان الرد فى كل مرة هو المزيد من الهجمات الانتحارية على قواته والمزيد من الخسائر من القتلى والجرحى والمعدات المدمرة والمحترقة فى مشاهد تعكس الوطنية والفداء للمواطن المصرى الأصيل.

وفى يوم ٢٥ أكتوبر تم تعزيز المدينة بالمزيد من مجموعات اقتناص الدبابات التى زادت من نشاط المقاومة وأعمال التسلل إلى مناطق تجميع العدو والإغارة عليها مسببة المزيد من الخسائر، فلجأ العدو إلى قطع المياه عن المدينة؛ لإجبارها على التسليم، وقام بردم ترعة السويس من جنوب فايد وتحويل المياه إلى البحيرات المرة، ولم تهدأ قوات الجيش الثالث وفدائيو السويس وأفراد منظمة سيناء، وانتهزت مناسبة عيد الفطر الذى وافق يوم ٢٦ أكتوبر، وفاجأت العدو بالهجوم على مواقعه فى المثلث ومنطقة الأستاذ، كما قامت المدفعية بضرب تجمعاته فى منطقة الشلوفة.

وإزاء تلك الخسائر المتتالية ووضوح صلابة المقاومة دفاعًا عن مدينة السويس وتدخل مدفعية الجيش من شرق القناة لضرب تجمعات العدو أثناء عملية إعادة تجميع قواته بعد كل فشل فى اقتحام المدينة اضطر العدو إلى الانسحاب غربًا بعيدًا عن نيران المدفعية وعناصر اقتناص الدبابات، واحتل المناطق المسيطرة على مداخل المدينة، وقامت قواته الجوية بتركيز نيرانها على المدينة والقوات شرق وغرب القناة.

على الرغم من أن العدو كان قد تمكن من حصار قوات رأس الكوبرى للجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس، إلا أن رأس كوبرى الجيش الثالث كان لايزال فى أوضاعه التى انتهت بها أعمال قتال مرحلة التطوير، حيث يمتد من رأس مسلة جنوبًا إلى كبريت شمالاً وبعمق ١٥ كيلومتر شرقًا، وحيث تقاتل الفرقتان ١٩ و٧ مشاة بنجاح، وتتمسكان برأس الكوبرى شرق القناة والساتر الغربى المشرف على المعابر غرب القناة، وتواصل الإغارات الليلية بمجموعات اقتناص الدبابات والقصف بالمدفعية على العدو، وعلى الجانب الغربى لقطاع الجيش الثالث، كانت الفرقة ٤ المدرعة تحيط بالعدو من اتجاه الغرب على النطاق الدفاعى الثانى، وقد تم دعمها بلواء مدرع جزائرى، كما كان اللواء المغربى يحتل قطاع بير عديب.

الخطة الأولى لإمداد القوات المحاصرة :

وتم استدعائى إلى القيادة العامة فى القاهرة؛ لبحث أسلوب إمداد القوات فى رأس الكوبرى شرق القناة، واقترح الفريق أول أحمد إسماعيل دفع ١٥٠ جمل إلى قوات الشرق، فقلت له : «إن هذا غير ممكن، فماذا يمكن أن تحمله قافلة من ١٥٠ جمل، وكيف تصل والعدو يسيطر على طريق السويس؟»، فاقترح أن يكون الإمداد عبر الوديان والدروب فى جبل عتاقة، فقلت له : « إن هذا غير ممكن حيث إن القوات الإسرائيلية تسيطر على كافة القطاعات من الأدبية حتى منطقة نفيشة جنوب مدينة الإسماعيلية» .

وتطورت الفكرة إلى دفع قول مجنزر يحمل الإمدادات إلى القوات المحاصرة، على أن تقوم الفرقة ٤ مدرعة بحمايته، فقلت له: وهذا أيضًا غير ممكن حيث سيتم اكتشافه بسهولة وتدميره أو الاستيلاء عليه، وهنا احتد الوزير وقال : «هو أنا كل ماقول لك حاجه تقول لى ماينفعش »، فقلت له : « أنا مستعد لتنفيذ أى مهمة، ولكن يجب أن تكون مهمة صحيحة، ولا تتسبب فى مزيد من التدمير لقواتنا»، ثم كلفنى الوزير بفتح طريق السويس بالفرقة ٤ مدرعة فقلت له: «إن قوة الفرقة ٤ مدرعة المتيسرة غير كافية لتنفيذ هذه المهمة، فكل المتبقى بها ١٣٨ دبابة واللواء ٦ مشاة ميكانيكى متبق به أقل من كتيبتين، بينما العدو الموجود فى القطاع ٥ لواء مدرع وميكانيكى تدعمهاً ١٠ كتائب مدفعية غير الصواريخ المضادة للدبابات، أما احتياطى قائد الجيش فهو كتيبة مشاة ميكانيكى وكتيبة دبابات غير كاملة أى أن المقارنة فى القوات ١ : ٣ فى الدبابات والمشاة غير المدفعية»، وأصر الوزير على رأيه، فقلت له: إننى سوف أخصص المهمة للعميد عبد العزيز قابيل .

ويصف الفريق سعد الشاذلى فى كتابه (حرب أكتوبر ص ٢٧٥) ما حدث بعد ذلك فيقول :

«الساعة ١١٠٠ يوم ٢٦ أكتوبر حضر العميد عبد العزيز قابيل قائد الفرقة الرابعة المدرعة إلى المركز ١٠ (مركز العمليات) ليعرض قراره، وكان تقرير العميد عبد العزيز قابيل، يؤيده فى ذلك اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث، وهو أن

الفرقة الرابعة المدرعة لا تستطيع أن تقوم بتنفيذ المهمة، كان كلام قابيل وعبد المنعم واصل كلامًا منطقيًا يعتمد على قواعد وأصول العلم العسكرى، ولم أكن أنا شخصيًا أتوقع غير ذلك منذ يوم ٢٣ أكتوبر.

ولكن الوزير - والكلام لايزال للفريق سعد الشاذلى - أخذ يحاور قابيلاً محاورات غريبة، وهنا قال قابيل: إننى وضباط وجنود الفرقة جميعهم مستعدون للقيام بهذه العملية الانتحارية، ولكننى لا أعتقد أننا سننجح فى فتح الطريق إلى القوات المحاصرة بعد ذلك، وإذا دمرت هذه الفرقة، فسيكون الطريق مفتوحًا أمام العدو إلى القاهرة.

فقال الوزير: «إذن تعدل المهمة من فتح طريق السويس إلى حماية القوات الإدارية التى تتحرك من القاهرة إلى الجيش الثالث عبر المسالك والطرق الثانوية، وعلى أثر ذلك ألغيت المهمة، ولم تنفذ».

أحداث يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣:

أبلغت عناصر الاستطلاع عن وجود لواء مدرع للعدو، تقدر قوته بحوالى ١٣٠ دبابة فى منطقة سدر الحيطان شرق ممر متلا، وتوقعت إدارة المخابرات قيام العدو بهجوم مضاد على قوات رأس الكوبرى، وفى الوقت نفسه كان العدو يواصل هجماته الجوية على القوات فى رأس الكوبرى، ويركز على المعابرعلى قناة السويس وتمكن فعليًا من تدمير العديد منها باستخدام النابالم.

الساعة ١٩٣٠ وجه وزير الحربية الرسالة التالية لقوات الجيش الثالث:

«من القائد العام إلى الجيش الثالث «تحياتى» يحيى الشعب فيكم البطولة والشجاعة فردًا فردًا، تسير الأمور فى صالحكم من جميع النواحى».

أحداث يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣:

الساعة ٠٢٠٥ أفادت هيئة العمليات أن اللواء السودانى قد دخل ضمن تجميع المنطقة المركزية العسكرية وليس الجيش الثالث، وأمرت بقيام الجيش الثالث بإمداد

قوات رأس الكوبرى ليلاً، وعلى دفعات مع الاستمرار فى تأمين النطاق الدفاعى الثانى على أن يبدأ الإمداد اعتبارًا من ليلة ٢٧ / ٢٨ أكتوبر، كما أفادت هيئة العمليات بأنه عند صدور الكلمة الكودية «صقر» تقوم جميع القوات فى جميع القطاعات بالضرب على العدو فى مواجهتها بالضرب المباشر والمدفعية؛ لإحداث أكبر خسائر فى قوات العدو.

الساعة ٠٨٠٠ صدرت التعليمات بوضع قوات رأس الكوبرى شرق القناة تحت قيادة العميد أحمد بدوى قائد الفرقة ٧ المشاة؛ للسيطرة على الإمداد الإدارى وتوحيد جهة التعامل مع قوات الطوارئ الدولية، وبدأ التخطيط لتصفية الجيب الإسرائيلى غرب القناة.

التخطيط لتصفية الجيب الإسرائيلى غرب القناة:

توقفت الهجمات الإسرائيلية بالوحدات المدرعة والميكانيكية بعد أن وصلت القوات الإسرائيلية إلى الأدبية، وفشلت فى احتلال مدينة السويس، فاكتفت بحصار قوات الجيش الثالث شرق القناة ومدينة السويس والسيطرة على طريق القاهرة ـ السويس وإن كانت استمرت فى التراشق بنيران الدبابات والمدفعية مع قواتنا المحاصرة فى نقطة كبريت بقيادة الشهيد العقيد إبراهيم عبد التواب، وهو آخر شهيد فى حرب أكتوبر، والقوات شرق القناة، لدفعها إلى استهلاك ذخيرتها و إنهاكها، ولكن قواتنا ازدادت صلابة ـ كعادة الشعب المصرى ـ وبدأت فى مبادلة العدو فى العمليات الليلية بالإغارة على قواته غرب القناة مما اضطره إلى سحب معظم القوات ليلاً خلف التباب والهيئات لحمايتها، مع ترك قوات لتأمين مواقعه الدفاعية فى المناطق المستولى عليها، واكتشفت قواتنا هذا الأسلوب فزادت من هجماتها التى كثيرًا ما أسفرت عن قتلى وأسرى والاستيلاء على معدات إسرائيلية.

ومع ثبات القوات فى أوضاعها الدفاعية شرق وغرب القناة، بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة فى التخطيط لعملية تصفية القوات الإسرائيلية غرب القناة، وفك حصار الجيش الثالث ومدينة السويس.

وسنلاحظ فى عرضنا لتطور الخطط الهجومية لفك الحصار وتصفية الثغرة أن هذه الخطط قد تطورت من حيث القابلية للتنفيذ والواقعية بناءً على العوامل الآتية:

* مدى استعادة القوات التى تأثرت بالقتال فى الفترة السابقة؛ لكفاءتها القتالية واستعواض ما فقدته من الأسلحة والمعدات والذخيرة بعد أن قام الاتحاد السوفييتى بعمل جسر جوى متصل لإنقاذ الموقف.

* وصول بعض الوحدات من الدول العربية ودفعها إلى ميدان القتال كما حدث مع لواء مدرع جزائرى، أوالاحتفاظ بها كاحتياطى ودفع جزء من الاحتياطى إلى الجبهة كما حدث مع لواء مشاة سودانى، أو تكليفها بمهام تأمين ودفاع لسحب القوات المصرية ودفعها لمواجهة العدو فى الثغرة، كما حدث مع اللواء المشاة المغربى.

*** أما أهم هذه العوامل جميعًا، فقد كانت عودة القيادة السياسية إلى الانشغال بمهامها السياسية والدبلوماسية فى المفاوضات الدائرة لإمداد الجيش الثالث ومدينة السويس وعودة القوات إلى الخطوط التى كانت عليها القوات ساعة تنفيذ قرار وقف إطلاق النار، أى الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر، وبذلك تركت القيادة السياسية للقيادة العسكرية التصرف فى الموقف الذى أوصلت القوات المسلحة إليه بتدخلها فى قرارات القيادة العامة للقوات المسلحة، ومن ثم بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة فى تجميع شتات فكرها مرة أخرى، والتفكير فى كيفية التغلب على الوضع الذى كان يهدد بإجهاض النجاح الأول لحرب أكتوبر، وكان أهم ما بدأت به القيادة العامة عملها فى التخطيط هو استطلاع رأى قادة الجيوش ومعرفة تصورهم للتخطيط المناسب لتصفية الثغرة، قبل الأمر بإعداد هذا التخطيط كخطة ملزمة واجبة التنفيذ.**

ولاشك أن صمود قواتنا فى رأس الكوبرى شرق القناة وداخل مدينة السويس، وصمود قوات نقطة كبريت التى حوصرت من جميع الجهات أثناء مرحلة حصار الجيش الثالث، بالإضافة إلى وضوح نية إسرائيل فى عدم العودة إلى خطوط يوم ٢٢ أكتوبر كان لهم جميعًا أثر كبير فى إصرار القيادة العامة على تخطيط عملية هجومية حاسمة؛ لتصفية الجيب الإسرائيلى غرب القناة، وفك حصار الجيش الثالث ومدينة السويس.

الخطة واصل:

فى يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣، تم استدعائى إلى القاهرة؛ لحضور مؤتمر فى القيادة

العامة، وعند وصولى وجدت اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثانى موجودًا مع الوزير وهيئة القيادة، وبمجرد دخولى وبعد أن انتظم المؤتمر، بدأ وزير الحربية الحديث قائلاً :

«عبد المنعم خليل ليس له ذنب فيما حدث للجيش الثانى، ولذلك نحن نريد أن نأخذ منه ١٠ كيلومتر؛ من المواجهة، ويأخذها الجيش الثالث».

فقلت له : «أولاً اللواء عبد المنعم خليل هو قائد الجيش الثانى، ثانيًا الموضوع ليس من هو المسئول عن الثغرة، هل من المعقول أن تزيد مواجهة الجيش المحاصر ١٠ كيلومترات لأن اللواء عبد المنعم خليل ليس له ذنب فى ما حدث، يافندم نحن لانجد قوات؛ لكى نحارب بها»، وأصر الوزير على رأيه وبالتالى زادت مواجهة الجيش الثالث غرب القناة بمسافة ١٠ كيلومترات.

ثم كلفنى الوزير بالمهمة واصل التى كانت تتلخص فى الآتى :

دون اهتزاز النطاق الدفاعى الثانى، يقوم الجيش الثالث بدفع مجموعة لواء من وادى حجول للاستيلاء على الأدبية والخليج، ثم يتابع التقدم للاتصال برأس كوبرى الجيش.

فقلت له : « أنا قلت لسيادتك لا يمكن تنفيذ عمل كهذا؛ لأن كل ما لدى ١٣٨ دبابة والعدو له ٥ لواءات مدرعة بخلاف المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات، وأنا عندما أسحب مجموعة لواء سيكون لواء اسمًا فقط وليس فعلا، ثم كيف لا يهتز النطاق الدفاعى الثانى».

وبعد انتهاء المؤتمر تسلمت مظروفًا مغلقًا وانصرفنا، وأثناء عودتى إلى قيادة الجيش، فتحت المظروف، ووجدت به نفس المهمة الغير ممكن تنفيذها، التى أطلق عليها الخطة واصل، وبعد فترة من وصولى إلى قيادة الجيش، اتصل بى اللواء الجمسى، وأبلغنى بإلغاء المهمة.

الخطة شامل وتطورها إلى شامل ٢ ثم شامل ٢ المعدلة :

وبناء على توجيهات من القيادة العامة للقوات المسلحة بوضع الخطة شامل

للهجوم على قوات الثغرة وتصفيتها، واستعادة السيطرة على غرب القناة، ثم العبور مرة أخرى إلى شرق القناة، قام كلّ من الجيش الثالث والجيش الثانى بإعداد الخطوط العريضة لخطة تصفية الجيب الإسرائيلى غرب القناة، كلٌّ فى نطاقه كما وضع كلٌّ من الجيشين مطالبه لضمان نجاح تنفيذ الخطة، وكان أهم ما طلبته من القيادة العامة هو عودة الفرقة ٤ المدرعة إلى محلاتها، والعمل تحت قيادة الجيش الثالث مرة أخرى، وسرعة استعادة الكفاءة القتالية للفرقة ٦ مشاة ميكانيكية، كما طلبت دعم القيادة العامة لتأمين الأوضاع الدفاعية على النطاق الثانى الدفاعى عند القيام بالعملية الهجومية، خاصة أن حجم العدو فى نطاق الجيش الثالث أكبر منه فى نطاق الجيش الثانى، وكان أبرز ما طلبته من القيادة العامة أثناء عرض خطة الجيش الثالث لتصفية قوات الجيب الإسرائيلى هو تحديد القوات والقيادة المسئولة عن تأمين الفاصل بين الجيشين الثانى والثالث، والتى تصل إلى ٣٠ كيلومتر غرب البحيرات المرة، ومع اقتناع اللواء محمد عبد الغنى الجمسى بمطالبى ومقترحاتى وأهميتها فى أن تكون الخطة شاملة فعلاً، وتتجنب عيوب الفترة السابقة، تم وضع خطة جديدة هى الخطة شامل ٢ المعدلة، وعين قائداً لها اللواء سعد مأمون الذى كان قد عين مساعداً لوزير الدفاع بعد شفائه من الأزمة القلبية.

وتلخصت الخطة شامل ٢ المعدلة التى تم تخطيطها طبقًا لمطالبى ومقترحاتى فى الآتى (الخريطة رقم ١٩) :

● **قوات حصار وتأمين :**

* اللواء المغربى فى بير عديب على خليج السويس.

* اللواء ٦ مشاة ميكانيكى ولواء مدرع جزائرى والكتيبة ٣٣٩ مشاة ميكانيكى من اللواء ١١٣ على النطاق الدفاعى الثانى من جبل عتاقة حتى المدقات ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤.

* اللواء ١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢١ المدرعة واللواء ١٥٠ مظلات واللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى تحتل المنطقة من غرب جبل شبراويت إلى جنوب الإسماعيلية.

قوات لتوجيه الضربة لتدمير القوات الإسرائيلية فى الجيب غرب القناة :

* الفرقة ٤ المدرعة توجه ضرباتها فى اتجاهى الشط وجنوب البحيرات .

* الفرقة ٣ مشاة ميكانيكى توجه ضرباتها فى اتجاهى فنارة وفايد .

* الفرقة ٢١ المدرعة توجه ضربتها فى اتجاه الدفرسوار .

وكان الهدف الأولى للخطة شامل هو تدمير القوات الإسرائيلية فى منطقة الجيب الإسرائيلى غرب قناة السويس والوصول إلى الضفة الشرقية للقناة مرة أخرى، أما الهدف النهائى لهذه الخطة فكان استغلال النجاح وتطوير الهجوم شرق القناة للوصول إلى الممرات الجبلية .

والملاحظ على هذه الخطة أنها تقع كلها فى قطاع الجيش الثالث بعد تعديل حدوده؛ ليصل حده الأيسر إلى جنوب الإسماعيلية بعد أن كان ينتهى عند فايد، وكان الهدف من ذلك هو توحيد قطاع العمل والقيادة حتى نتجنب مشاكل التنسيق على مستوى الجيشين الثانى والثالث واحتياطيات القيادة العامة وقوات الأفرع الرئيسية خاصة القوات الجوية وقوات الدفاع الجوى .

لماذا لم يتم تنفيذ الخطة شامل ٢ المعدلة :

بعد أن وضحت مماطلة إسرائيل فى تنفيذ إمداد قوات الجيش الثالث شرق القناة، ومدينة السويس، وبعد اكتمال استعداد القوات لتنفيذ الخطة شامل تحدد أول فبراير ١٩٧٤ للبدء فى تنفيذ هذه الخطة؛ للقضاء على قوات الجيب الإسرائيلى غرب القناة واستعادة الضفة الشرقية للقناة حتى الممرات الجبلية، وبناء على متابعة أجهزة المخابرات الأمريكية للموقف على جبهة قناة السويس، وبعد تصاعد الأزمة الديبلوماسية بين أمريكا وروسيا ووصولها إلى حافة المواجهة المسلحة قبل أن تتراجع روسيا عن نواياها لدفع قواتها إلى المنطقة، ونتيجة لوضوح موقف القوات الإسرائيلية فى الجيب غرب القناة وإحاطتها بالقوات المصرية من كل جانب، والنشاط القتالى اليومى الذى استمر فى إنزال الخسائر بأفراد العدو ومعداته غرب القناة، تقدم وزير الخارجية الأمريكى بطلب لمقابلة الرئيس أنور السادات، وأخبره أن الولايات المتحدة الأمريكية على علم بنية القوات المصرية فى الهجوم على القوات

الإسرائيلية غرب القناة لتدميرها، وقال له إن الولايات المتحدة لن تسمح بتفوق السلاح السوفييتى على السلاح الأمريكى كما حدث فى العبور، وطلب منه عدم تنفيذ الهجوم الشامل، ووعده بأن الولايات المتحدة ستستخدم نفوذها لضمان انتظام إمداد قوات الشرق ومدينة السويس وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى شرق القناة.

وخلال الأيام التالية بدأت محادثات فصل القوات بإشراف الأمم المتحدة ـ والتى سميت بمحادثات الكيلومتر ١٠١ ، وإن كانت منعقدة فعلاً عند علامة كم ١٠٣ طريق السويس القاهرة ـ تأخذ مساراً أكثر جدية إلى أن انتهت بتوقيع اتفاقية الفصل بين القوات فى ١٧ يناير ١٩٧٤ ،

وانتهت بذلك أعظم حروب مصر فى التاريخ المعاصر بتحرير سيناء المغتصبة وعودتها إلى الوطن الأم، بعد أن استكملت الديبلوماسية العمل العسكرى البطولى الذى قام به مئات الآلاف من الرجال على مدى الفترة من ٩ يونيو ١٩٦٧ حتى نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة.

وفى ٢٥ أبريل ١٩٨٢ تم استكمال تحرير سيناء وجلاء القوات الإسرائيلية عنها.

لقد كانت حرب أكتوبر حربًا فريدة من نوعها حيث دار القتال خلالها على مواجهة واسعة وأعماق كبيرة، واستخدمت فيها جميع القوات البرية و البحرية والجوية وقوات الدفاع الجوى، كما شهدت ظهور وحدات الحرب الإلكترونية كعنصر فعال فى الحرب، وعلاوة على ذلك فقد شهدت حرب أكتوبر استخدام مختلف أساليب القتال من الدفاع إلى الهجوم إلى الهجمات والضربات المضادة وأعمال الحصار والتطويق.

كما ظهرت خلالها الأهمية الكبرى للقيادة والسيطرة على القوات وأهمية دور عناصر الاستطلاع فى سرعة وصحة القرارات المتخذة.

ومع كل هذا يبقى الدور الأكبر لمعدن الرجال وصلابتهم ومدى قدرتهم على تحمل الظروف القاسية، وفى هذا الميدان أشهد لرجال الجيش الثالث الميدانى الذين كانوا رغم كل الظروف رجالاً شجعانًا أثبتوا فى جميع المواقف أنهم أهل للدفاع عن هذا البلد الحبيب.

الدروس المستفادة

بعد هذا العرض الطويل لقصة الصراع العربى الإسرائيلى على مدى الفترة منذ عام ١٨٨٢ ، وربما قبل ذلك وحتى نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وعلى الرغم من أننى أعتقد أن قارئ هذا الكتاب بما احتوى عليه من ذكريات ومذكرات وتحليلات وآراء، سوف يصل بنفسه إلى الدروس التى يجب أن نخرج بها من أحداث الحروب والصراع مع إسرائيل التى حاولت جاهداً أن استكمل بياناتها وتفاصيلها بالاطلاع على ما كتبه الصديق والعدو فى هذا المجال، إلا أننى جريّا على عادة العسكريين عندما يعدون بحثًا أو تقريراً فينهونه بالدروس المستفادة، وحتى تكتمل الفائدة من هذا الكتاب، سوف ألخص فى السطور التالية ما أتصوره الدروس المستفادة الحيوية من أحداث الصراع العربى الإسرائيلى .

إن إسرائيل قد قامت منذ أكثر من ٥٣ عاما، وخلال هذه الفترة دارت رحى أربع حروب شاملة بينها وبين العرب، بدأت بحرب ١٩٤٨ ، وانتهت بحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ولكن إذا دققنا فى الأوضاع الحقيقية طوال هذه الفترة، سنجد أن الوضع فى المنطقة العربية منذ أن بدأت أعمال الهجرة والاستيطان اليهودية فى فلسطين وحتى اليوم الذى تقرأ ـ عزيزى القارئ ـ فيه هذا الكتاب، هو فى الحقيقة حالة دائمة من الحرب من إسرائيل ضد العرب، ولا يقلل من حقيقة وجود هذه الحرب فترات الهدنة التى شهدتها الأربعينيات والخمسينيات، أو قرارات وقف إطلاق النار التى شهدتها الستينيات والسبعينيات، أو حتى معاهدات ومؤتمرات السلام ومبادرات الدول الكبرى فى الثمانينيات والتسعينيات، كما لا يقلل من حقيقة وجود هذه الحرب عدم توجيه إسرائيل للضربات الجوية الشاملة وعبور الطوابير المدرعة للحدود المشتركة، والاستيلاء على الأراضى السورية أو اللبنانية أو الأردنية أو المصرية، وإلا فما هو الوصف المناسب لمجمل الأعمال العسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين فى الأرض المحتلة وضد المواقع السورية فى لبنان، ومن قبل ضد المنشآت العراقية، **إنها فى الواقع الحرب وإنما بأسلوب حديث لا يثير المجتمع الدولى، ويسبب الإحراج للدول الكبرى، وربما يضطرها إلى إصدار الإنذارات والتهديد بإرسال القوات كما حدث من قبل مع أمريكا وروسيا فى حروب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣ .**

ومن ثم على العرب مهما كانت علاقاتهم بإسرائيل قد اتخذت شكلاً أو آخر من أشكال السلام أن يكونوا على يقين من أن هناك وقتًا سنحتاج فيه جميعًا إلى المواجهة العسكرية، هذا إذا أردنا، فإن لم نرد فستستمر المنطقة فى حالة العربدة الإسرائيلية المعتمدة على تقييد بعض دول المنطقة بالمعاهدات والتعهدات والعلاقات. . . الخ، للانفراد بالشعب الفلسطينى.

على العرب فى البداية أن يتفقوا على تحديد واضح للقضية من خلال الإجابة على سؤال حتمى ومصيرى **«هل القضية عربية أم هى قضية فلسطينية أم هى قضية إسلامية ؟»**، وأعتقد مخلصًا أن الإجابة الأمينة على هذا السؤال سوف تحدد إلى درجة كبيرة شكل المواجهة مع إسرائيل وطبيعة العلاقات مع من يدعمها أو يعاونها أو يساندها، وكلما كان التحديد جديًا والاتفاق عليه واضحًا، كلما كان الموقف العربى محددًا بما يمنع المناورات السياسية والوعود الكاذبة والتصريحات الفضفاضة المشروطة بما يفرغها من محتواها.

ولكى نكون واضحين مع أنفسنا وشعوب الأمة العربية يجب ـ على الأقل ـ أن نتفق على مبدأ مهم وأساسى لمعرفة الطريق العربى نحو السلام العادل، هذا المبدأ هو **متى سيضطر المجتمع العالمى إلى إجبار إسرائيل على الالتزام بالقرارات الدولية والتخلى عن دعاوى العنصرية واستخدام القوة، والإجابة بسيطة وواضحة، عندما يوقن العالم أن هناك موقفًا عربيًا واحدًا وواضحًا وجادًا، وأن هذا الموقف سيؤثر بالقطع على مصالحه مع الدول العربية** ولنا فى استخدام سلاح البترول أثناء حرب أكتوبر المثل الواضح على ذلك.

لقد أثبتت أحداث الحقبة الماضية منذ بدء إنشاء إسرائيل، وحتى الآن عدة نقاط لا اختلاف عليها:

* **الغرب** هو الذى أنشأ إسرائيل، ودعمها بالمال والسلاح والمتطوعين والمهاجرين.

* **والغرب** هو الذى وقف دائما لحماية إسرائيل فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن واستخدم أو هدد باستخدام حق الاعتراض (الفيتو)؛ لإجهاض أى محاولة لإدانة إسرائيل مهما كان العمل الذى اقترفته.

* **والغرب** على استعداد دائمًا لتوقيع أقصى العقوبات على الدول التى تنتهك القانون الدولى أو سيادة الدول على أراضيها أو المساس بالحريات الدينية أو حرية الرأى، أو تمارس الاغتيالات والإرهاب، وهو نفسه الذى لا يتطرق إلى ذهنه أبدًا أن يدين إسرائيل لأى ممارسات مما سبق ذكرها إذا فعلتها إسرائيل بصرف النظر عن حجم الممارسات، وما استخدم فيها من وسائل الدمار.

لاشك أن السلام هو الهدف المنشود لكل الشعوب، حيث يمكن تنمية المجتمع وتطويره وتحسين حالة الشعب، ولكى نصل إلى هذا الهدف يجب أن نستذكر جيدا الدروس المستفادة من الصراع العربى الإسرائيلى التى قد تكون ذات فائدة فى جعل العرب أكثر قوة للدفاع عن حقوقهم :

على المستوى السياسى العسكرى :

الدرس الأول : أهمية تحديد الهدف من الحرب :

فى حرب ١٩٤٨، اجتمع القادة العرب وقرروا دخول حرب ضد إسرائيل، ولكنهم لم يحددوا هدفًا واضحًا أو مقبولاً، كما لم يتم التنسيق بينهم حول القيادة العسكرية للحرب، ومن ثم كما رأينا فى الحديث عن هذه الحرب، كانت معارك حرب ١٩٤٨ عبارة عن مجموعة من المعارك المنفصلة للجيوش العربية بدون خطة استراتيجية محددة أو هدف واضح، بل إن الملوك والأمراء والرؤساء العرب كانوا هم الذين حددوا للجيوش العربية خطوطًا عامة للوصول إليها دون إجراء أى تنسيق للجهود أو المهام التفصيلية للقوات، ومن الغريب أن مهمة الجيش المصرى قد حددت دون حضور أى من ضباط القيادة المصرية لاجتماع وزراء الدفاع العرب الذى تحددت فيه المهام بشكل تفصيلى، وبالتالى كانت نتيجة الحرب هى انفراد القوات الإسرائيلية بكل جيش دولة حتى الإجهاز عليه، ثم التحول إلى الدولة الأخرى.

وكان هذا هو ما حدث فى حرب يونيو ١٩٦٧ من القيادة المصرية التى صعدت الموقف دون أن يكون لديها هدف عسكرى محدد للحرب التى أصبحت وشيكة

على الاندلاع، حتى أصبح العمل العسكرى المصرى أشبه بالمظاهرة العسكرية عديمة الهدف.

الدرس الثانى: متى نوقف إطلاق النار:

وضح فى جميع الحروب التى نشبت بين إسرائيل والدول العربية أن إسرائيل لا تلتزم بقرارات الهدنة أو وقف إطلاق النار، حيث تواصل قواتها تحقيق مهامها، وربما أكثر من مهامها استغلالاً للالتزام العربى عادة بإيقاف إطلاق النار، أحيانًا عن رضًا بسبب ضعف الموقف، وأحيانًا أخرى عن خوف من فقد التأييد العالمى أوالدعم الصديق الذى لم يثبت نجاحه فى إيقاف التقدم الإسرائيلى بعد الهدنة أوإيقاف إطلاق النار، أو إعادة القوات الإسرائيلية إلى أوضاعها ساعة صدور القرار الدولى، ومن ثم يجب أن تكون الأسبقية للقوات فى الميدان؛ لتحديد متى بالضبط سيتوقف القتال، ولن تعدم الدبلوماسية أعذارًا ومبررات تسوقها حتى تتمكن القوات من تحسين أوضاعها أو استكمال مهام كانت على وشك تحقيقها، وعلى أى حال فالمؤكد أن إسرائيل ستفعل ذلك، سواءً فعلناه أو لم نفعله.

الدرس الثالث: تدخل القيادة السياسية فى قرارات القيادة العسكرية:

لقد أوضحت أحداث الحروب مع إسرائيل أن تدخل القيادة السياسية فى تسيير دفة العمليات فى ميدان القتال كان له دائما أثر سلبى على نتائج الحرب، ففى حرب ١٩٥٦ رفضت القيادة السياسية إيقاف الملاحة فى قناة السويس مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، لإتاحة الفرصة لعبور باقى القوات المصرية؛ لدعم قتال قوات الدفاع عن ممر متلا الذى تعرضت لهجوم قوات المظلات الإسرائيلية، وكان السبب هو عدم إعطاء الذريعة لإنجلترا وفرنسا للتدخل فى الحرب لحماية قناة السويس، وعندما بدأ عبور القوات صباح اليوم التالى تعرضت لهجوم الطيران الفرنسى مما أدى إلى عدم نجاحها فى الوصول إلى الممر والدفاع عنه فى الوقت المناسب.

أما عن القرار السياسى باتخاذ عمل عسكرى لمساعدة الجبهات أو الجيوش العربية الأخرى، فيجب منذ البداية أن يضع فى اعتباره أولاً موقف القوات المسلحة

الوطنية ومدى استعدادها لتقديم العون للحليف العربى، دون أن يكون لذلك تأثير ضار على موقف الجيش الوطنى، ومثال ذلك أمر الملك فاروق بدعم الجيش الأردنى بالطيران المصرى فى وقت كانت القوات المصرية فى فلسطين فى أمس الحاجة إلى هذه المعاونة، وموقف الرئيس جمال عبد الناصر فى حرب ١٩٦٧ لدعم سوريا فى مواجهة الحشود الإسرائيلية على حدودها(*)، كما أن القرار السياسى بتطوير الهجوم شرقًا، الذى اتخذه الرئيس السادات إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتخفيف الضغط على سوريا كان له أثر كبير فى تحول دفة الحرب، كما رأينا من قبل. **ونحن هنا لا نغفل بأى حال حرية القيادة السياسية فى اتخاذ القرارات الاستراتيجية أثناء الحرب، لكنه من غير المفضل أن تتدخل تفصيلاً فى قرارات القادة سواءً على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة أو فى قرارات القادة فى الميدان، فعلى القيادة السياسية أن تعطى المهمة السياسية التى ترغب أن تنفذها القوة العسكرية، وعلى القادة أن يضعوا القرار المناسب لتنفيذ هذه المهمة طبقًا لقواعد وأصول العلم العسكرى، وبعد تقدير الموقف الشامل لميدان القتال.**

واستكمالاً لهذا المبدأ، يجب أن تكون القيادة السياسية على ثقة من حسن اختيارها للقيادة العسكرية بعيدًا عن أى اعتبارات قد تدفع هذه القيادة العسكرية إلى نفاق القيادة السياسية، أو تجنب مواجهتها، أو عدم إغضابها من خلال إما التهوين من الوضع العسكرى الخطير، أو التنفيذ الحرفى لأوامرها دون إعمال العلم العسكرى كما ينبغى.

الدرس الرابع: دور القيادة العسكرية:

وكما تحدثنا عن دور القيادة السياسية فى إدارة دفة الحرب واتخاذ القرارات بعد بدئها، فيجب على القيادة السياسية العسكرية، ونعنى بها هنا وزير الدفاع، أن يتبع نفس المبدأ، فعليه أن يحدد المهمة وتصوره العام لتحقيقها لمجموعة ضباط هيئة أركان القيادة العامة للقوات المسلحة، وهؤلاء عليهم أن يقوموا بدراستها، ثم يقترحوا عليه القرار المناسب والبدائل المتاحة، وعلى الوزير أن يختار أنسب هذه

(*) وقد ثبت بعد ذلك أنه لم تكن هناك حشود ـ الناشر.

البدائل لتحقيق الهدف السياسى المكلف به من القيادة السياسية، ولا يقتصر دور وزير الدفاع على ذلك، فعليه أن يكون قادراً على الدفاع عن القرار المقترح والبدائل المتاحة وإقناع القيادة السياسية بها، وتحذيرها من عواقب المخاطرة الغير محسوبة.

الدرس الخامس: العلاقة بين القيادة السياسية العسكرية والقيادات الميدانية:

وهو درس على مستوى العلاقة بين القيادة العامة للقوات المسلحة وبين القيادات الميدانية، فالقيادة العامة للقوات المسلحة تحدد المهام وتوقيتات التنفيذ بعد التنسيق مع الجيوش الميدانية، كما تحدد الدعم بوسائلها، وتقوم بأعمال التنسيق بين الأسلحة والقوات المختلفة، **أما التنفيذ فى الميدان وتحديد الوحدات التى ستقوم بالتنفيذ واتجاهات عملها وخطوط مهامها على الأرض، فهى مهمة القائد الميدانى الأقرب إلى ميدان القتال والأكثر إحساساً بنبض القوات وحالتها سواء كانت معادية أم صديقة، كما أنه أقدر على الانتقال إلى موقع العمل واستطلاعه بنفسه وبالتالى اتخاذ القرار القابل للتنفيذ، وليس القرار النظرى من على الخرائط**، وفى كل الأحوال فالقيادة العامة هى التى تصدق على قرارات القادة الميدانيين وتعاونهم فى تنفيذها من خلال إمدادهم بالمعلومات بوسائلها، ومعاونتهم بأعمال قتال الأفرع الرئيسية كالقوات البحرية والقوات الجوية وقوات الدفاع الجوى والقوات الخاصة.

الدرس السادس: أهمية النظرة الشاملة لميدان المعركة:

يجب على القائد على كافة المستويات من القيادة العامة إلى القادة على المستويات الصغرى أن تكون له نظرة شاملة لمسرح العمليات أو ميدان المعركة، وليس فقط حدود الموقف أو المشكلة، فالقيادة العامة يجب أن تحيط بموقف العدو القادم من الحدود الدولية والعدو القائم بالهجوم والقوات التى على اتصال بالعدو، وتلك التى فى العمق والأخرى التى لاتزال تتحرك، والثالثة التى تتعرض للاختراق والرابعة التى لم تتعرض للاختراق بعد، وعليها أن تتصور الموقف الشامل واتجاهات تطوره واحتمالات النجاح والفشل، ومن ثم تتخذ القرار المناسب قوةً

واتجاهًا وتوقيتًا، وفى جميع الأحوال يجب أن يكون هناك جزء من القوات فى يد القيادة العامة، لدعم هذه القوة أو تلك، كما يجب عليها أن تراعى نفس المبدأ بالنسبة للتشكيلات، فتسمح لها بسحب قوات ودفع بدلاً منها، وهى كلها من أعمال إدارة المعركة، ويسرى نفس المبدأ على كل المستويات حتى أصغرها.

الدرس السابع: وحدة القيادة على القوات:

لقد أظهرت عملية السيطرة على خليج السويس فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ نتيجة سلبية لتعدد القيادات فى اتجاه واحد، كما أظهرت عمليات ١٩٦٧ نفس النتيجة لتعدد القيادات فى جبهة قناة السويس، ولا ننسى الأثر السلبى لتغيير القيادة فى الجيش الثانى الميدانى إبان حرب أكتوبر من اللواء تيسير العقاد رئيس أركان حرب الجيش بعد مرض اللواء سعد مأمون إلى اللواء عبد المنعم خليل، ثم إلى الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة، ثم عودته مرة أخرى إلى القاهرة وعودة القيادة إلى اللواء عبد المنعم خليل، وكل ذلك فى خلال خمسة أيام فقط، مما كان له أثر كبير فى ضياع الساعات الثمينة فى شرح الموقف، واتخاذ القرارات الجديدة بدلاً من استخدام القوات ودعمها وتحسين أوضاعها.

* * *

على المستوى التكتيكى:

وبعد هذه الأعوام الطويلة التى تركت فيها الحياة العسكرية، لم أستطع أن أنسى الدروس المستفادة على المستوى التكتيكى، الذى سأظل مؤمنًا بأنه هو الذى يحدد فى النهاية نتيجة الحرب، فلا قيمة لقرار عبقرى يتخذه قائد داهية إن لم ينفذه جندى شجاع، يقوده ضابط يتحلى بالجرأة والذكاء.

الدرس الأول: أهمية المعلومات:

برزت - فى كل الحروب - أهمية عناصر المخابرات والاستطلاع فى جمع

المعلومات عن العدو والأرض وقواتنا، ووضع التصورات المنطقية عن احتمالات أعمال العدو أمام القائد، حتى يتم اتخاذ القرار المناسب، فلا نصر بدون قرار سليم ولا قرار سليم بدون معلومات كافية.

الدرس الثانى: أهمية التأمين:

لعله يكفى أن أقول إن تأمين الأجناب والمؤخرة والاهتمام بالفواصل بين التشكيلات والوحدات المحاربة أصبح لا يقل عن أهمية المواجهة، ويجب أن تعطى أهمية خاصة، لتأمين الموانع الطبيعية والصناعية ومراقبتها وحمايتها بالقوات والنيران فى جميع الظروف والأوقات، وضرورة تأمين القوات التى سيتم دفعها للهجوم أو احتلال مناطق دفاعية عاجلة بالمعلومات والقوات حتى نتجنب الوقوع فى الكمائن وستائر الصواريخ المضادة للدبابات.

الدرس الثالث: أهمية استغلال النجاح:

يجب على القادة على جميع المستويات استغلال النجاح - فربما لا يأتى مرة أخرى - ويكون هذا بالطبع من خلال الحسابات الدقيقة والتنسيق مع القوات المجاورة، ويجب على القيادات العليا إتاحة الفرصة للوحدات؛ لاستغلال النجاح ودعمهم بالمعلومات والنيران وتطوير الخطة لتأمينهم، واستغلال النجاح بالمستويات الأعلى.

الدرس الأخير:

يجب علينا أن نربى ضباطنا من بداية عهدهم بالحياة العسكرية على الآتى:

* التفكير المنطقى السريع.
* اتخاذ القرار الحاسم.
* التنفيذ السريع القوى.

* التأثير على العدو بقسوة وطول الوقت وعلى جميع الاتجاهات والأعماق .

* لا نجاح بدون مفاجأة .

* لا نجاح بدون خداع .

* وأخيراً، لا نجاح بدون جنود وأسلحة ومعدات، فعلى كل ضابط أن يلتحم بجنوده، ويعتنى بأسلحته ومعداته .

* * *

وفى الختام أرجو للجميع التوفيق والسداد وأشكر كل من خدم معى وشاركنى تلك الرحلة الطويلة عبر الخدمة فى القوات المسلحة، خاصة تلك الفترة التاريخية التى شملت حرب الاستنزاف وحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ التى أعادت لنا أرضنا وكرامتنا، وأثبتت قدرتنا على أن نكون محاربين أقوياء، خاصة إذا ما اتحدت قوتنا كعرب، وأخلصنا فى عملنا كقادة على كافة المستويات، واتصفنا بالشجاعة والوضوح والإخلاص .

* * *

الخاتـمة

فى نهاية هذا الكتاب الذى حاولت قدر طاقتى أن أجمع فيه خبراتى ورؤيتى لمراحل الصراع العربى الإسرائيلى ـ مركزًا على ما يخص مصر فى هذا الصراع الممتد عبر عشرات السنين، وبالطبع مركزًا بدرجة أكثر على النواحى العسكرية باعتبارها مهنتى ونطاق تخصصى ـ أرجو أن أكون قد وفقت فى النهاية فى تقديم سجل متكامل وملخص لذا الموضوع المتشعب والشائك.

إن الصراع العربى الإسرائيلى فى الحقيقة موضوع شديد الاتساع والعمق ومتعدد الجوانب، بل ومتجدد يوميًا، حتى إنه ليصعب على الكاتب أن يمسك قلمه عن الاسترسال فى الكتابة عنه.

وإننى لأنصح قارئ هذا الكتاب أن يستزيد من المعرفة بجوانب هذا الصراع التاريخى، فهو قدر هذه الأمة، ويجب علينا جميعًا أن نكون على إلمام كامل بكل جوانبه وتداعياته.

والله الموفق.

المراجع

١ ـ التاريخ العسكرى معارك ل ١٤م فى يونيو ١٩٦٧ ـ هيئة البحوث العسكرية .

٢ ـ معارك ج ٣ ميد فى حرب أكتوبر (تعبوى ـ تكتيكى) ـ هيئة البحوث العسكرية .

٣ ـ الندوة الاستراتيچية ٢٥ سنة على حرب أكتوبر ـ هيئة البحوث العسكرية .

٤ ـ الجولة الإسرائيلية/ العربية الثالثة صيف ١٩٦٧ ـ الجزء الثانى : سير القتال على الجبهة المصرية ٥ ـ ١٠ يونيو ٦٧ ـ هيئة البحوث العسكرية .

٥ ـ حرب فلسطين ١٩٤٨ ـ رؤية مصرية اللواء دكتور إبراهيم شكيب .

٦ ـ حرب رمضان الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة أكتوبر ١٩٧٣ ـ اللواء حسن البدرى ـ اللواء طه المجدوب ـ اللواء ضياء الدين زهدى .

٧ ـ الإعداد لمعركة التحرير ـ الفريق أول محمد فوزى .

٨ ـ حرب الثلاث سنوات ٦٧ ـ ٧٠ ـ الفريق أول محمد فوزى .

٩ ـ مذكرات الفريق سعد الشاذلى (قصتى مع السادات) ـ الفريق سعد الشاذلى .

١٠ ـ حروب مصر المعاصرة فى أوراق قائد ميدانى ـ اللواء عبد المنعم خليل .

١١ ـ فى قلب المعركة ـ اللواء عبد المنعم خليل .

١٢ ـ القادة يتحدثون (٢٠ سنة على أكتوبر) ـ كبار قادة ٧٣ .

١٣ ـ حرب أكتوبر بين الحقيقة والافتراءات ـ عميد محمد إبراهيم عبد الغنى .

١٤ ـ ضباط يونيو يتكلمون ـ مجموعة من القادة .

١٥ ـ ملفات السويس (حرب الثلاثين سنة) ـ محمد حسنين هيكل .
١٦ ـ أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ـ محمد حسنين هيكل .
١٧ ـ وثائق حرب أكتوبر ـ موسى صبرى .
١٨ ـ من سيناء إلى الجولان ـ جمال حماد .
١٩ ـ حرب الأيام الستة ـ راندولف وونستون تشرشل .
٢٠ ـ يوميات أكتوبر فى سيناء والجولان ـ عبده مباشر .
٢١ ـ زلزال فى أكتوبر ـ زئيف شيف .
٢٢ ـ حرب يوم الغفران ـ إيلى زعيرا .
٢٣ ـ التقصير ـ مجموعة كتاب إسرائيليون .
٢٤ ـ YOM KIPPUR WAR ـ صنداى تايمز / لندن .
٢٥ ـ مذكرات إسحاق رابين ـ إسحاق رابين .
٢٦ ـ THE ARAB ISRAELI WARS ـ حاييم هرتزوج .